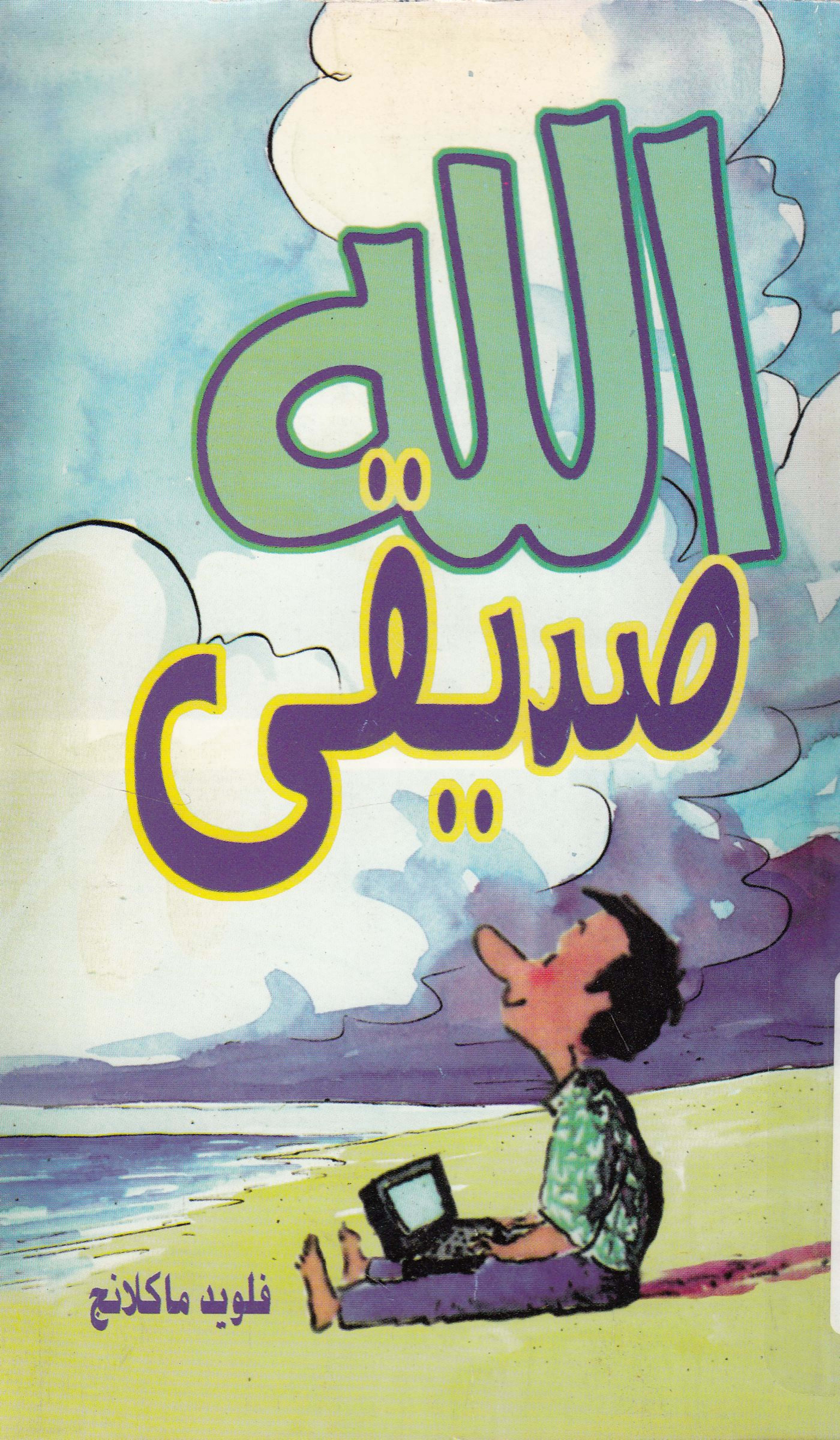
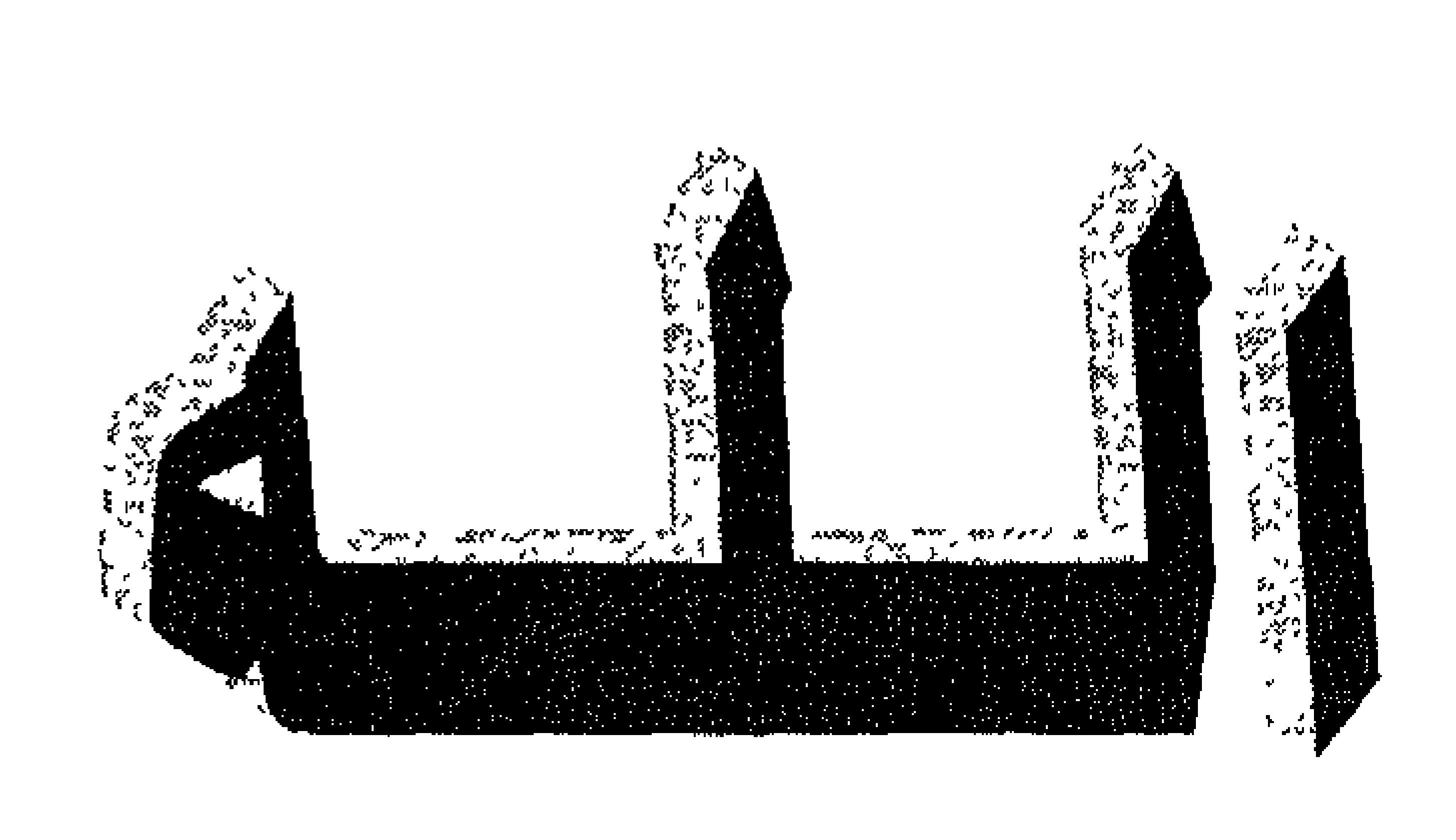
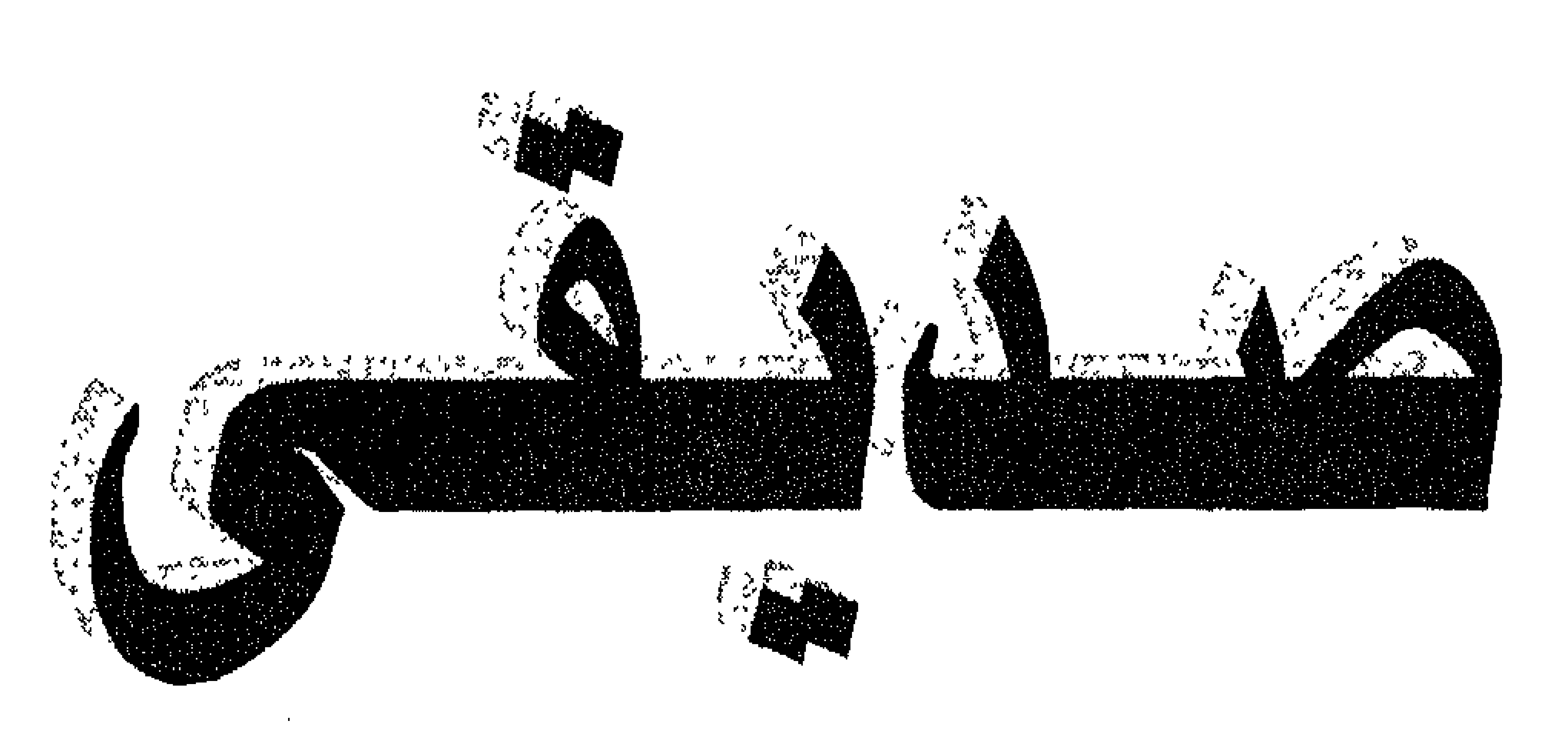

الله
صديقى
فلويد ماكلانج





تأليف :

فلويد ماكلانج

ترجمة :



الكتاب : الله صديقى
الكاتب : فلويد ماكلانج
ترجمة : داليا وهيب

رقم الإيداع : ٩٣٩٤ / ٩٧

الترقيم الدولى : 4 - 26 - 5607 - 977

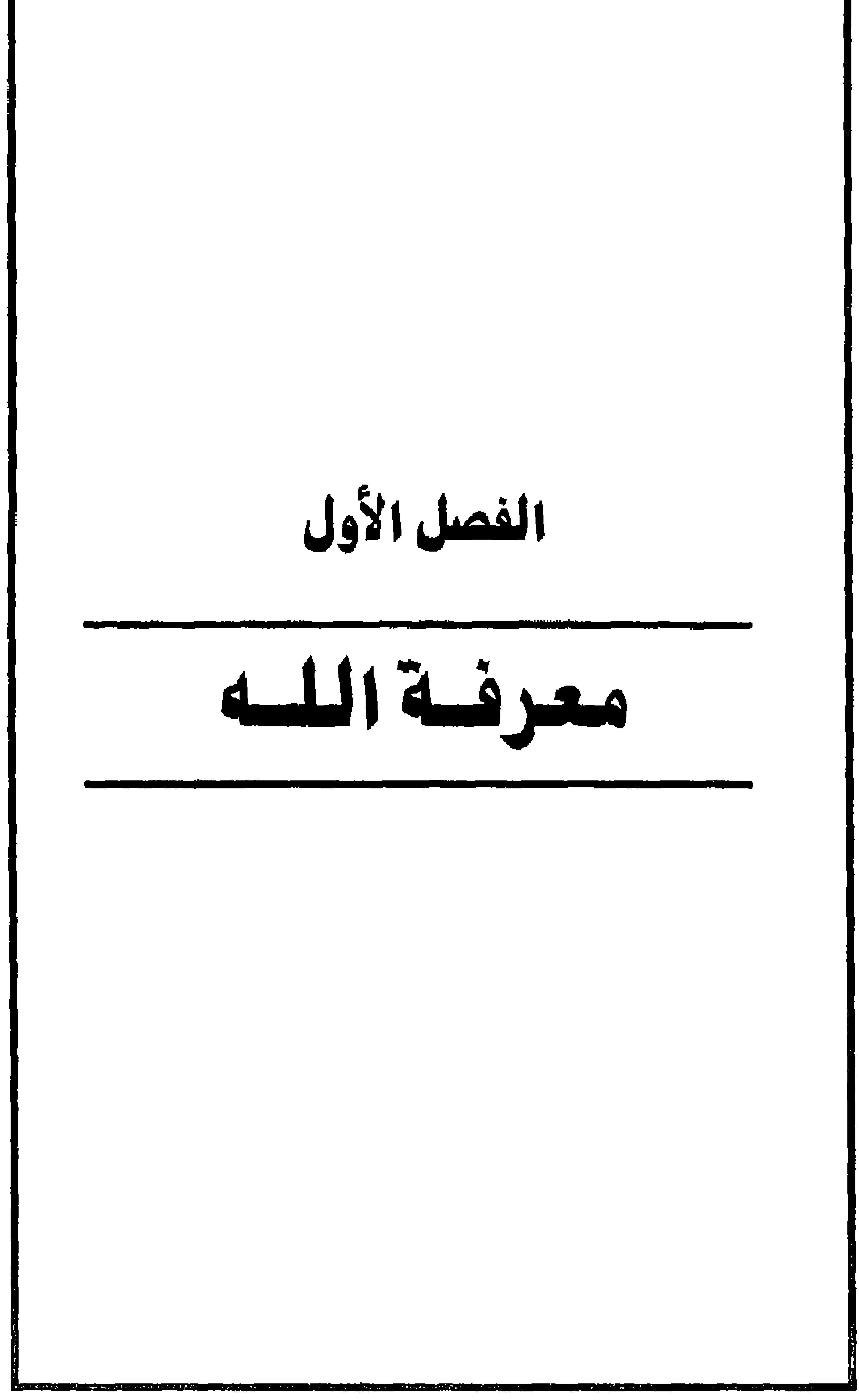
الجمع والاخراج الفنى والطباعة

لوجوس سنتر

تليفون / فاكس ٢٩٠٦١٦١
ص . ب . ٢٤٥٥ الحرية
هليوبوليس – القاهرة

Logos Center
P.O.Box : 2433
Stafford, TX 77497
U.S.A.
Email : rugaid@rusys.EG.net

المحتويات



الفصل الأول

معرفـة اللـه

يُعد السعى لتوطيد أواصر علاقة صداقة مع الله أسمى دعوة لكل إنسان ، ولكن يعتقد بعض الناس أن دراسة علم الإنسان هى الغاية السامية للمعرفة لكنهم مخطئون حيث يُعد طلب وجه الله أعظم علم ، وأسمى فلسفة، وأروع شعر يمكن أن يكرس أى شخص منا نفسه له، فالله عظيم جداً لدرجة أننا لا نستطيع إدراكه بإفكارنا ، وأفكاره عميقة لدرجة أننا لا نستطيع استيعابها بأذهاننا المحدودة.

فيمكننا أن نبحث فى موضوعات أخرى كثيرة ، ولكن عندما نتقنها ينتابنا شعور بالرضا والقناعة نتيجة لما توصلنا إليه ، ولكن لا يوجد شخص يستطيع أن يتقن أساليب الله وطرقه التى يتعامل بها مع الناس فلا يوجد أى تليسكوب يستطيع أن يجرى عملية مسح لحدود الله ولا ميكروسكوب يستطيع أن يتخلل أعماقه ، حيث أن عظمة الله تجعل عقولنا تتضع ولكنها فى نفس الوقت توسع مخيلتنا ، ولن يشعر الشخص الذى يسعى للوصول إلى علاقة صداقة مع الله بالرضا أبداً عندما يحيا حياة بلا معنى ويكون وجوده على هذه الأرض بلا هدف .

فطلب وجه الله لا يملأ عقولنا فقط بالإتضاع بل قلوبنا أيضاً حيث تعد معرفة الله نوعا من أنواع المعرفة التى تندرج تحت بند المعرفة الأخلاقية وذلك نتيجة علاقتها المباشرة بهدف وجودنا

وكيف يمكننا أن نحيا، فعندما يقف المخلوق أمام الخالق ويقترب منه ليعرفه، لا يسعه إلا أن ينحنى خشوعاً أمامه . فهل أنت مستعد للخضوع لله أكثر كلما تعمقت معرفتك به ؟

نعلم جميعا أن طلب وجه الله يريح النفس . فعندما نسعى إلى معرفة مقدار عظمة الله نشعر بتعزية ليست بقليلة . فلا يوجد شئ يجعلنا نشعر بالسلام فى أرواحنا عندما نتضايق ولا يوجد شئ يجعلنا نشعر بالفرح فى أنفسنا عندما نحزن ولا شئ يجعلنا نشعر بالراحة فى أذهاننا عندما نضطرب مثل معرفة الله نفسه.

فإذا كنا مقدمين على معرفة الله كصديق علينا أن نعرف الله، فلا توجد لدينا نية مصادقة مفهوم أو أمر معنوى ونظرى لكننا نرغب فى مصادقة شخص ، حيث تعد طبيعة الأشخاص المعنيين بالصداقة الأساس الذى تُبنى عليه هذه العلاقة . وبالتالى علينا أن نعرف طبيعة الله ، وشخصيته إذا أردنا أن نقيم علاقة كاملة معه .

لا حدود

من هو هذا الإله الذى يقدم نفسه إلينا كصديق لنا ؟

الله خلق نفسه بنفسه والله غير محدود ومنذ الأزل موجود

لايتغير و قادر على كل شئ

فلا توجد حدود لعظمته

فهو إله موجود دائما

محب ورحيم وصادق

إلهنا أمين وعادل وقدوس

ويستمر تعداد صفات الله إلى مالا نهاية ، فيمكننا أن نجد طرقاً لا تعد ولا تحصى لنصفه ، ذلك لأن طبيعة الله تفوق مقدرة كلماتنا على وصفها .

ولكنْ هناك تحذير يجب أن نذكره قبل أن ننتقل من هذه النقطة إلى نقطة أخرى ألا وهو : لن يكون سعينا لفهم الله غاية فى حد ذاتها ، لكنه وسيلة للوصول إلى غاية، حيث تعد معرفة بعض صفات الله معرفة لله نفسه .

من الممكن أن تتحول دراسة علم اللاهوت إلى نوع من أنواع العبادة الوثنية بالنسبة لبعض الناس ، فيتفاخروا جداً بما يعرفون وينسون أن الله دعاهم أولا وقبل كل شئ إلى معرفته هو شخصيا حيث يحذر الرسول بولس من ذلك "العلم ينفخ ولكن المحبة تبني" (١كو٨: ١) .

فنحن لا نهدف إلى جمع معلومات عن الله حتى نصل إلى حالة من وهم إرضاء الذات ،ولكن هدفنا هو معرفة الله ، وأن نكون أصدقاء له، وأن نتمتع بتلك العلاقة الحميمة التى سمح لنا بها ثم نُعرفِّ الناس به.

فهل هناك هدف أعظم من أن يتطلع الإنسان فى حياته إلى معرفة الله وأن يجعل الناس يعرفونه ؟!

كما أشرنا من قبل لا يمكننا أن نعرف كل شئ عن طبيعة الله على الأقل هنا فى حياتنا على هذه الأرض ، وتعد تلك الحقيقة القائلة بأننا لا يمكن أن نعرف كل شئ عن الله بمثابة السر الذى يجعلنا نتمتع بعلاقة مشبعة جداً معه ، فلن أحصل على الشبع

والرضا فى علاقة مع "إله محدود" إذ يمكننى أن أفهم هذا الإله المحدود بسرعة وسهولة.

ولكننا نكتشف غنى شخصية إله الكتاب المقدس وعمقها الشديد فنستمر فى التعرف عليه ولا نتعب أبداً ، فالله أعمق من أن نستوعبه بعقولنا فقد أوضح توماس تورنس هذا قائلا :

"الله معنا وهو يُظهر لنا ذاته لنفهمه بإسلوب يجعله الرب الذى يسيطر علينا والذى يميز نفسه ويظهرها بطبيعته الإلهية حتى عندما يقودنا إلى علاقة معه ، والله يُظهر لنا ذاته بأسلوب لا يجعله يترك مسألة معرفته لبراعتنا .

وهكذا فإننا لن نستطيع أبداً أن نعلن عن معرفتنا لله بطريقة تقلل من قداسته وسموه وعظمته الفائقة ولكن بالأسلوب الذى يجعلنا نلقى بأنفسنا بالتمام على رحمته وعلى تحريره السامى الذى جعله يضع نفسه لأجلنا ليرفعنا إليه متعدياً حدود أى شئ نفكر فيه أو نتخيله ".

ولكن فى نفس الوقت نستطيع الدخول فى علاقة مع الله لأننا نعرف قليلاً من شخصيته ، فلا يمكننا أن نكوِّن علاقة مع مخلوق غير معروف على الإطلاق ولا يمكن معرفته أيضاً ، ولكن يجب أن يكون هناك مستوى معين من الفهم حتى يكون بمثابة الأساس الذى تقوم عليه هذه الصداقة ، ويجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا حتى نفهم ما يمكننا فهمه عن شخصية الله و ذلك على الرغم من إدراكنا أننا لا يمكننا أن نعرف كل شئ عن الله .

وفى الجزء المتبقى من هذا الفصل سندرس بعض صفات الله

كيف تظهر هذه الصفات فى الكتاب المقدس والأسلوب الذى ساعدنا به بعض المعلمين الأتقياء حتى نستطيع أن نفهم هذه الصفات ،وكيف تؤثر هذه الصفات على إمكانية إرساء أسس علاقة الصداقة مع الله .

الله غير محدود

" ألعلّى إله من قريب يقول الرب ولست إلهاً من بعيد. إذا أختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفما اراه أنا يقول الرب . أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب " . (إرميا ٢٣ : ٢٣ - ٢٤) .

"لأنه هل يسكن الله حقا على الأرض . هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت " (امل ٨ : ٢٧) .

عندما نقول إن الله غير محدود فهذا معناه أنه مطلق ، فهو غير محدود بالقيود التى تؤثر عليك وعلى مثل المساحة أو المسافة أو الحجم، فلا يخضع الله لتلك الأساليب التى نستطيع فهمها(وبالطبع لا يخضع الله للأساليب والمقاييس التى لا نستطيع فهمها).

إن الحقيقة القائلة بأن الله غير محدود وأننا محددون تضع الله فى مكانة لا نستطيع فهمها . فكلما فهمنا الله أكثر أدركنا أنه مازال هناك الكثير الذى لا نفهمه ، وكلما اقترينا أكثر من معرفته كلما أدركنا أنه مازال هناك الكثير الذى يجب أن نعرفه .

ولهذا منع الله شعبه من أن يصنعوا تماثيل أو صوراً على صورته، فمن يؤمنون بآلهة أخرى يميلون إلى عبادة التماثيل لسبب بسيط الا وهو أنهم يتوقون إلى رؤية الإله الذى يؤمنون به ويتوقون إلى

لمسه، ويعد هذا الأشتياق أمراً طبيعياً لأننا محدودون لذلك نريد الحصول على غير المحدود .

لكن الله يعلم أن أى محاولة نقوم بها لنعبر بها عن الله بعمل أيدينا ما هى الا محاولة تشويه له ، فبالتاكيد أى صورة نصنعها ستعكس مفهومنا المحدود عن الله ولن تعكس صورة الله الحقيقية ، وتتساوى مع محاولة خلق البشر لإله على صورتنا وشبهنا وليس العكس ، ويعيذنا منع الله لنا من عمل تماثيل منحوتة على تذكر أنه غير محدود وأننا بلا شك لن نستطيع أن ندركه .

عادة ما تهتم الصورة الكتابية الخاصة بعدم محدودية الله بصفة خاصة يطلق عليها علم اللاهوت اسم ضخامة الله أو كلية حضور الله ، على سبيل المثال نقول إن الله " موجود فى كل مكان فى نفس الوقت " وهذا لا يعنى انبساط أصابع قدم الله فوق الاسكا وأن أنفه ترفرف فوق باريس ولكنه يعنى أن ملء الله يملأ كل الأشياء ، فيتخطى الله خالق الوجود كله كل مفاهيم الحواجز الأرضية الخاصة بالمساحة والموقع .

لقد اعتدنا أيضاً أن نتحدث عن الله ونصفه بأنه أبدى وهذا يشير إلى حقيقة أنه يتعدى حدود الوقت أيضاً ، إذ أننا ننحصر بعنصر الوقت ، فتحدد كل من الساعة والنتيجة وجودنا إلا أن هذا لا ينطبق على الله ، فالله ليس له بداية ولا نهاية فببساطة مستحيل أن نصفه أو نحدد وجوده بالساعة والنتيجة.

ولا يعنى هذا أن الله لا يستطيع أن يدخل فى إطار الوقت و يتعامل معنا بما يتماشى مع عنصر الوقت هذا وفقا لهذه الأمور،

فالله يستطيع ويفعل هذا ، يعد الكتاب المقدس سجلا يؤكد على أنه يقوم بهذا بدقة شديدة ، فيهتم الله إهتماما شديدا بالدراما البشرية ليس فقط بصفته واحدا من الجمهور أو كأحد شخصيات الرواية ولكن بصفته جزءاً لا يتجزأ من المجموعة التى تمثل كاتب المسرحية والممثل وأيضاً المخرج الذى يخرج هذه المسرحية والذى يشارك مشاركة فعالة مع الممثلين على خشبة المسرح ، فيخطو الإله غير المحدود فى الواقع المحدود الذى خلقه فنتمكن قياس أفعاله وتصرفاته بمقاييس الوقت المعروفة.

وعلى الرغم من أن الوقت لا يحد الله الا أنه يتصرف وفقا لترتيب محدد فيفعل شيئاً ثم يفعل شيئاً آخر" فى البدء ، خلق الله ... " الله نفسه خارج إطار الزمان الا أنه يتفاعل مع الجنس البشرى من خلال عنصر الوقت كما هو معروف بالنسبة لنا وكما خلقه الله ليكون ، فعندما يقول الكتاب المقدس فى سفر إرميا ١٨ : ٧ – ١٠ أنه لن يحكم على أمة إذا رجعت إليه فإنه يعنى تماما ما يقوله :

" تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك ، فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها. وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس. فتفعل الشر فى عينى فلا تسمع لصوتى فأندم عن الخير الذى قلت أنى أحسن إليها به ".

تعد الصلاة والشفاعة من أساليب الله التى يسمح لنا عن طريقها بالاشتراك معه فى التاثير على الأفراد وعلى أمم بأسرها ، يسمع الله عندما يتجاوب معه الناس ويستجيب بدوره لتصرفاتنا واختياراتنا .

إن الحدود الوحيدة لعدم محدودية الله هى تلك التى يأخذها الله على نفسه فى السماح لنا باستخدام ارادتنا ، فيمكننا أن نعوق

خطط الله، ويمكننا أن نبتعد عن رحمته على الرغم من أن هذا يحزن الله إلا أنه لا ينتقص من عظمة الله أو قوته أو معرفته .

لقد سمح الله بأن تكون إرادتنا أمراً مؤثراً ، ياله من أمر مرعب أن يعطى الله للجنس البشرى هذا القدر من الحرية والمسئولية . فخطة الله فى حياتنا ليست جامدة مثل الكومبيوتر ، فالله نشيط ومبدع ودائم التحرك ويخلق إمكانيات وخططاً جديدة وفقا لطاعتنا أو لعدم طاعتنا .

إن الفقرة السابقة من سفر إرميا ١٨ : ٧ - ١٠ والتى تتحدث عن رغبة الله فى الإستجابة لاختيارات شعب إسرائيل ليست مجرد كلمات من إرميا النبى ليصف الله وفقا للأعراف الإنسانية ، ولكنها تشكف فعلا عن الطريقة التى يتعامل بها الله معنا فإرادتنا وصلواتنا مؤثرة .

من يستطيع فهم ذلك الإله غير المحدود والذى يتعامل مع مخلوقات محدودة بهذا الأسلوب الذى يمتلئ بالمحبة؟ لا أحد، فلا يستطيع أى عالم من علماء اللاهوت أن يشرح طبيعة الله ولا يستطيع أى إنسان أن يستوعبه ، فهو الله .

عندما يخترق الله حدود وجودنا المحدود ويكشف صفاته فما يعلنه عن نفسه حق ، فلا يؤلف الله قصة لنا لنصدقها لكنه يظهر لنا شيئاً من طبيعته كما هو فعلا، لذا فمعرفتنا لله حق وإن كانت لا تتسم بكونها شاملة إلا أنه يمكننا فهمها على الرغم من أننا لا نستطيع أبدا فهمهما كاملة . فأفضل ما يمكننا فعله عندما نصطدم بصفة لا نستطيع فهمها هو أن نحنى ركبنا لنسجد لله .

الله خلق نفسه بنفسه

فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله أبائكم أرسلنى إليكم فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى أهية الذى أهية وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهية أرسلنى إليكم " خروج ٣ :١٣ - ١٤ .

أهية فى الترجمة الانجليزية تعنى " أنا هو " .

لأنه كما أن الآب له حيوة فى ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حيوة فى ذاته . يوحنا ٥ : ٢٦ .

عندما نصف الله بأنه أبدى أى ليس له بداية وليس له نهاية فإننا بهذا نطرح ذلك السؤال الذى سألناه جميعاً عندما كنا أطفال . (لعلك تذكر كيف تساءلت فى أعماقك عن الله ؟) . فالطفل يسأل "من الذى صنعنى يا أبى ؟" فيجيب الأب أو الأم أو معلم مدارس الأحد "الله هو الذى صنعك"؟ فيتساءل الطفل السؤال التالى "من الذى صنع الله ؟" وإجابة هذا السؤال غير مقنعة بل إنها تبعث على الحيرة بالنسبة للصغير حيث أنها تكون عادة " لم يصنع أحد الله بل هو الذى أوجد نفسه بنفسه".

يصاب كثيرون منا بالحيرة من تلك الإجابة ! فتعد تلك الصفة أصعب صفة من صفات الله فى الفهم . فالله هو الوحيد الذى نعرف عنه أنه يمتلك تلك الصفة فلم نختبر هذه الصفة من قبل ولا يمكننا تشبيهها بشئ فلا نستطيع أن نقول : " حسنا هذه الصفة مثل ... "

وأعتقد أن الارتباك ساور موسى عندما أجابه الله بهذه الإجابة فقد سأله موسى سؤالا يبدو منطقيا ألا وهو "ما اسمك؟ "

فأجابه الله بأعمق إجابة لا يمكن تصورها ألا وهى "أهية" والتى تعنى " أنا هو " ، ويوجه أسمه هذا أنتباهنا إلى صفة أساسية لشخصية الله ألا وهى أنه خلق نفسه بنفسه.

إن أحد الأشياء التى تتشابه فيها مع الله هى أن كلا منا موجود إلا أن الفارق هو أننا قد حصلنا على وجودنا منه. ، فإن لم يخلقنا الله لما كنا قد وُجدنا وإن لم يكن الله قد أعطانا عطية الوجود لما كنا قد وجدنا ، فإليه تؤول عطية الوجود فى هذه الحياة فهذا ما كان يسوع يعنيه عندما قال إن " الآب له حيوة فى ذاته" الله لم يُخلق ولم يأت إلى الوجود لكنه موجود.

وعلى الرغم من كل ما سبق فعلينا أن نقبل مبدأ أن الله خلق نفسه بنفسه كنقطة بداية لعبادتنا وكأحد صفات الله التى لا يمكننا إلا الوقوف أمامها برهبة ، ويمكننا أيضاً أن نشكر الله لأنه أختارنا ليشاركنا بعطية الوجود حتى نستطيع التمتع بعلاقة صداقة حميمة معه .

الله كلى القدرة

هأننا الرب إله كل ذى جسد. هل يعسر علىّ أمرما؟ (أرميا ٣٢ : ٢٧).

فتقدم يسوع وكلمهم قائلا : دُفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض (متى ٢٨ : ١٨) .

من بداية الكتاب المقدس حتى نهايته نرى أن الله يوضح قدرته الكلية ، فهو يعلن قدرته فى خلق الكون فقد تحدث الله وخرج كل شئ إلى الوجود، تحفظ نفس هذه القدرة الكلية الكون فكما كتب بولس فى رسالته إلى أهل كولوسى عن يسوع " فإنه فيه

خلق الكل ما فى السموات، وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خُلق . الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل " (كو١ : ١٦ - ١٧) .

إن نفس تلك القدرة التى خلقت الكون هى التى أقامت ليعازر من الأموات فقد تكلم يسوع وخرج ليعازر من المقبرة (انظر إنجيل يوحنا ١١ : ١ - ٤٤) ، وقد أقامت هذه القدرة يسوع من الأموات. وتعمل تلك القدرة التى خلقت الكون وأقامت يسوع من الأموات فى حياتنا الآن . صلى بولس حتى يعرف أهل أفسس " ما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته. الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات (أف ١ : ١٩ - ٢٠) .

يؤكد الكتاب المقدس على قوة الله إلى النهاية فنقرأ فى سفر الرؤيا: "أنا هو الألف والياء (البداية والنهاية) يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شئ" (رؤيا ١ : ٨) .

قد يبدو أن قدرة الله الكلية تتناقض مع الإرادة الحرة ، فمن منا لم يسمع بذلك اللغز القديم الذى يقول : "إذا كان الله قادراً على كل شئ ، هل يستطيع أن يصنع صخرة كبيرة جدا لدرجة أنه لا يستطيع رفعها ؟" وبالطبع الإجابة الوحيدة لهذا اللغز هى أن هذا ليس سؤالاً لكنه هراء لا معنى له ، فكما كتب سي. إس. لويس من قبل : كلية القدرة هى قوة لتعمل كل ما يبدو ممكنا من الناحية الفعلية ولكنها لا تعمل كل ما يبدو مستحيلا من الناحية الفعلية ، فيمكنك أن تنسب المعجزات لله ولكن لا يمكن أبداً أن تنسب هذا الهراء إلى الله.

ألا تجد أن علاقتك بكائن قادر على كل شئ أمر يبعث على الرعب ، بمعنى أنه بلا حدود الا تلك التى يفرضها على نفسه وعلى قدرته ليفعل ما يريده ؟ ولكن علينا أن نتذكر دائماً أن قوة الله تخضع لصلاحه ، فلا يستخدم الله قوته ليسيطر علينا أو ليحطمنا ، ولا يستخدم الله قوته لأغراضه الشخصية أو لنزواته الخاصة إلا أن الله يستخدم هذه القوة دائماً لخيرنا فقط. فكما قالت مريم فى صلاتها الرائعة " لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس " (لو ١ : ٤٩) فالله لايرهبنا لكنه يستخدم قوته دائماً ليحثنا على الالتزام بناموسه ولخدمة محبته .

الله روح

أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب . إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت . وإن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى اقاصى البحر.. فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك (مز ١٣٩ : ٧ - ١٠) .

"الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا" (يو ٤ : ٢٤) .

حاول أحد المتحدثين أن يشرح لجمهور من الشكاكين معنى "روح" فوصفها بأنها ليس لها طول ولاعمق ولا وزن ولا حجم ولا شكل ".

فأجاب واحد من الجمهور قائلا " هذا أفضل وصف سمعته لكلمة " لا شئ" .

قد يبدو الأمر كذلك بالنسبة لنا أيضاً ، ولكن بالتأكيد الله ليس لا شئ لكنه "شئ" ولكن المشكلة تكمن فى أن هذا الشئ قد قدر له أن يكون خارج نطاق خبرتنا الشخصية ، فتتكون أجسادنا من

مادة ، من شئ له طول وعمق ووزن وكل ما سبق لكن الله مختلف فالله روح على الرغم من أنه شخص فى نفس الوقت.

معظم المفاهيم التى عادة ما نحاول اقرانها "بروح" لا تعين على فهم معنى الكلمة ، فعلى سبيل المثال قد نتصور الروح على أنه سحابة من الغاز أو بخار ولكن بالطبع يدخل كل من الغاز والبخار تحت نطاق المادة، فكما تتذكر من حصص العلوم التى درستها فى المدرسة الثانوية يعد الغاز والبخار مادتين لهما شكلان مختلفان .

وقد نتصور أن الروح " قوة " مشهورة لها نفس السمعة التى حظت بها حرب النجوم، ولكن هذا أيضاً خطأ فيمكن لله أن يعطى القوة ولكن الروح والقوة شيئان مختلفان ، ليس الله شيئاً لكنه شخصٌ ، و يمكن للروح أن يشعر ويفكر ويختار.

كيف يمكن أن تكون لنا علاقة بالله الذى هو روح ؟ يمكن أن يكون لنا علاقة مع الله لأنه أخذ شكل الإنسان أى أنه أخذ جسدا ذلك الجسد المكون من مادة وأتى إلينا فى شخص يسوع وأيضاً يمكن أن تكون لنا علاقة مع الله لأنه يرسل روحه ليسكن فينا.

منذ لحظات قلت إن الروح أمر خارج عن نطاق خبرتنا الشخصية بالكامل لكن ربما كان يجب علىّ أن أقول إنها خارج نطاق خبرة إحساسنا الشخصى " فعلى الرغم من أننا قد لا نكون على دراية بها إلا أن الروح جزءٌ لا يتجزأ من الإنسان ، وعندما نتحدث عن أنفسنا فإننا نتحدث عن روح تسكن فى جسد مادي .

أما عندما نتحدث عن الله فإننا نتحدث عن روح غير محدودة وغير مقيدة بالجسد المادي، ونستطيع أن نتصل بالله على المستوى المادى لأن

يسوع أتى إلينا فى صورة إنسان . وكذلك يمكننا أن نتصل به على المستوى الروحى أيضاً ، لأن الروح جزء لا يتجزأ من تكويننا كبشر.

الله حق

"أنا الرب متكلم بالصدق مخبر بالاستقامة " (أشعياء٤٥ : ١٩) .

"لهذا قد ولدت أناولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يوحنا ١٨ : ٣٧) .

"أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦) .

قد لا نفكر فى مدى العون الذى نحصل عليه عندما نعلم أن الله حق أى أنه لا يكذب علينا ولا يقودنا إلى الطريق الخطأ بأسلوب خاطئ أبداً ولا يخدعنا أبداً ، فنميل إلى الثقة فى أن الله أمين وأنه يتعامل معنا بوضوح.

ولكن فكر للخطية كيف سيكون الحال إذا كنا نعبد إله غير أمين ، إلهاً لا يمكننا الأعتماد على أنه صادق معنا ولكن الله فى الواقع صادق جدا، ولا يوجد فيه خطأ أبدا وكلمته صادقة وأفعاله حق وشخصيته حق وناموسه حق .؟

ولا أقصد أن الله يخبرنا بالحق فقط ولكن أقصد أنه هو حق فهو تعبير تام وكامل عن الحق ، ففيه يكمن كل الحق وبعيدا عن الله لا يوجد حق بل إن مفهوم الحق يصبح بلا معنى بعيدا عنه .

ومن المهم أن نفهم ثلاثة جوانب للحق الكتابى خاصة فيما يتعلق بالحصول على علاقة صداقة عميقة مع الله وبناء هذه العلاقة. والجانب الأول هو أن الحق موضوعى ولا يتسم بعدم

الموضوعية أو التحيز فكثيرا عندما أخبر شخصاً ما عن إيماني بيسوع يجيب قائلا :" كل هذا صحيحاً بالنسبة لك وذلك لأنك تؤمن به ولكني لا أومن بهذا لذلك هذا ليس صحيح أو حقاً بالنسبة لي " .

ثم أقول " انتظر. أعتقد أنك لا تفهم ما أقول ، فإني لا أقول مجرد إني أسترجع مفهوم عقلي يدعى " الله " وذلك" المفهوم موجود طالما أني أحتفظ به في داخل عقلي لكني أقول إن هناك الله الموجود تماما مثلما يوجد جبل إفرست أو مدينة لندن ، فالله موجود بغض النظر عني وعنك وخارج نطاق تخيل أي شخص ، فهو موجود سواء آمنت به أو لم تؤمن .

الجانب الثاني من الحق هو أن الله شخص ويمكن لمسه فالله ليس شيئاً معنوياً ، لم يدعنا الله لنقول نعم لمفهوم أو مُثل فلسفية ولكنه دعانا لنتبع شخصاً ، فلم يقل يسوع " أنا أعرف الحق " لكنه قال : "أنا هو الحق" فهو تجسيد للحق ، لهذا فإذا كنا نريد أن نتمتع بالدخول في علاقة مع الله فيجب أن يتجسد الحق في حياتنا ، لا يجب أن نؤمن بالحق فقط ، بل يجب أن نحياه .

ويقودنا ما سبق للحديث عن الجانب الثالث من الحق ألا وهو أنه فعل وليس اسم فهو ليس مجرد شئ لنعرفه لكنه شئ يجب أن نفعله فيحذرنا الرسول يعقوب من أن الحق يحمل صفة إما أن نستخدمه وإلا سنفقده :

"ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم. لأنه إن كان أحد سامعا للكلمة وليس عاملا فذاك يشبه رجلا ناظرا وجه خلقته في مرآة . فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت

نسى ما هو. ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة. فهذا يكون مغبوطا فى عمله " . (يعقوب ١ :٢٢ - ٢٥) .

الله لا يتغير

"فإنى أنا الرب لا أتغير... " (مل ٣ : ٦) .

" كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران " (يع ١ : ١٧) .

" يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣ : ٨) .

يطلق علماء اللاهوت على هذه الصفة اسم الثبات ، فهذه الصفة لهاعلاقة بثبات الله والثقة فيه ، فلن تتغير أبداً طبيعته ولن تتغير شخصيته أبداً.

لا يعنى هذا أن الله جامد فهو لا يجلس هناك مثل كتلة الفحم، فالله حى ونشيط ومازال يخلق ويعيد الخلق ويفدى ويستجيب لصلوات شعبه وذلك فى إطار طبيعته التى لا تتغير.

هل تساءلت عن هذه الأحداث المذكورة فى الكتاب المقدس عندما يبدو أن الله "يغير رأيه " عندما يهدد أولاً بأنه سيدمر شخص بسبب خطيته ثم ينقذه إما بسبب توبة ذلك الشخص نفسه أو بسبب شفاعة شخصاً آخر؟ فيغلب على هذه القصص طابع رحمة الله غير المتغيرة أكثر من طابع التقلب ، فتخبرنا تلك القصص أنه لم يتأخر الوقت بعد لنرجع إلى الله ونحصل على غفرانه بدلا من العقاب الذى نستحقه لأن الغفران لا يتجزأ من طبيعته .

فيمكننا التحدث عن صفة ثبات الله بالنظر إلى عدة جوانب من شخصية الله المميزة .

• وجود الله الأزلى لا يتيغير" من قدم أسست الأرض والسموات هى عمل يديك . هى تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى . كرداء تغيرهن فتتغير. وأنت هو وسنوك لن تنتهى " (مز ١٠٢ : ٢٥ - ٢٧) .

• شخصة الله لا تتغير. فيمكن أن تتأثر شخصية الإنسان بالضغوط والصعاب أو الظروف المتغيرة ولكن الله لايتغير" فإنى أنا الرب لا أتغير" (مل ٣:٦) .

• حق الله لا يتغير "يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد" (إش ٤٠ : ٨) .

• طرق الله لا تتغير. "وأيضاً نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنسانا ليندم" (١صم ١٥ : ٢٩) .

• ابن الله لا يتغير " يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم والى الأبد " (عب ١٣ : ٨) .

تتغير أمور كثيرة فى الحياة مثل الناس والعمل والصداقة والعائلة ، فالحياة هنا على هذه الارض تتسم بأنها مؤقتة ، فيأتى الناس إلى حياتنا ويذهبون فقد ننتقل من مكان إلى آخر أو وظائفنا ، لذلك فإننا نتعلم أن نحمى أنفسنا من هذه التغيرات ونشيد الحوائط التى تحول دون إيذاء الآخرين لنا فنحاول أن نرسخ الأمانة والاستقرار فى حياتنا فى خضم هذه التغيرات السريعة .

ولكنْ هناك شئ واحد لايتغير أبداً الا وهو الله ، فهو دائماً موجود وأمين وحق ، فيمكننا أن نعتمد على الله فهو الشئ الوحيد الأكيد فى حياتنا الدائمة التغير وهو النقطة الثابتة فى هذا العالم المتقلب وهو أساس وجودنا والصخرة التى نقف عليها .

الله مهوب

" الرب قد ملك . لبس الجلال ... كرسيك مثبتة منذ القدم...... " (مز٩٣ : ١ - ٢) .

" لأن الرب إله عظيم ملك كبير على كل الآلهة " .

" هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا " (مز٩٥ : ٣ ، ٦) .

يُطلق على هذه الصفة عدة أسماء نذكر منها عدداً قليلاً ألا وهى عظمة الله ومجد الله ومهابة الله فتلك الصفة هى التى تجعل شيئاً فى أعماقنا يقف فى خوف أمام الله ، فهى التى تدفعنا للسقوط على وجهوهنا وعبادته بنفس الطريقة التى يركع بها العبد أمام ملكه فهذا بالضبط هو موقفنا فنحن عبيد ننحنى أمام ملك الكون.

قال أحد أصدقائى مرة أن كل شخص ، سواء كان يعلم هذا أم لا يحيا من أجل شئ ما ، فيهب البشر أنفسهم لما يعتبرونه جديراً بوقتهم وأموالهم واهتمامهم، فسيضحون من أجل هذا الأمر ويناضلون من أجله حتى أنهم قد يضحون بأنفسهم من أجله .

الله هو أكثر شخص يستحق تكريسنا فيصف لنا سفر الرؤيا كل الكائنات السماوية وهى تنحنى أمامه قائلة : " أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهى بارادتك

كائنة وخلقت " (رؤ ٤ :١١) . فكلما كبرنا فى علاقتنا معه أدركنا أكثر وأكثر استحقاقه وعظمته وجلاله وبالتالى تتجاوب قلوبنا معه .

وعندما نلحظ عظمة رهبة الله ندرك أيضاً أكثر وأكثر أنه لا يوجد شئ آخر فى الحياة يستحق منافسة الله على المركز الأول فى حياتنا فقد قال القديسون فى الماضى أن أفضل المخلوقات يمكن أن تخذلنا و تعذبنا.

ألا ندرك بعد كل هذا أن الله وحده هو الذى يشبعنا ؟ كم يبلغ مقدار المال الذى يجب أن ننفقه ، وكم يبلغ الوقت الذى يجب أن نقضيه ، وكم يبلغ مقدار الطاقة التى يجب أن نبذلها قبل أن نسمح لمجد الله ومهابته بالسيطرة على قلوبنا وقبل أن نقبل صداقته التى يقدمها لنا ؟

الله حكيم

" يعطى الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما . هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور" (دا ٢ : ٢١ - ٢٢) .

" وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له " (يع ١ : ٥) .

عندما نقول إن الله حكيم فهذا خبر سار لنا لأننا نتوقع أن الله يتصف بالحكمة إلى كل الصفات الأخرى التى نعرفها عنه ولكن البشارة السارة حقا هى أن الله قد جعل حكمته فى متناول أيادينا ، فحقا حكمته لا تخذلنا أبدا ، وعندما نطلبها نجدها فى متناول أيدينا .

ولا أدعى أن هذا الإله المملوء بكل الحكمة سيخصلنا من كل المشاكل التى صنعناها بأنفسنا أو التى ساهم آخرون فى صنعها ، فلا

يفرض أبونا السماوى علينا حياة خالية من المتاعب ولكنه يريد لنا أن نحيا معه حياة تقودنا نحو عبادته ، وحياة ستساعدنا على النمو فى القداسة . حياة تكون بمثابة شهادة للآخرين عنه فعادة ما تؤدى المشاكل العويصة إلى أعمق الفرص للحصول على هذا النوع من الحياة.

تأمل فى مثال يوسف الذى أمده الرفض والسجن بالفرصة لينقذ عائلته من المجاعة ، فقد اعتمد يوسف على حكمة الله فى تفسير أحلام فرعون وتقديم النصيحة له ، ونرى أيضاً دانيال وهو ينصح الملوك معتمداً تماماً على حكمة الله الذى نجاه من فم الأسد.

فى عصرنا هذا نرى أن شخصاً مثل فل كورى تن بوم الذى قبض عليه النازى وزج به فى معسكر الإعتقال قد انقاد بحكمة الله لا لينجى نفسه فقط بل أيضاً ليساعد الآخرين ، وكذلك نرى أناسا مثل جونى إيركسون التى كانت حبيسة الكرسى المتحرك نتيجة للحادث المؤسف الذى تعرضت له إلا أنها بفضل حكمة الله استطاعت أن تتأقلم مع وضعها وتكون بركة للآخرين .

فهذا هو وعد الآب : إنه فى كل ظروف صعبة وفى كل تجربة وفى كل مشكلة معقدة لديه إجابة وحل ، وعلينا أن نطلب حكمة الله فقط كما نطلب الجوانب الأخرى لشخصيته مثل البر والرحمة والعدل لكى تظهر هذه الصفات فى حياتنا بوضوح .

يدعم الله كل توجيه يقودنا اليه بحكمته التى بلا حدود ، يخشى كثير من المسيحين أنه إن سلموا حياتهم بالكامل لله فإنه سيطلب منهم الذهاب إلى مكان ما أو القيام بعمل شاق أو ترك الأصدقاء أوالعائلة ليخدموه كمرسلين فى "مجاهل أفريقيا" أو كقسوس فى المناطق الحضرية.

الخطأ الذى يقع فيه مثل هؤلاء الأشخاص هو أنهم يركزون جدا على ما قد يطلبه منهم الله بدلا من التركيز على من هو الذى يتحدث إليهم ، فهل سيطلب الإله المملوء بالحكمة والحب والقداسة والحق منا أن نفعل شيئا أو نذهب إلى مكان ليس فيه حكمة أو حب أو قداسة ؟ بالطبع لا بل على العكس يساعدنا الله على إدراك أحكم الاختيارات أو الأفعال فى اللحظة المناسبة ثم يعطينا النعمة الكافية لنختار هذا الاختيار.

إدرس شخصية الله ، إعرفه من خلال الكتاب المقدس وإدرس شخصية يسوع الذى هو دائما الإله المحب ، والإله الذى يتصف بحكمة غير عادية ولن تتساءل عن صلاحه أو قدرته على قيادة حياتك .

الله قدوس

" وتكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب. وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى" (لا ٢٠ : ٢٦) .

"قدوس قدوس قدوس رب الجنود . مجده ملء كل الأرض " (١ش ٦ : ٣) .

" من لا يخافك يارب ويمجد اسمك لأنك وحدك قدوس " (رؤ ١٥ : ٤) .

يعد الانفصال جوهر القداسة ، فعندما نقول إن الله قدوس فهذا يعنى أنه مرتفع فوق كل مخلوقاته وأنه منفصل تماما عن الشرور الأخلاقية ، يخبرنا الكتاب المقدس بكل الطرق التى يمكن أن نتخيلها إن الله كامل القداسة .

- الله الآب قدوس (يو١٧ : ١١)
- الله الابن قدوس (مت ١ : ٨)
- الله الروح قدوس (مر١ : ٨)
- الله اسمه قدوس (خر٢٧)
- يجب أن نعبد الله بقداسة (مز٢٢ : ٣)
- هناك حكمة فى قداسة الله (أم ٩ :١٠)
- هناك قوة فى قداسة الله (مز٩٩ : ٣ -٥)
- هناك فرح فى قداسة الله (رو١٤ : ٧)
- يفدى الله بقداسة (اش ٤١ :٢٠)
- يحكم الله بقداسة (اش ٥ : ١٦)

والنتيجة الواضحة لهذه القداسة ولهذا الانفصال هو الفجوة العميقة بين الله والإنسان ولا يمكننا سد هذه الفجوة إن لم يسمح الله بذلك ، فلا يمكننا التغلب على هذا الاختلاف إلا إذا جعلنا الله مثله أو جعل الله نفسه مثلنا وهذا بالطبع هو ما يفعله الله بيسوع المسيح ابنه ، فمن الممكن أن تكون هناك علاقة صداقة بينك وبين القدوس لأن الله سد هذه الفجوة وحررنا من عبودية الخطية وأتى ليسكن فينا بالروح القدس .

الله محبة

" أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله وكل من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله و من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة " (١يو٤ : ٧ - ٨) .

تعد المحبة الحق الواضح عن الله وهى الصفة التى تلخص كل شئ آخر وتربط معا كل جوانب شخصيته . الله يحبنا . تأمل فى هذا لدقيقة : الله يحبنا . لقد كان الشعراء على حق عندما قالوا إنه شئ رائع أن يحبك شخص . وبالطبع فإن أروع شئ أن يحبك الله نفسه.

وبما أن هذه الحقيقة الواضحة يمكن أن تُناقش إلى الأبد ، دعونا نركز هنا على أربعة جوانب من محبة الله والتى لها علاقة وثيقة بتمتعنا بصداقة عميقة معه .

أولا : لقد كان الحب هو الدافع الأساسى لله فى سعيه لإقامة علاقة معنا . فقد خلقنا الله بسبب فضله وكرمه بعد أن بعدنا عنه دفعه الحب ليفدينا حتى نتمكن من إستعادة علاقة صداقتنا معه .

ثانيا : ينساب الحب من طبيعة الله . فالمحبة ليست مجرد عاطفة عرضية بالنسبة لله أو شئ يفعله من حين لآخر، لا بل المحبة هى طبيعة الله .

ثالثا : الله أمين نحو هؤلاء الذين يحبهم ، فقد أخذ على نفسه عهداً أن يكون مخلصا لنا بغض النظر عن أى شئ آخر، فقد تعهد الله أن يحبنا سواء أحببناه فى المقابل أم لا ، فهذا ما يطلق عليه الكتاب المقدس إسم "العهد" ذلك الوعد الذى يقدمه الله لنا .

رابعاً : إن محبة الله بلا شروط ، فلن يتوقف الله أبداً عن حبنا مهما فعلنا فمحبته هى الصخرة التى يجب أن نبنى عليها كل شئ آخر فى حياتنا ، وذلك على الرغم من أننا قد نخذله ونعانى من نتائج عدم طاعتنا إلا أن الله لا يزال يحبنا ، وفى الواقع فإنها محبة الله هى التى تجعل أبانا السماوى يحزن عندما نرفضه أو نعصيه .

يعلمنا الكتاب المقدس أن خطية الإنسان ستفصله حتما عن الله للأبد إن لم يتب ويسلم حياته مرة أخرى لله ، فمعاناة الجنس البشرى من نتائج التمرد على الله لا تعنى أن الله لا يحبنا ، فالكتاب المقدس يخبرنا: " لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم ... وهذه هى الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو ٣ :١٧ ، ١٩) .

أعلم أنه لابد وأن يكون أمراً صعباً إلى حد ما أن نتأمل فى العديد من الحقائق المختلفة عن طبيعة الله بهذه السرعة ، وما هذه إلا قلة قليلة من صفات الله وطبائعه التى لا حصر لها ! فلا يوجد من يفهم الله تماما حيث تعتمد قدرتنا على مصادقة الله على سر علم اللاهوت . فلا يوجد "امتحان قبول" علينا أن أن نجتازه قبل أن يأتى الله إلينا ويقدم لنا صداقته .

ولكن أليس من الطبيعى أنه عندما تحب شخصا ما فانك سترغب فى معرفته أكثر ؟ بالطبع ، فالله يعلم بالفعل كل شئ عن كل واحد فينا ، و يسعد جداً عندما يكشف لنا عن طبائعه حينما نطلبه ببساطة قلب ونقاوة لقد أعطانا الله نوعاً من " المعونة السمعية البصرية الكاملة " عن طبيعته عندما أتى يسوع إلى الأرض فنقترب من الله عندما نقترب من ابنه ، لذلك فإننا سنوجه اهتمامنا إلى يسوع الآتى .

الفصل الثانى

اللـــه الصديـق

جوزيف سكريفن مريض

وُلد سكريفن فى دبلن عام ١٨٠٢ ودرس الخدمة الإنجيلية فى جامعة الثالوث وعمل طويلا كقسيس، وقد كانت المآسى هى الصفة الملازمة لحياته، فعندما كان شاباً خطب فتاة ليتزوجها، ولكن فى اليوم الذى سبق حفل الزفاف تعرضت خطيبته لحادث غرق، وترك سكريفن انجلترا ليهرب من الذكريات المؤلمة واستقر أخيرا فى كندا، ثم مرض سكريفن وكان على وشك الموت.

وكان هناك جار لسكريفن يجلس معه على فراش مرضه ويلازمه دائما ويهتم بإحتياجاته ويعزيه، وتصادف أن لاحظ هذا الجار ورقة مكتوباً عليها بعض الكلمات، وكانت تلك الورقة تحت الكتاب المقدس الخاص بسكريفن فسأله هذا الجار: "ما هذه ؟"

لقد كانت ترنيمة، كتبها سكريفن وصديق له منذ عام عندما تعرضت والدة سكريفن لمرض خطير، فقد أراد أن يعزيها ببعض التأملات الروحية التى اكتسبها من موت خطيبته، ولم يكن فى نيته أن يرى أحد آخر تلك الترنيمة أو أن تُنشر، وتأثر صديق سكريفن بكلمات الترنيمة العميقة :

يسوع ذلك الصديق
حمل كل خطايانا وأحزاننا
ياله من إمتياز أن نضع
كل شئ أمام الله فى الصلاة
يا له من سلام ذاك الذى نحصل عليه
يالها من آلام بلا معنى تلك التى نتحملها
هذا كله بسبب أننا لا نضع
كل شئ أمام الله فى الصلاة
هل يمكن أن نجد صديقا أمينا جدا
يشاركنا فى كل أحزاننا
يسوع يعرف كل ضعفاتنا
يأخذها للرب فى الصلاة

عندما سمع المبشر المشهور دي. ال مودى الترنيمة التى كتبها سكريفن تأثر بها جدا لدرجة أنه كان يرنمها فى لقاءاته التبشيرية، واليوم تُعد تلك الترنيمة واحدة من الترانيم المفضلة لدى الناس.

سألت مرة إحدى صديقاتى ما السبب وراء فشل الكثير من الناس فى فهم الصداقة التى يقدمها يسوع لهم فى رأيها، ولماذا لا يتمتعون بها ويحيونها فأجابت قائلة إنها تعتقد أن الأجابة على هذين السؤالين موجودة فى أجزاء من رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس.

فى الجزء الأول يصلى الرسول بولس

" كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته. مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته

وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين. وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته " (أف ١ : ١٧ - ١٩) .

يصلى بولس الرسول مرة أخرى بحرارة : "ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم. وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله " (أف ٣ : ١٧ - ١٩) .

هل ترى الخيط المشترك الذى يربط بين الصلاتين ؟ فى كلتا الصلاتين يعترف الرسول بولس بأن الله يريدنا أن نعلم أننا نحتاج إلى التعلق بيده الممدودة نحونا بالصداقة ولكننا نواجه حربا روحية فى فهم هذا الإعلان، مما يجعل هذا الأمر يبدو كمنخل عقلى يسمح بمرور السائل لكنه يمنع الحقائق البسيطة الخاصة بحق الله من المرور للوصول إلى قلوبنا.

هكذا يصلى بولس قائلا " مستنيرة عيون أذهانكم" لنرى ما يقدمه لنا الله حتى " نعلم عظمة قدرته الفائقة نحونا ". متى يحدث هذا وفقط عندما يحدث هذا سنرى أنه ليس علينا أن نجاهد أو نبذل مجهوداً أو نحرز شيئاً لنحصل على محبة الله. يمكننا أن نقبل صداقته ونتمتع بعلاقة حميمة مع يسوع.

من هو يسوع ؟

ما هى الأمور التى يريدنا الله أن نراها ونفهمها عن ابنه الوحيد؟ كما حدث فى الفصل السابق يمكننا أن نذكر قائمة لا تنتهى فعلا، ولكن دعونا نتأمل فى بعض الصفات الرئيسية الخاصة بطبيعة يسوع، فكما يستجيب الروح القدس لصلاة بولس

الرسول الخاصة بأن يساعدنا على فهم هذه الصفات ستغوص هذه الحقائق فى قلوبنا وتقوى علاقتنا مع يسوع.

أولاً : يسوع خالق هذا الكون ومثبته. عادة ما ننسب هذه الصفة إلى الله الآب ولكن الكتاب المقدس يخبرنا بأن يسوع هو الوسيلة التى استخدمها الله الآب فى خلق هذا الكون وتثبيته، فكما يقول بولس : " الذى هو.. بكر كل خليقة. فإنه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُري.. الكل به وله قد خُلق الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل" (كو١ : ١٥ - ١٧) .

ثانياً : يسوع إله فى شكل إنسان. فكما ذكرت من قبل يسوع هو الصورة السمعية البصرية الكاملة لله " الذى هو صورة الله غير المنظور. لأن فيه سر أن يحل كل الملء " (كو١ : ١٥) . وكما أخبر يسوع نفسه تلاميذه : "الذى رآنى فقد رأى الآب " (يو ١٤ : ٩) .

ثالثاً : يسوع مخلص العالم : فدم يسوع هو الشئ الوحيد الذى يفدى كل أنسان من أسر الشيطان، وجسده يقسم من أجل شفائنا، وتضحيته هى التى تغفر خطايانا. "وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص " (أع ٤ : ١٢) .

رابعاً : يسوع راعى الكنيسة : يسوع ليس مجرد خروف ذُبح لأجلنا ولكنه أيضا الراعى الذى يقودنا ويرشدنا ويحمينا، فهو الوحيد الذى يحق له أن يملك تلك الكنيسة التى اشتراها بدمه فهو المؤسس الوحيد للكنيسة وهو الذى بناها أيضا. " هو رأس الجسد الكنيسة " (كو١ : ١٨) .

خامساً : يسوع هو الرب المسيطر على الكون. يسوع هو الحاكم الوحيد لهذا الكون كله لأنه هو مصدر الخليقة وهو صورة الله وهو المخلص وهو رئيس رعاة الكنيسة.

سوف يقف كل إنسان أمام يسوع فى نهاية الزمان ليحاكم على خطاياه، فسيقوم يسوع بتقييم كل إنسان، فهو معيار القداسة فله " ستنحنى كل ركبة وله سيعترف كل لسان قائلا : " إن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبى ٢ :١١) .

أعمق وأعمق

يبدو أن بعض المسيحيين يتمتعون بقرب أكبر ليسوع وعلاقة أعمق معه من الآخرين، فهم ينمون هذا الذى أطلق عليه "تعود مبجل" وهو التعبير الذى يبدو غير مألوف للآخرين. ما سبب ذلك ؟ هل هى محاباة من جانب الله ؟ هل هؤلاء الناس على علاقة حميمة بالله بأسلوب خاص أو ربما يكونون أكثر جرأة من غيرهم ؟ أم هل يختبرون أحاسيس روحية مرتفعه ويطلقون عليها علاقة روحية؟

لا فكما هو الحال فى أى علاقة شخصية هناك أيضا درجات فى العلاقة الحميمة مع الله، ولكننا نحن الذين نحدد درجة هذه العلاقة الحميمة التى نتمتع بها معه وليس الله، واسمح لى عزيزى القارئ أن أقول هذا مرة أخرى لأنها تبدو فكرة سخيفة لمعظمنا أننا نحن الذين نحدد درجة علاقتنا بالله، فيمكننا الاقتراب منه بقدر ما نريد.

لا يمكننا فعل أى شئ لنكسب به حب الله أو حتى لنكون مستحقين لهذا الحب لأن الله يحبنا بلا تحفظ ولا شرط، وهو يقدم لنا صداقته كعطية مجانية ولكن الله يضع شروطاً لعلاقتنا وحدودا معينة تؤثر على قدرتنا على الحصول على محبته واختبارها، فهناك ثمن يجب أن يُدفع ليتم الحصول على العلاقة الحميمة كما يحدث فى الزواج .

فإذا كنا لا نختبر كل شئ نرغبه فى علاقتنا مع الله فهذا ببساطة يرجع إلى أننا لا نعرف ما الذى وضعه الله فى متناول

أيدينـا ويعد الفشل فى فهم صداقـة اللـه لنـا بمثابـة المشكلة التـى يهدفـ هـذا الكتـاب إلـى معـالجتهـا، فقـد يكـون هـذا بسـبب عوائـق معينة تحول بيننا وبين الله (كما سنوضح فى الفصل الخامس).

فقد يرجع هذا إلى أننا لم نختر الاقتراب من الله، وإذا كـان الأمر كذلك فإننا الخاسرون بكل تأكيد، فلن يفرض الله نفسه علينا، إلا أنه مستعد دائماً للاستجابة لنا عندما نفتح قلوبنا له.

ذكرت منذ لحظات قليلة أن هناك درجات فى العلاقة الحميمة مع الله دعونى أشرح ما أريده بهدف وضع خريطة للطريق الذى يمكن أن تسلك فيه فى اقترابك من الله، فأى كان موقعك عل طول الطريق تذكر أنه يمكنك أن تذهب إلى أبعد وأعمق من هذا مع الله.

أولا : يمكننـا أن نعـرف يسـوع كمخلصنـا الـذى خلصنـا مـن خطيتنا : قال يوحنا الرسول : "يا أولادى أكتب الكيم هذا لكى لا تخطئوا.." (١يو٢ :١) هذه هى نقطة البداية لنا جميعا .

كانت هذه هى نقطة البداية التى انطلقت منها سيدة تدعى أنماريا من أمستردام، وقد كانت أنماريا عاهرة لمدة واحد وعشرين عاما وكانت تقف خارج "الكلفت" وهو اسم مركزنا فى مقاطعة الريد ليت.

شعر إثنـان من العـاملين معنـا وهمـا " وران ومرثيـا " بتثقـل خاص تجاه أنماريا فكانا يطلبان منها كل يوم أن تدخل إلى المركز وكانا يقولان لها : " هل تعلمين يا أنماريا أن يسوع يحبك، فلماذا لا تأتين إلى كلفت وتدعينا نساعدك؟ قد نعد لك وجبة من الطعام ! أو نعطيك مكانا لتقيمين فيه لبعض الوقت، ولم يحاولا أن يفرضا عليها الدين ولكنهما عرضا مساعدتهما.

وأستمر الأمر كذلك لمدة أربع سنوات فى كل يوم من أيام الأسبوع كان وران ومرثيا يدعيان أنماريا للدخول وكانت ترفض دائماً، فقد كانت قاسية وتخشى أن تُظهر إحتياجها أو ضعفها للآخرين.

وبعد ذلك استسلمت أنماريا فى يوم ما لسبب غير معروف، فقد دعاها وران لتناول وجبة داخل "الكلفت" وعلى الرغم من أنها لم تكن قد ذاقت الطعام منذ يومين إلا أنه عندما دعاها وران رفضت، ثم خرجت مارثيا ورجتها أن تدخل للمرة الثانية فقبلت، وتناولت أنماريا طعام العشاء داخل "كلفت" .

وعندما أحنى وران ومارثيا رأسيهما، لمس شيء ما أعماق قلب هذه المرأة، وبعد تناول العشاء مكثت لحضور دراسة الكتاب المقدس واستمعت بانتباه كامل إلى ما يقال. وبعد انتهاء دراسة الكتاب سلمت أنماريا حياتها ليسوع فقد قابلت مخلصها .

كان هذا منذ ست سنوات، ولم ترجع أنماريا إلى حياتها السابقة، فقد استمرت لشهور بعد تغير حياتها تأتى لسماع دراسة الكتاب المقدس وحضور اجتماعات الصلاة وتجلس لتبكى بفرح غامر لأن يسوع غفر لها خطاياها وسامحها. فقد كانت هذه المرأة التى كانت عاهرة لمدة واحد وعشرين عاما مثل قطعة الاسفنج الجافة والمتعطشة إلى الماء ترتوى من نعمة الله ورحمته.

ولم تمض فترة طويلة حتى حدث شئ غريب، كنا نعلم أنه منذ عدة سنوات طويلة ولدت أنماريا طفلا وتخلت عنه لآخرين لكى يتبنوه، إلا أنه لأن وبعد تغير حياتها بالكامل قبل المسيح إبن أنماريا الذى كان فى ذلك الوقت يجتاز مرحلة المراهقة .

المرحلة التالية هى معرفة يسوع ليس كمخلصنا فقط بل كصديقنا أيضاً : كان أبى قسيسا ممن يطلق عليهم "واعظ رائد" أو "مؤسس كنيسة"، ففى أوائل الخمسينات كوّن أبى كنيسة جديدة فى لونج بيتش بكاليفورنيا.

وقد كانت هناك شخصيات معينة فى هذه الكنيسة، وأطلق عليهم أبى أسماء مستعارة محببة إلى نفسه، فقد كان هناك تيتواد مالينى الذى كان يحب أمواله جدا لدرجة أنه كان يريد أن يراه الجميع عندما يقدم العطاء، فقد اعتاد أن يضع يديه على بعد قدمين من طبق العطاء حتى تحدث العملات المعدنية رنيناً مسموعاً عندما تسقط على الطبق، وكان هناك جارليك جو، وقد كان أبى يحبه حبا خاصا لأنه كان يجلس فى المؤخرة دائماً مما جعل الآخرين يتجهون نحو الأمام ليبتعدوا عن رائحة الثوم المنبعثة من فمه.

وكان هناك جورنك جورج أيضا والذى أطلق أبى عليه هذا الاسم المستعار (والذى يعنى المتأوه) نتيجة للصلوات التى كانت تمزق القلب والتى كان يرفعها إلى الله، وكان اسمه الحقيقى جورج سميث وكان قائد الشباب فى الكنيسة، وأتذكر أنه فى إحدى الليالى فى الساعة الثالثة صباحا سمعنا طرقا على الباب، وإذ بجورج يقف أمام الباب، فقد كان قد كرس أسبوعين بأكملهما (أجازته بأكملها) ليطلب الله فى الصلاة.

وقف جورج على الباب يبكى " يا قس ماكلينج أريد مساعدة، فقد أظهر الله لى الأنانية الموجودة فى قلبى وأريد أن أعرفه ليس كمخلص فقط فإنى أحتاج إلى الله بشدة، " هل يمكن أن تساعدني؟".

كان لدى جورج سميث الرغبة فى دفع ثمن علاقة أكثر عمقا مع الله، وبالإيمان فتح قلبه فى تلك الليلة لمستوى جديد تماماً من الصداقة مع الله.

لقد تقابلت مع يسوع كمخلص شخصى لى فى هذه الكنيسة بعينها فى ريد ندوافينو، أتذكر هذا الأمر جيدا، فقد كنت فى التاسعة فى عمرى فى هذا الوقت، وكان هناك مبشر متجول يزور الكنيسة ويعقد سلسلة من الاجتماعات، وأستجبت فى أحد الليالى إلى دعوته للذهاب نحو المذبح، ثم مضيت قدما وقبلت يسوع، ولسنوات طويلة عشت فى أمان تام لمجرد معرفتى أن يسوع هو مخلصى.

ولم أقدم على الخطوة التالية إلا بعد سنوات عديدة، فقد كنت فى الجامعة أدرس اللاهوت وقواعد اللغة اليونانية (ويجب أن أضيف إنى لم أحرز نجاحا يذكر فى المادة الأخيرة)، وفى أحد الأيام حين كان زملائى فى الفصل يحاولون فهم الرسالة إلى أهل غلاطية، توقف المدرس عن الشرح فجأة وقال " هل تفهمون ما تقرأون ؟" فنظرت إليه وكانت الدموع تملأ عينيه، ثم أضاف " نحن نقرأ عن يسوع وعن الثمن الذى دفعه حتى نستطيع أن نتحرر من آثار التدين الظاهرى وبالتالى سنعرف يسوع كصديق لنا ".

وفى هذه اللحظة أدركت أنه على الرغم من أننى قد عرفت يسوع طوال كل هذه السنوات إلا أنى كنت عضواً فى هذا النظام الديني، فعندما التحقت بالكنيسة رسميا، أعطونى كتاباً للقواعد يخبرنى بما يمكن أن أفعله وما لا أفعله، وما يجب أن أفعله وما يجب ألا أفعله، فقد بدا كما لو أن هناك قاعدة مرتبطة بكل شئ فى الحياة، وقد وجدت أنه من المستحيل أن ألتفت حولى دون أن أتعدى على إحدى هذه القواعد.

وياله من فرح عظيم ذاك الذى غمر قلبى فى فصل اليونانى هذا عندما أدركت أن نعمة الله هى التى خلصتنى وجعلت الله

يسامحني على كل خطاياي، ويقبلني تماما، وأنه لم يكن بوسعي أن أفعل شيئاً لأحصل على الخلاص، فلسنوات عرفت يسوع كمخلصي، ولكني عرفته كصديق في هذا اليوم.

يعد إدراك حق الرب يسوع في أن يكون رباً وسيداً على كل شئ في حياتنا خطوة ضرورية لنمو علاقتنا معه، فسواء كانت هذه هي الخطوة الأولى في صداقة حقيقية مع الله أم الخطوة الأخيرة إلا أنها خطوة لابد منها.

هو الله، هو خالق هذا الكون والمسيطر على كل مافيه، فهو وحده مستحق أن يملك على حياتنا وهو وحده الذي يستطيع القيام بهذا، فليس قبوله كالمسيطر الوحيد على أمور حياتنا اليومية غباءا.

فحينما نسلم حياتنا ليسوع كرب عليها فإننا نعترف بعدم قدرتنا على التحكم في أمورنا، والأكثر من هذا أننا نعترف أن الأساس الوحيد لصداقتنا مع الله هو الحق فهو الله القدوس والحكيم، فهذا الإله هو وحده القادر على أن يقودنا ويسيطر على كل أمور حياتنا، ويعد عدم قبولنا لسيادته على حياتنا رفض الحق، ولا يمكن للصداقة مع الله أن تنمو بدون هذا الحق.

وتتضمن الخطوة التالية للنمو أن نشترك مع الله في العمل :- فتحدث قفزة في علاقتنا مع الله عندما ندرك أن الله لا يريد أن يخلصنا ويصادقنا فحسب بل أيضا يريد أن يجعلنا شركاءً له ، فنصل إلى مرحلة أننا لم نعد نشعر بالرضا لمجرد أن الله يباركنا بل إننا نريد أن نباركه ونبارك الآخرين باسمه، فتملأنا الرغبة في أن نعمل في حياتنا من أجل الملكوت، ونصبح مستعدين للذهاب في أي مكان يطلب منا الله الذهاب إليه وأن نفعل أي شئ يطلبه منا الله.

بدت سنوات فترة مراهقتى عادية، فقد كنت أذهب إلى المدرسة وأبذل قصارى جهدي، وكنت مهتما بالفتيات، وكنت مفتونا بكرة السلة، ولكن عندما كنت فى التاسعة عشرة وفى فترة الصيف ذهبت فى رحلة طويلة مع "شباب له رسالة" وبعد تلك الرحلة لم أشعر بالرضا لمجرد أنى إنسان عادي .

فقد ذهبنا إلى مكان يدعى بيرد روك فى جزيرة سانت كايت فى الكريبي، وسارت مجموعة منا على أقدامهم لساعات فى الشمس الحارقة ليصلوا إلى قرية صغيرة وبعيدة، ومضينا من كوخ إلى كوخ محاولين أن نجد شخصا يسمح لنا أن نخبره عن يسوع، ولكن لم يقبل أحد أن يتحدث معنا، ولم يدعنا أحد للدخول إلى بيته فى هذا الجو الحار.

وأخيراً قابلنا سيدة عجوزاً كانت مسيحية، وكانت سعيدة جدا لرؤيتنا، ودعتنا إلى الدخول وقدمت لنا مشروبات مثلجة ثم صلت معنا، وقبل أن نرحل طلبت منا هذه السيدة أن نصلى من أجلها، فقد كان من الواضح أنها تعانى من مشاكل فى الظهر وقالت " أريد أن أشفى".

فصلينا كثيراً، وكانت المرأة فى غاية الحماس وكانت تسبح الله وتشارك معنا فى الصلاة، ولكن لم يحدث شيئ إلا أن مقابلتنا معها كانت قد شجعتنا وجعلتنا نرجع مرة أخرى إلى مكاننا ونحن نشكر الرب .

ثم رأيناها بعد ثلاثة أيام، ففيما كنا نستعد للرحيل من تلك المدينة سمعت صوتا ينادى عليّ، وكان صوت تلك المرأة إلا أن الفرق كان واضحا فقد كانت تقف منتصبة وقالت " لقد شفى الله ظهري" .

وغمرنى الفرح والشكر ليس لمجرد أن الله شفاها وهو أمر رائع فى حد ذاته بل لأن الله اختارنى ليستخدمنى فى شفائها، فما من شئ آخر فى الحياة يمكن أن يُقارن بأن يستخدمك الله من أجل الآخرين ؟

وأنا لا أقول إننا لن نصبح شركاء لله إلا عندما يشفى الله هؤلاء الناس الذين نصلى من أجل شفائهم ولكن العكس صحيح، فالله يريد أن يشركنا فى كل ما يفعله، فهو يريد أن يعمل فى وسط جماعة بها أناس عاديون مثلك ومثلي ليستخدمهم في لمس حياة الآخرين.

وأعتقد أن تلك الرغبة الخاصة بأن نصبح شركاء لله كانت موجودة فى قلب الله منذ بداية الخليقة، فيمكنني أن أتخيل الله وهو يقول لنفسه :" ألن يكون رائعا أن يكون هناك آخرون أستطيع أن أشاركهم بعجائب الخليقة ؟" لهذا خلق الله عقلا وفهما وتخيلا للرجال والنساء وقال : " إنى خلقت هذا العالم لكم، فاحيوا فيه، وأعملوا فيه، وتسلطوا عليه، وسأخلق النوته الموسيقية والأصوات حتى تستطيعوا أن تألفوا الموسيقى وسأخلق الألوان والصور حتى تستطيعوا الرسم ، وسأعطيكم المواد الخام حتى تستطيعوا استخدام القدرات التى أعطيتكم إياها وتشاركوني الفرح الذى أشعر به فرح الخليقة.

تغيير جذرى

يكتب بولس فى الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس :" ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح". (٢كو٣ : ١٨) .

تعد عبارة " نتغير إلى تلك الصورة عينها" عبارة عجيبة، فيقول الرسول بولس أنه علينا أن نتوقع استمراراً فى التغير يحدث فى كل واحد فينا، فإننا نتغير من مرحلة من شبه المسيح إلى مرحلة أخري، قد تكون هذه المراحل غير منظورة ولكن بلا شك فإن هذا التغير حقيقي.

ولاحظ أن بولس الرسول وضع كلمة "نتغير" فى زمن المضارع، وفى اللغة اليونانية يطلقون على هذا الزمن زمن المضارع المستمر فيمكننا أن نترجمها "نستمر فى التغير"، فهذا التغير لا يحدث مرة واحدة فقط فى حياتنا أو شئ سيحدث فى المستقبل لكنه يحدث الآن، ويحدث بإستمرار حتى بدون أن نعي.

لاحظ أيضا أن الفعل نتغير ليس مبنيا للمعلوم فلا يقول الرسول بولس أننا نغير أنفسنا " أو أننا نسعى إلـــى تغيير أنفسنا " لكنه يقول " نتغير" وهذه التغير ليس شيئا نفعله بأنفسنا لكنه أمر يُصنع لنا. ومن الذى يصنعه ؟ الله نفسه، ويسوع الذى يسكن فينا، وأيضا الروح القدس فالحياة المسيحية ليست محاولة تغير أنفسنا أو تهذيب أنفسنا لكنه يسوع الذى يغيرنا لنصبح مثله عندما نثبت فيه ونتمسك به .

وأخيراً لاحظ أن هذه العبارة مكتوبة بصيغة الجمع، "نتغير" معا كجماعة من المؤمنين فى الرب، فيجب أن نتغلب على تركيزنا على أنفسنا والأسلوب الأنانى فى التفكير، فالمسيح الذى يعمل فينا ومن خلالنا جميعنا هو مصدر تغيرنا.

يستخدم الله الآخرين لينمينا، فيمكن أن يكون فرحهم عزاء لنا فى حزننا، ويمكن أن تكون كلماتهم وأفعالهم رداً على صلواتنا، وقد يكون إهتمامهم ومحبتهم الشفاء الذى نحتاجه لألمنا.

قام صديق لى وعائلته بجولة فى حديقة الحيوان، وحين كانوا يتجهون إلى قفص الأسود حذر المرشد ذلك الأب قائلا إنه يجب أن يجعل ابنته الصغرى بالقرب منه، وقال إن"الأسود تخرج عادة لتلتمس فريسة من القطيع" .

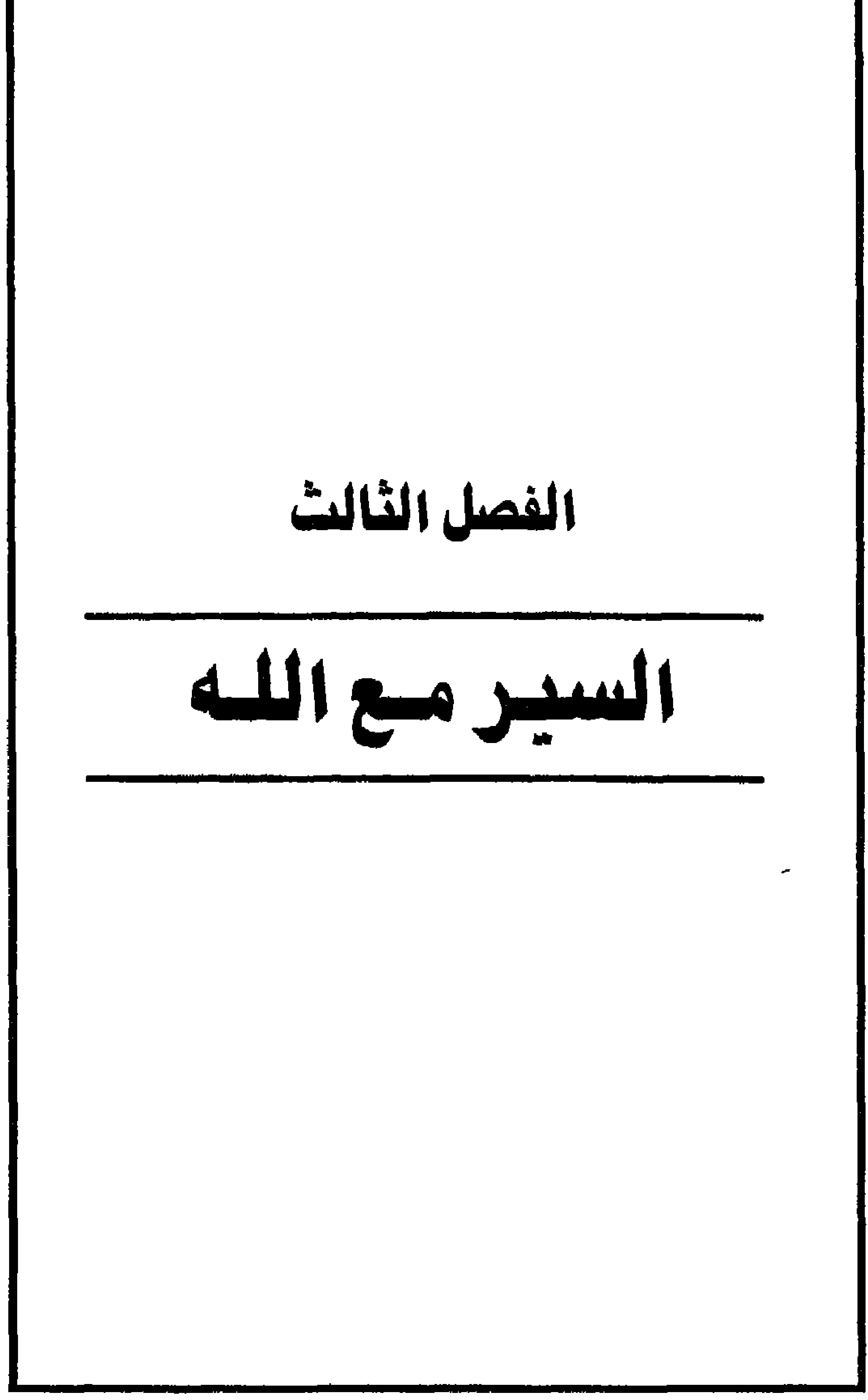
ويذكر الكتاب المقدس نفس التحذير " اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتعله هو " (انظر ١بطرس ٥ : ٨) وأنه أمر هام جداً بالنسبة لحياتنا الروحية أن نكون بالقرب من الجماعة وأن نكون فى شركة مع جسد المسيح.

وإلى حد ما نجد أن تلك الخطوات التى أشرنا إليها فى هذا الفصل قد ذكرت بطريقة عشوائية، ولكن هذه الخطوات التى ذكرتها حقيقية، ولكن فى الواقع نجد أن هذه الخطوات الخاصة بالنمو فى علاقتنا مع الله تتفاعل مع بعضها البعض فهى أوجه مختلفة لنفس الشئ.

فعلى سبيل المثال ذكرت " معرفة يسوع كمخلص " كما لو كانت خطوة أولية يجب حتما أن نمر بها، ولكننا فى الواقع لا نكبر أبدا إلى حد الاستغناء عن خلاص الله، ويمكننا أن نقضى بقية حياتنا نغوص فى أعماق هذا الخلاص ومعناه بالنسبة لنا.

ويمكننا أن نقول نفس الشئ بالنسبة لمفاهيم " الصداقة " و"الشركة " فما هذه المفاهيم إلا طرق ووسائل غير كاملة للاقتراب من السر العظيم " المسيح فيكم رجاء المجد" (أنظر كو١ : ٢٧) ولكننا نحاول أن نجزئه ونصفه لأننا نتناول أمراً بعيداً تماما عن قدرتنا على الفهم فقد أخذ الله على نفسه عهداً بأن يسكن قلوبنا ويغيرنا يوما فيوما وشهرا فشهراً وسنة فسنة "من مجد إلى مجد" .

حقا يسوع الصديق الألزق من الأخ .



الفصل الثالث

السير مع الله

بلا شك نعلم جميعاً قصة علاء الدين، فقد عثر هذا الطفل الصغير علاء الدين على مصباح نحاسي، واندهش عندما مسح بيديه سطح المصباح المطفى فظهر عفريت سحرى وقدم له ثلاث أمنيات. فبامكان علاء الدين الحصول على أى شئ يريده بمجرد أن يطلبه.

وعندما كنت طفلا، أتذكرأننا كنا نستخدم طرقاً كثيرة لنسلى بها أنفسنا ومن بين هذه الطرق أننا كنا نتحدث عما كنا سنطلبه إذا وجدنا مصباح علاء الدين. ثلاث أمنيات ! أى شئ نريده ! ماذا كنا سنختار؟ مليون دولار؟ إحتفال لا مثيل له؟ موهبة رياضية مدهشة؟ رحلة جميلة؟ سيارة رولز رويس ؟ وثم يقفز صبى حكيم بفكرة إن أول شئ نطلبه هو عشر أمنيات أخرى !

وتذكر ترجمات أخرى لنفس هذه القصة القديمة أن معظمنا لن يحسن إختيار الثلاث أمنيات لو كنا فى مكان علاء الدين، فيذكر أحد كتب قصص الأطفال التى كنت أقرأها لابنى قبل النوم قصة عن صياد فقير منحته سمكة سحرية ثلاث أمنيات (عندما تفكر فى الأمر ستجد أن السمكة السحرية لا تختلف كثيراً عن العفريت الذى خرج من مصباح علاء الدين) وقرر هذا الصياد أنه لن يتسرع فى النطق بأمنياته الثلاث، وعلى الرغم من أن الفرح غمر هذا الصياد الا أنه كان يدرك جيدا أن التفكير المتأنى سينتج عنه نتائج أعظم .

وأسرع الصياد الى منزله ليشارك زوجته بهذه الأخبار السارة ولكن زوجته هذه كانت متسلطة، وعندما اشتم رائحة دخان السمك الذى يُطهى على النار استغرق فى تفكير عميق يتخيل الوجبات الدسمة التى سيتمتع بها فى الأيام المقبلة، وبدون تفكير نطق الرجل الجائع بالكلمات التالية " أتمنى أن أحصل على سجق لنأكله مع وجبتنا اليوم"، وبمجرد خروج الكلمات من فمه ظهر السجق أمام أعينهما.

فاندهشت الزوجة لماحدث من زوجها، أفلا يدرك زوجها مدى قيمة هذه الأمنيات؟ وأنه لا يوجد سوى ثلاث أمنيات ! فكيف يمكن أن يضيع إحداها فى شئ تافه مثل السجق، فشعرت الزوجة بضيق شديد وكانت على حق فى هذا فواصلت المرأة تأنيبها لزوجها على حماقته "ياله من غباء ويالها من أفكار سيئة " .

وفى خضم هذه المحاضرة التى كان الزوج يتلقاها من زوجته، شعر الزوج بأنه متضايق من زوجته فقال : أتمنى لو لصق السجق بأنفك" وسريعا لصق السجق بأنف الزوجة ولم يتحرك من مكانه على الرغم من كل محاولاتهما الشديدة ، وهكذا حصل الزوج على أمنيته الثانية .

شعر الصياد بأسف شديد تجاه حالة زوجته ولكن قد تكون قد تعلمت درسا قيما فى النهاية عن ضرورة حفظها للسانها، وواصل تفكيره فى كيفية الحصول على الاستفادة المثلى من الأمنية المتبقية، وعندما بدأ فى إحصاء الاحتمالات قاطعته زوجته قائلة :" لا يمكن أن أمضى بقية حياتى هكذا بقطعة السجق هذه الملتصقة بأنفي".

وأعاد طلبها للرحمة الزوج إلى رشده فقال :" أود لو أن هذا السجق يختفي "، واختفي، وبهذا نجد أن الصياد وزوجته قد استخدما رغباتهما الثلاث، ولم يتذوقا السجق !، ولكننا نأمل أن يكونا قد تعلما دروسا قيمة تعينهم على تحمل جوع الأيام القادمة.

ليس مجرد قصة خيالية

دعونا نترك عالم الخرافات والقصص الخيالية ونوجه انتباهنا نحوك، إذا كان فى استطاعتك أن تتمنى أى شئ تريده، ماذا سيكون هذا الشيء؟ فى الواقع إذا كنت تعرف أن الله سيجيب أى صلاة تصليها، ماذ كنت ستطلب منه؟ مليون دولار؟ سيارة مرسيدس بنز؟ حياة طويلة؟ موهبة شفاء الآخرين؟ ماذا كنت ستطلب؟

حقيقة الأمر أن هناك شيئاً يريد الله أن يمنحك إياه أكثر من أى شئ آخر، إنه السبب الذى جعله يخلق الجنس البشري، والسبب الذى جعله يرسل الأنبياء، والسبب الذى جعله يرسل إبنه يسوع ليعيش من أجلنا ويموت من أجلنا. إن الشئ الذى يريد الله أن يمنحنا إياه أكثر من أى شئ آخر هو نفسه، فهو يريد أن يكون صديقنا.

تلك هى العطية التى يريد الله أن يمنحها لكل واحد منا، وأكثر ما يتمناه الله هو أن نفهم هذه العطية التى سنقبلها منه والتى سنتمتع بها إلى التمام.

وتعد فكرة الصداقة مع الله فكرة غير مألوفة بالنسبة للعديد من المسيحيين، فقد اعتادوا أن يفكروا فى الله كخالق ورب ومانح

الناموس وديان وبالطبع فإن كل هذه التصورات حقيقية ولكن هذه التصورات تميل لكونها باردة وغير جذابة، فحتى المسيحيون الذين يفكرون فى الله كأب لهم عادة ما يتصورنه جامداً ويمنعهم من عمل الكثير من الأشياء أى نوع الآب الذى يمكنهم الاعتماد عليه فى إتمام مسئولياته نحو أسرته ولكن ليس من النوع الذى يمكن وصفه بأنه عطوف وكريم ومتدفق المشاعر كالصديق الحقيقي.

دائماً ما يصور الكتاب المقدس الله على أنه آب محب يريد أن يتمتع أولاده بعلاقة حميمة معه، وعادة ما يجد العديد منا أن هذا المفهوم صعب وغير مألوف، ونعلم جيدا أن العهد الجديد يصور يسوع المسيح بهذه الصورة، لكن ماذا عن الله الآب؟ ماذا عن إله العهد القديم؟ عادة ما يبدو وكأنه يتصف بأى شئ آخر عدا أنه صديق أو قريب منا.

يصور الكتاب المقدس من أوله إلى آخره الله بأنه إله يريد أن يقدم لنا صداقة حقيقية معه أكثر من أى شئ آخر، وبمعنى آخر فإن الكتاب المقدس ماهو الا قصة الله الذى يقدم عطية رائعة للجنس البشرى .

لنلقى نظرة على الكتاب المقدس من بدايته فى سفر التكوين، فعندما يذكر لنا سفر التكوين كيف خلق الله العالم وأول من سكنوا الأرض نجد أن هذه الأصحاحات الأولى تقدم لنا العديد من الحكم وأيضا تقدم لنا أساسا لفهم نوع العلاقة التى يريدنا الله أن ندخل فيها معه.

يستخدم سفر التكوين تعبيراً محددا ليشرح لنا بها علاقة الله مع آدم وحواء ألا وهو أن الله "سار" معهما وهذا هو الأسلوب الذى يدل على أنه يرغب فى علاقة حميمة معهما أو صحبتهما أو شركتهما وكذلك معنا نحن أيضا فهو يريدنا أن نكون بجانبه ونحن نجتاز فى أمور حياتنا اليومية.

وأرى أنه فى الأربعة أصحاحات الأولى من الكتاب المقدس هناك أربع حقائق وثيقة الصلة بالسير مع الله وأرجو أن تأخذ الوقت الذى تحتاجه لتطبق هذه الحقائق على علاقتك مع الله، فهل هذا هو الأسلوب الذى تفهم به الله والذى تقترب به منه؟ وهل تحيا هذه الحقائق فى حياتك اليومية؟

أولاً : أننا نسير مع الله لأننا خُلقنا على صورته. يخبرنا سفر التكوين ١ : ٢٧ " فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وانثى خلقهم " (عندما يستخدم سفر التكوين كلمة " إنسان " فهو يقصد البشرية، والجنس البشري، والرجال والنساء كما أوضح فى نهاية الآية .

وهناك عدة كنوز مختبئة بسبب أننا خلقنا على صورة الله، فمن ناحية هذا يعنى أن الله قد أعطانا عطية الاحساس، ويمكننا أن ندرك ما الذى منحنا إياه، ويمكننا أن نرى ونلمس ونتذوق ونشم ونفكر ونشعر ونتجاوب مع الله.

وقد منحنا أيضا عطية التخيل وهى عطية تتيح لنا فرصة للتأمل والتفكير واستنتاج الأمور الضمنية وراء منحه إيانا هذه العطية الرائعة، فقد وهبنا الله موهبة الإبداع ويمكننا بالفعل أن

نشارك فى أعمال الله فيمكننا أن نستخدم الأمور التى خلقها الله مثل الطبيعة والموسيقى والألوان والعديد من جوانب هذا العالم المادى فى التجاوب مع الله بدافع الحب والعرفان .

لقد منح الله الجنس البشرى موهبة العواطف، فيمكننا أن نختبر التشوق والغضب والأمل واليأس والثقة والخوف والحزن والفرح ومجموعة من العواطف الأخرى ولا تعد مشاعرنا بالطبع أساساً لعلاقتنا مع الله لكنها تقوى علاقتنا معه وتعطيها شكلا، وتسمح لنا هذه المشاعر بالاتصال بالعالم من حولنا بنفس الأسلوب الذى يستخدمه الله، ويوضح الكتاب المقدس أن الله أيضا يملك مشاعر.

ونملك أيضا بعداً روحياً وهو ما يطلق عليه فى بعض الأحيان " النفس" فبإمكاننا فهم العالم الروحى وإدراكه والتجاوب معه ففى الواقع نجد أن هناك جوعا شديدا فى قلوبنا نحو الطعام الروحى وقد منحنا الله عطية قوة الإرادة وهى القدرة على الاختيار وتجعلنا هذه القدرة مسئولين عن التجاوب مع تلك العطية التى منحنا الله إياها وهى نفسه، فيمكننا قبول صداقة الله أو رفضها فقد أعلن خالقنا عن نفسه بالكامل حتى نستطيع أن نجده إذا أردنا، إلا أنه حجب مجده الكامل عن هؤلاء الذين يختارون المضى فى حياتهم بمفردهم، فقد يغمرنا إعلان الله لنا بأنه يريد أن يصادقنا إلا أننا نتمتع بحق الاختيار إما أن نحصل على صداقة الله أو أن نتجاهله ونمضى .

لقد خلقنا الله على صورته ومثاله فنحن نشارك الله فى كل شئ فى طبيعته ماعدا شيئ واحد ألا وهو أننا محدودون لكن الله غير محدود وعلى الرغم من ذلك فمازال بإمكاننا السير مع الله وأن تكون لنا شركة قوية معه لأنه خلقنا على صورته، فيمكننا أن نتواصل معه ونسمع صوته يتحدث إلينا وأن نتحدث إليه أيضا وبالتالى يمكننا أن نتجاوب معه ويمكننا أن نتمتع به، فنستطيع أن نختار أن نسير معه ونشاركه حياتنا كما شاركنا الله حياته .

ثانيا : نستطيع أن نسير مع الله لأنه أعطانا سلطاناً على خليقته "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض " (تك ١ : ٢٦) .

عادة ما نخفق فى تقدير الشرف العظيم الذى منحنا الله إياه بأنه أعطانا أن نشترك معه فى السيطرة على خليقته، فيذكر سفر التكوين فى الأصحاحات التالية أن الإنسان أعطى أسماء لمخلوقات الله وهو يعرف كيف يفرقهم ويتجاوب معهم وفقا لطبيعتهم الفريدة وأن يتسلط عليهم بكل الحب والمسؤلية ويالها فى فرصة متميزة أن نتذوق طبيعة الله وأن نختبر شئيا مما اختبره الله نفسه بصفته متسلطا على كل هذا الكون.

ثالثا : نستطيع أن نسير مع الله لأننا قادرون على الإثمار، "وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا وأملاوا الأرض واخضعوها " (تك ١ : ٢٨) كان الله يرغب فى إنشاء "جنة" مملوءة بالرجال والنساء الذين يعرفونه ويحبونه ويسيرون معه مثل ما فعل آدم

وحواء، فقد أعطانا الله القدرة على إنجاب نسل مثلنا لأنه أراد أن يشارك الجنس البشرى فى تحقيق رغبته السابقة.

فلا تمنح الحياة الجديدة من الجانب الجسمانى فقط ولكن من الجانب الروحى أيضا. فلا يمكننا أن نسير مع الله فقط بل أن نعرف الآخرين بالعلاقة الشخصية مع الآب المحب، وتسمح لنا هذه القدرة على الإثمار بالمشاركة فى اتمام رغبة الله التى هى مصالحة كل البشر مع شخصه.

كان باستطاعة الله أن يبعدنا عن هذه العملية لكنه اختارنا لنكون قنوات لنعمته حتى يستطيع الآخرون أن يصبحوا أصدقاء له. ياله من امتياز! فلسنا فقط محور حبه لكنه يدعونا أيضا لنكون عاملين معه فى الحياة فإن علاقة الله بنا ليست علاقة مؤسسة على نظام محدد لكنها علاقة فعالة فهى تنمو وتتطور ولها مستقبل وتتحرك وفقا لخطة الله طالما أننا نقدم حياتنا لله ولأجله.

رابعاً : تنعكس قدرتنا على السير مع الله فى قدرتنا على المضى فى صداقة مع الله والآخرين. ونرى هذه الحقيقة التى يوضحها الله عندما خلقنا ذكرا وأنثى، "وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنع له معينا نظيره" (تك ٢ : ١٨) لقد خلق الله كلٌ من الذكر والأنثى ليعكس صورته بأسلوبين مختلفين لكنهما مكملان لبعضهما البعض، فيستطيع كلا من الرجل والمرأة أن يتمتعا بشركة خاصة جداً على الرغم من الفوارق الكثيرة الموجودة بينهما، وأعتقد أن هذه القدرة مؤشر لنا على قدرتنا كمخلوقات محدودة على الدخول فى شركة عميقة مع الإله غير المحدود.

وتعكس حقيقة أن الله صنع الإنسان ذكرا وأنثى لتكون لهما شركة مع بعضهما البعض لأن طبيعة الله ككائن إجتماعى وإله يحب العلاقات، فنعلم أن الله له ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس، وعندما نتأمل فى طبيعته الإلهية نجد إشارات لأفضل شركة عميقة، وبالتالى تحمل طبيعتنا الإنسانية إمكانية حدوث هذه العلاقة الحميمة باقتران الذكر والأنثى فى الزواج .

فإن كنا لا نستطيع التمتع بالقدرة التى منحنا إياها الله ألا وهى الصداقة الهادفة مع الآخرين، سيؤثر نفس هذا الأمر على علاقتنا بالله، فربما يريدنا الله أن نستخدم هذا الكتاب لنبرز الموهبة العظمى التى نمتلكها والخاصة بالقدرة على مصادقة الآخرين وكيف يمكنك التغلب على أى عوائق فى حياتك تحول دون تمتعك الحقيقى بتلك الموهبة التى منحك إياها الله وهى القدرة على الدخول فى صداقة عميقة مع الله والآخرين .

ونجد ونحن نواصل قصة الخليقة أن الله يصاحب آدم وحواء فى الجنة ويسير معهما فى المساء (أنظر تك ٣ : ٨)، فهذا هو السبب الذى خلق الله من أجله الخليقة وهو أن يتمتع الله والرجل والمرأة بصحبة عميقة مع بعضهم البعض ومازال هذا هو السبب الذى من أجله خلق الله الخليقة ويظل الهدف الأساسى هو أن الله يريد أن يسير معنا إلى جانب كل هذه الأشياء الجميلة التى منحنا إياها والتى خلقنا من أجلها.

ونجد أن كل هذه الأشياء التى استخلصناها من هذا الجزء من سفر التكوين هى التى جعلت كلا من آدم وحواء يشعر بالخوف،

فقد " اختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ " (تك ٣ :٨ -٩)، ربما لا أحتاج إلى أن أذكرك بأنه عندما لا يستطيع الله أن يجدك فهذا معناه أنك لست فى المكان الذى يجب أن تكون فيه.

خارج النطاق

منذ عدة سنوات أجرى والدى جراحة القلب المفتوح، وبعدما ترك وحدة العناية المركزة تم تزويده بجهاز إرسال صغير ليضعه على حزامه، وتم توصيل جهاز الإرسال بعدة أسلاك على عدد من مراكز الاتصال فى جسده حتى تستطيع الممرضة أن تراقب المؤشرات الحيوية فى كل الأوقات حتى عندما يذهب ليتمشى .

بعد مضى أسبوع من العملية شعر أبى ببعض التحسن فقرر أن يذهب ليتمشى فترة أطول من تلك التى اعتاد أن يتمشاها، فاستقل المصعد ونزل إلى الطابق الأول فى المستشفى وتجول بالقرب من حضانة الأطفال وألقى نظرة على الأطفال حديثى الولادة، وتفقد الكافتريا ثم اتجه إلى محل الهدايا وتصفح عددا من المجلات.

ثم فجأة رأى أبى فوضى فى الجانب الآخر من الطابق، رأى ناساً يجرون هنا وهناك ويدفعون عربات المرضى فى طريقهم ووجد شخصا ينادى على اسمه قائلا : " ماكلينج ! ما كلينج ! إين ماكلينج؟" ثم انفجرت فى وجهه ممرضة ذات وجه أحمر وصرخت فيه قائلة : " هل أنت ماكلينج؟"

فأجاب أبى " نعم، لماذا، ما المشكلة ؟ ". ما المشكلة؟ المشكلة هى أنك تعديت نطاق جهاز الإرسال المتصل بحجرة الممرضات. فقد اختفت فجأة كل المؤشرات الخاصة بك واعتقدنا أنك قد توفيت.

هذا ما حدث تقريباً مع آدم وحواء فقد انزلقا خارج نطاق الله، فقد خرج الله بكل الحب والاهتمام ليبحث عنهما، وهو درس لنا نحن أيضا، فعلينا دائماً أن نحذر من أن ندع قلوبنا تخرج خارج نطاق الله، فعندما نبعد عن الطريق الضيق سيأتى الله ليبحث عنا، فهو يحبنا جداً، وهو يريد أن يسير معنا .

الله لديه الرغبة فى الذهاب لمسافات طويلة لينادى علينا عندما نبعد وقد حدث مثال غير عادى على هذا فى مكان قريب من كاليفورنيا وهى الولاية التى أعيش فيها. فقد خرج واعظ مشهور ليتجول بسيارته فى الطريق الصحراوي، وفى مكان ما من الطريق توقف واشترى مجلات جنسية ثم التقط إحدى العواهر من الطريق، وبالطبع من الواضح أن هذا الرجل مازال عبداً للخطية .

وعندما لاحت فى الأفق سيارة الشرطة كان الخوف والذعر قد تغلبا عليه، وفيما هو يحاول أن يحشو هذه المجلات الممنوعة تحت مقعده اهتزت عجلة القيادة فى يديه فاعتقد رجال الشرطة أنه سكير وأمروه بالوقوف على جانب الطريق.

وتصادف وجود صحفى فى نفس المكان يراقب الموقف، فعلم اسم هذا الواعظ المشهور وتداولت أخبار محاولته للهرب فى كل مكان حول العالم.

وأمامنا الأن خادم موهوب للإنجيل وكان يتقاضى مبلغاً كبيراً من المال، وكان برنامجه الأسبوعى فى التليفزيون يلمس مئات الناس، ومن يعلم عدد الناس الذين أتوا إلى الرب وتغيرت حياتهم بسبب وعظات هذا الخادم؟ وعلى الرغم من هذا فقد أخذ الرب منه كل شئ بما فى ذلك المال والخدمة والصيت الحسن.

لمذا؟ لأن الله يحب هذا الواعظ. الله يحب هذا الرجل بشدة لدرجة أنه كان يرغب فى أن يجتاز الواعظ فى موقف محرج للغاية حتى يخلص هذا الميشر من خطاياه. فمن وجهة نظر الله نجد أن صداقته لشخص ما أهم بكثيرجدا مما نقوم به من أجل الله أو مدى اتقاننا لما نقوم به.

وأتساءل عن المدة التى كان الله يصارع فيها هذا الرجل ليجعله يدخل معه فى علاقة صداقة نقية؟ ولكن الواعظ لم يترك خطاياه. فعندما خرج من نطاق وصول صوت الله إليه كانت ذراع الرب أطول لتنجيه. فبعدما أدانه الله وحذره مرات عديدة وصل الله إلى هذا الإنسان بطريقة عجيبة ألا وهى أنه حرمه من خدمته.

عطية الله : تمنح وتُقبل لكنها لا تكتسب

يبدو أننا نمر بأوقات عصيبة حتى نفهم هذا الشئ أقصد أن الله يقدم لنا صداقته كعطية. فليس لزاما علينا أن نكتسبها. وعلينا أن نفعل شيئاً حتى نكون مستحقين لها. ففى الواقع لا نستطيع أبدا أن نكتسبها أو نكون مستحقين لها بغض النظر عن المحاولات المغنية التى نبذلها. فيمنحنا الله هذه الصداقة لمجرد أنه يحبنا.

وبالطبع ليس هذا ما يريدنا الشيطان أن نفهمه، فبمجرد أن يقدم لنا الله عطية مصادقته وبمجرد أن نقبلها يأتى الشيطان ليبث فى أذهاننا أكاذيبه فيقول لك " أنك لا تستحق هذا، فعليك أن تفعل أشياء كثيرة لتثبت أنك تستحق هذه الصداقة " .

أليس هذا هو ماحدث مع آدم وحواء فى "الجنة"؟ فقد وضع الله أمامهم كل عجائب الخليقة وكل علاقات حبه لهما، ثم قال لهما الشيطان :" حسنا، كل هذا رائع، ولكن هناك المزيد، فإذا أكلتما من ثمر هذه الشجرة، ستصبحان مثل الله فعلاً .

ألم تسمع نفس هذا الصوت يهمس فى أذنك من قبل؟" إذا كان يمكنك أن تصلى أكثر، ستصبح فعلاً إنساناً روحياً، وإذا قضيت وقتا أكثر مع الكتاب المقدس، ستصبح بالحق مقدسا، وإذ كرست أياما أكثر للصوم، وأعطيت الله من أموالك أكثر من هذا وقضيت وقتا أكثر فى الشهادة سيحبك الله جدا جدا، وإذا أطلت فترة خلوتك الصباحية كل صباح.."

هل يبدو هذا مألوفا؟ إن هذه الجملة، الأخيرة الخاصة بفترة الخلوة تبدو مألوفة بالنسبة لي، فأول شئ تعلمته فى بداية معرفتى بالمسيح أنه يجب عليّ أن أقتطع وقتا من اليوم لأقضيه مع الله، فكنت أقرأ كتبا وأسمع شرائط وعظات عن أهمية قضاء وقت مع الله، وكان هدفى هو قضاء ساعة بأكملها مع الله كل يوم لأقرأ فيها الكتاب المقدس وأصلى وأستمع لصوت الله فإذا كنت قد حققت هذا الهدف فى يوم ما أشعر أنى إنسان روحي، وإذ لم...

يا ترى ما هوالخطأ فى هذا الأسلوب من التفكير؟ تعلم السماء أنه لا يوجد خطأ فى قضاء وقت مع الله كل يوم ولكن بالنسبة لى كان الأمر مختلفاً تماماً، فقد كان قضاء هذا الوقت كل يوم بمثابة شئ أفعله لأحاول به أن أكسب حب الله، فإذ قضيت ٤٥ دقيقة فقط مع الله كنت أشعر أنى لا أستحق أن أسير معه، وإذا تأخرت فى الاستيقاظ فى الصباح كنت أشعر أن هناك حربا ستأتى على بسبب عدم قضائى لهذا الوقت مع الله فأقول : " لقد فات موعد خلوتى ماذا سأفعل؟"

وأنى سعيد جدا الآن وأنا أخبرك أنى تحررت من دين "فترة الخلوة" وهذا ليس معناه إنى لم أعد أقضى وقتٍ فى الصلاة ولكن العكس تماما فقد أحببت جداً قضاء وقتا مع الرب وإذا كان هذا الوقت هو ساعة فى الصباح فهذا رائع وإذا كان فى فترة أخرى من اليوم فهذا أيضا رائع، فقد أحببت أن أتكلم مع الرب ليس فقط فى وقت خلوتى ولكن على مدار اليوم أينما كنت وأيا إن كان ما أقوم به، وكنت أمزح أحيانا مع الناس بأنى أشعر بالأسف من أجلهم إن كانوا لا يمضون إلا ساعة واحدة فقط مع الرب ولا يمضون ٢٤ ساعة معه.

قلب لقلب

لماذا نشعر بحساسية شديدة نحو محاولة اكتساب صداقة الله؟ فإننا ندرك تماماً كم خذلنا الله لهذا نحاول أن نتغلب على شعورنا بالذنب والعار بأن نظهر لله كم نحن مخلصون، وكم نشعر بالأسف، وبمعنى آخر فأننا نشعر أننا علينا أن نمثل من أجل الله لنُظهر له أننا جادون لهذا نبحث عن قواعد لنتبعها وعن معايير

لنطبقها وعن أهداف لنحققها، وطوال الوقت نجد الله يقول : "دعونا نسير سويا، فأنا لا أريد أعمالك إنما أريد قلبك، صداقتى عطية، أنت لا تستحقها ولا يمكنك أن تكتسبها ولكنى أريد أن أمنحك إياها لأنى أحبك".

منذ عدة سنوات اكتسبت خبرة معينة بسبب تعاملى مع ابنتى "ميشا" وهذه الخبرة جعلتنى أفهم هذا الحق الكتابى من وجهة نظر الله فعندما إلتحقت ميشا بالمدرسة الإعدادية، كان أول نشاط تمارسه بالمدرسة هو الرقص، فاقتحمت إبنتى الحجرة التى أقضى وقتا فيها للدراسة وأخبرتنى وهى فى قمة السعادة بهذا الخبر وقالت " هل يمكن أن ألتحق بهذا النشاط؟"

وشعرت أننى ممزق فعلا، فمن ناحية لا أستطيع أن أسمح لها كأب بالذهاب للرقص وهى مازالت فى الثانية عشرة من عمرها، وهذا على الرغم من أنى كنت متأكدا من أن حفلات الرقص التى تقام فى المدرسة تتسم بالمحافظة والشرعية، ولكن من ناحية أخرى وبما أنى كنت أعظ لسنوات طويلة وأعلم ضد اتباع كل ما يبدو شرعيا ومألوفا كنت أعلم أن الذهاب إلى حفلات الرقص فى المدرسة ليس خطية، وشعرت أن تطبيق القواعد الصعبة التى تقول " لا يجب الذهاب إلى حفلات الرقص" سيكون له أثر عكسى على المدى الطويل.

ولكن من ناحية أخرى أنا خادم مسيحي، وواعظ ورئيس منظمة إرسالية وشخص يلجأ إليه الآخرون لطلب المشورة، فما نوع الرسالة التى سأوديها إذا سمحت لابنتى بالذهاب إلى حفلات الرقص بالمدرسة ؟

وكانت " ميشا" تحملق فى بكل ترقب، فلم ترد أن تلعب دور المعالج النفسى وهى ترى أباها يمر بصراعات عاطفية. فهى تريد الحصول على إجابة، ربما جزء منها يريدنى أن أقول "لا" ولكن الجزء الباقى يريدنى أن أقول إذهبى .

إذن كيف سأجيبها؟

أجبت : ميشا، لن أقول لكِ إذهبى أو لا تذهبي"

فنظرت إلىّ متحيرة، وقالت لى بصوت خفيض :"لماذا"؟

فأجبت "لأنى لا أريد أن أعطيك إجابة بسيطة ثم تمضين، ولا أريد أن نتعامل مع بضعنا البعض على أساس قواعد أضعها وتنفذيها، لكنى أريد أن أصل إلى قلبك وأريدك أن تصلى إلى قلبي، وإلى أن يحدث ذلك سنصلى ونطلب من الرب أن يعلن لنا رأيه فى هذا النوع من الرقص وسنفعل ما يقوله ".

فتحدثنا طويلا، وبعد مضى عدة ساعات اتفق قلبى مع قلب إبنتى فقالت ميشا : " أعتقد أنى فهمت هذا، أنت تهتم بى وتحبنى وتريدنى أن أكون صديقة لك وتهتم فعلا بما يمكن أن يحدث لى ".

فقلت : "بالضبط، لقد فهمت. الآن يمكننى أن أعطيك أوامر وقواعد لكنى لا أريد هذا، فقد أكون غير موجود عندما تحتاجين إلىّ، ولكنى أريد أن أسلحك بالقيم والمبادئ التى ستساعدك على الالتجاء إلى الرب وأتخاذ القرار السيلم بنفسك، فهل أنت مستعدة لذلك؟"

فاستغرقت ميشا فى تفكير عميق ثم قالت نعم.

ثم قلت "حسنا، أنت الان تفهيمن اهتماماتى والصراعات التى أمر بها الآن وتعين جيداً إنى أثق فيك لكنى قلق عليك، أنت الآن تفهمين مشاعرى وأعتقد أنك تشعرين إنى أفهم مشاعرك فقد تحدثنا سويا والآن لنصلى ونسأل يسوع.

ثم عادت إلىَّ ابنتى بعد فترة وقالت : "يا أبى أعتقد أن يسوع قال لى : لا تذهبى ".

وكان هذا ما حدث فقد اجتزت وميشا هذه العملية عدة مرات فى فترة دراستها بالمدرسة الثانوية، فقد قضيت معها أوقاتا للتمشية للتحدث ليس فقط فى حفلة رقص المدرسة ولكن فى مسائل أخرى كثيرة، فقد تمشينا وتحدثنا معا كثيرا حتى عرفنا وفهمنا مشاعر بعضنا البعض ثم توجهنا إلى الرب.

أعتقد أن الرب يريد أن تكون علاقتنا به على هذا النحو، فهو يريد أن يتحدث إلينا وأن يلمسنا ويضمنا إليه ويقول لنا " أنا معك، وأحبك فلست مجرد عنصر فى جدول أعمالى أو مسألة تحتاج إلى حل لكنك ابنى وابنتي، أريد أن أسير معك وأريد أن أعلمك طرقى وشخصيتي، لا أريد أن أعطيك قواعد لتسير عليها لكنى أريدك أن تنمو لتصل إلى مرحلة النضوج حتى تستطيع أن تقرر لنفسك ما هو الصواب وما الخطأ؟

وفى إحدى المرات وأنا أعظ عن هذا الموضوع وقفت سيدة صغيرة السن فى وسط الجموع وكانت تجلس فى مؤخرة الغرفة

وانفجرت فى البكاء وقالت " إذا كان هذا صحيح، فلا أعرف ما الذى يجب على أن أقوم به، إنى لا أشعر بالأمان على الأطلاق".

كنت أفهم رد فعل هذه السيدة ولكنى رأيته رد فعل محزن، فقد كانت تتلقى التعليمات طوال فترة حياتها مع الله من الآخرين، ولهذا فقد جعلتها هذه الفكرة الخاصة بالسير مع الله بدون هذه التعليمات تشعر بعدم الأمان، فشرحت لها أن الله عنده شئ أعظم لها ويريدها أن تسير معه.

أماننا فى يسوع وليس فى القواعد، فالله يريد أن يقيم علاقة معنا ويريد أن يعطينا عطية الصداقة معه ويريد أن يسير معنا وعندما نملك هذه العطية ونسمح له أن يسير معنا ونتوقف عن القيام بأى محاولات لنحصل بها على حبه سنجد أن كل هذه الأمور ستتلاشى من تلقاء نفسها فى حضوره.

دعونا نلقى نظرة متفحصة على الله الذى يريد أن يكون صديقاً لنا وما يخبرنا به الكتاب المقدس عن كيفة سعى الله يسعى على مر العصور لمصادقة الإنسان.

الفصل الرابع

خطة الله عبر الزمن

يعد الكتاب المقدس بأكمله كتابا يحكى قصة الله الذى يحاول أن يوضح للإنسان أنه يريد أن يصادقه، وقد ألقينا نظرة سريعة على سفر التكوين، ولكن ماذا عن بقية الكتاب المقدس؟ دعونا نلقى نظرة شاملة وسريعة ونرى كيف أن موضوع صداقة الله يتدرج فى كل جزء من كلمة الله، وسنلقى نظرة على الكتاب المقدس وفقا لتصنيف الأنواع المختلفة من الأسفار التى يضمها مثل الناموس والأسفار التاريخية والأنبياء والأسفار الشعرية والأناجيل ورسائل بولس.

الله فى الناموس

عندما نتحدث عن الناموس فاننا نتحدث عن أول خمسة أسفار فى الكتاب المقدس وهى سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وتبدو هذه الأسفار بصفة خاصة اقل الأسفار التى توضح الفكرة التى تقول إن الله يقدم صداقته لهؤلاء الذين يتمردون عليه وهذا بالنسبة لعدد كبير من الناس، حيث نجد فيها أن الله يسلم الوصايا العشر ونقرأ فيها قوانين وقواعد كثيرة ومفصلة تتعلق بكل جانب من جوانب الحياة تقريبا .

لماذا أعطى الله هذه الوصايا العشر لشعبه ولماذا شرع لهم الناموس؟ هل الله فعل هذا ليضع حدودا على أنشطتنا؟ أو أنه وضعها ليخبرنا بما يجب أن نفعله حتى نحظى بحبه ونتمتع بصداقته؟ أو لكى يوجهنا إلى طريق واضح به نصل إلى القداسة؟ أو أنه وكما يعتقد بعض الناس (لكنهم لا يملكون الشجاعة الكافية للإفصاح عن ذلك) ليمدنا الله بالأسلوب

الذى يستخدمه ليقرر من يذهب إلى السماء ومن يذهب إلى الجحيم أى أنها بمثابة كمبيوتر إلهى ؟

"إذا سألك إبنك غدا قائلا. ما هى الشهادات والفرائض والأحكام التى أوصاكم بها الرب إلهنا. تقول لابنك. كنا عبيدا لفرعون فى مصر فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وصنع الرب آيات وعجائب عظيمة ورديئة بمصر بفرعون وجميع بيته أمام أعيننا. وأخرجنا من هناك لكى يأتى بنا ويعطينا الأرض التى حلف لآبائنا. فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض ونتقى الرب إلهنا ليكون لنا خير كل الأيام ويستبقينا كما فى هذا اليوم" .

(تث ٦ : ٢٠ - ٢٤)

لاحظ أن كلمة شهادات هى إحدى الكلمات التى استخدمت فى هذه الفقرة لتصف الناموس، فيعمل الناموس بمثابة شهادة لما يريده الله،فقد أعطانا الله الناموس لا ليعاقبنا أو يؤدبنا به ولكن ليصف لنا به ما فى قلبه وما هى طبيعة شخصيته، ففكر فى هذا الأمر ولو للحظة ما الذى سيكون أسوأ من أنك تعرف أن هناك كائناً جباراً، وهو سيد هذا الكون ورب الكل، وهو الذى يقرر مصيرك لكنك لا تعرف ما الذى يسره وما الذى يحزنه؟

فعندما ننظر إلى الناموس كوصف لشخصية الله وأن الله أعطانا إياه ليحمينا ويباركنا ندرك أن هذه الفرائض والأحكام التى تبدو جافة ما هى الا تعبير عن حب الله ورحمته للجنس البشري، فقد كان هدف الله من إعطاءنا هذا الناموس هو حمايتنا ومساعدتنا على التمتع بعلاقة معه "فاسمع يا إسرائيل واحترز لتعمل لكى يكون لك خير وتكثر جدا كما كلمك الرب إله آبائك فى ارض تفيض لبنا وعسلا" (تث ٦ : ٣) .

وقد تركزت دوافع الله فى إعطائنا هذا الناموس إلى توجيهنا لصداقته التى يريد أن يقدمها لنا، وأن يحفظنا من الأمور التى قد

نرتكبها والتى لو ارتكبناها ستحول بيننا وبينه وليحفظنا أيضا من عدم الطاعة ونتائج الخطية، وكان أهم دافع وراء إعطائنا هذا الناموس هو أن يقربنا الله إليه حتى يباركنا ويمنحنا عطاياه الصالحة ويقدم لنا بمرور الوقت طريقاً أفضل وبذلك نرى أن الله وضع الناموس لخيرنا دائما "وليقودنا إلى مصادقته.

الله فى الأسفار التاريخية

تذكر العديد من أسفار العهد القديم قصصا عن شعب إسرائيل وكيف تعامل الله معهم على مر القرون، وهذه الأسفار تشمل سفرى الأخبار وسفرى صموئيل الأول والثانى وسفرى الملوك الأول والثانى وإستير ونحميا وغيرها ونرى فى هذه الأسفار إخلاص الله نحو شعبه أكثر من أى شئ آخر، فقد قطع معهم عهداً وهو عهد يوضح حبه العظيم بغض النظر عن عدد المرات التى لم يطيعوه فيها وبغض النظر عن العار الذى جلبوه على اسمه.

وقد ذُكرت بعض تلك القصص بدقة شديدة لأنها تحمل فى طياتها إشارات لشخصية الله، ومن بين القصص المحببة إلى نفسى قصة مفيبوشث إبن يوناثان ابن شاول أول ملوك إسرائيل.

كان مفيبوشث يحيا حياة صعبة، فعندما كان فى الخامسة من عمره أتت إليه أخبار تحمل هزيمة جده الملك شاول وكذلك أبيه يوناثان فى المعركة وأن هناك ملكاً جديداً ألا وهو داود قد اعتلى العرش، وفى هذه الأيام، كان كل أفراد عائلة الملك المخلوع يُقتلون حتى لا يشكلوا أى تهديد للملك الجديد.

فقد كان مفيبوشث بمثابة وريث للعرش عندما تم خلع الملك شاول ويوناثان، وخشت المربية التى كانت تعتنى بمفيبوشث على حياته. "كان ابن خمس سنين عند مجيء خبر شاول ويوناثان من

يزرعيل فحملته مربيته وهربت ولما كانت مسرعة لتهرب وقع وصار أعرج واسمه مفيبوشث" (٢ صم ٤ :٤).

وهكذا تحمل مفيبوشث الحياة كأعرج وخائف دائما على حياته ومختبئا من الملك الذى كان يفترض أنه يريد أن يقتله.

ولكن داود كان مختلفا عن بقية الملوك فمنذ عدة سنوات أقسم على صداقته لأبى مفيبوشث يوناثان، وعندما أدرك يوناثان أن خطة الرب هى أن يتبوأ داود العرش بدلا من أبيه ترجى يوناثان صديقه قائلا : "لا وأنا حى بعد تصنع معى إحسان الرب حتى لا أموت. بل لا تقطع معروفك عن بيتى إلى الأبد ولا حين يقطع الرب أعداء داود جميعا عن وجه الأرض"(١صم ٢٠ : ١٤ - ١٦) ووافق داود على طلب يوناثان من كل قلبه.

مرت العديد من السنوات وتثبتت مملكة داود بعد موت شاول ويوناثان، وحظى داود بمحبة الشعب ووسع حدود مملكته من ستة آلاف ميل مربع إلى أكثر من ستين ألف ميل مربع وأعاد العبادة الحقيقية لله فى أورشليم ووحد الشعب وانتصر على أعدائه وبدأ عهد السلام والرخاء .

وتذكر داود وعده ليوناثان بعدما غمره صلاح الرب معه وأراد أن يتمتع الآخرون معه بهذا الصلاح :"وقال داود هل يوجد بعد أحد قد بقى من بيت شاول فاصنع معه معروفا من أجل يوناثان " (٢ صم ٩ :١).

هل تتخيل ذلك ! إننا نتوقع من الملك أن يسأل "هل بقى أحد من أعدائى حتى أقضى عليه؟ " لكن داود يسأل إذا ما كان هناك بقية من بيت شاول ليصنع معها معروفا فأجاب أحد خدام داود :

"فقال صيبا للملك بعد ابن ليوناثان أعرج الرجلين فقال له الملك أين هو؟... فأرسل الملك داود وأخذه.. فجاء مفيبوشث بن يوناثان بن

شاول إلى داود وخر على وجهه وسجد.. فقال له داود لا تخف. فإنى لأعملن معك معروفا من أجل يوناثان أبيك وأرد لك كل حقول شاول أبيك وأنت تأكل خبزا على مائدتى دائماً" (٢صم ٩ : ٣ - ٨) .

يسمى الكتاب المقدس داود "رجل حسب قلب الله "، وتمدنا هذه القصة بلمحة مؤثرة عن قلب الله، فمثل داود الله ليس بخيلاً أو محباً للانتقام أو شحيحا فى حبه، بل على العكس يبحث الله دائما عن نسل ليظهر به أمانته وحبه "لأنه برجوعكم إلى الرب يجد إخوتكم وبنوكم رحمة.. لأن الرب إلهكم حنا ن ورحيم ولا يحول وجهه عنكم إذا رجعتم إليه "(٢ أخ ٣٠ : ٩) .

فنندهش عندما نقرأ الأسفار التاريخية الموجودة فى الكتاب المقدس لأنه على الرغم من ابتعاد شعب إسرائيل عن الرب مرات كثيرة جدا، إلا أن الرب يظل أمينا ورحيما ويعيدهم إلى صداقته معهم، ويتبع الله نفس هذا الأسلوب فى معاملته لنا .

الله فى أسفار الأنبياء :

تظهر خدمة الأنبياء وحياتهم التناقض الشديد بين شخصية الله وطبيعته مقارنة بالشخصيات الأخرى فى الكتاب المقدس، يصف الأنبياء صورة لله الذى يهتم بشعبه جداً وذلك بدون سلبية أو تملق. ومن الأسفار المحببة لى هوشع وهو الذى صرح بهذا الرجاء الحزين للإسرائيليين :

"هلم نرجع إلى الرب / لأنه هو افترس فيشفينا / ضرب فيجبرنا / يحيينا بعد يومين / فى اليوم الثالث يقيمنا / فنحيا أمامه / لنعرف فلنتتبع لنعرف الرب /خروجه يقين كالفجر / يأتى إلينا كالمطر/ كمطر متأخر يسقى الأرض" (هو٦ : ١ - ٣) .

يالها من دعوة رائعة للثقة فى الله الذى أثبت أنه صديق وفى! فيعلم هوشع جيدا أنه هو وشعبه يمران بوقت عصيب،

وفى الواقع نجدهم يعتقدون أن هذه المعاناة هى من يد الله نتيجة لطبيعتهم الخاطئة.

ولكن هوشع يعلم أن الله لا يريد أن يدمر شعبه وأنه لم يرسل خدامه الأنبياء برسالة ليتوعد شعبه بالعقاب والغضب، لكن هوشع يعرف أنه على الرغم من أن الله قد فرقهم إلا أنه فعل هذا لأنه يريد أن يشفيهم وعلى الرغم من أن الله ضربهم الا أنه يريد أن يجبرهم ويحييهم ويقيمهم.

نطق إرميا أيضا برسالة تتضمن التزام الله بعلاقة العهد مع شعبه "هكذا قال الرب. لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغنى بغناه. بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى أنى أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا فى الأرض لأنى بهذه اسر يقول الرب" (ار٩ : ٢٣ ، ٢٤).

لمْ تكن مهمة الأنبياء أن يتنبأوا بالمستقبل كما نعتقد وذلك على الرغم من أنهم كانوا يفعلون هذا فى بعض الأحيان، ولكن كانت مهمتهم هى الإفصاح عما يدور فى قلب الله نحو شعبه، وحتى عندما كانت الرسالة النبوية تشتمل على تحذير وتوعد للخطية إلا أن قلب الله المحب كان يظهر بوضوح، حيث يظهر إله رقيق ورحيم يريد أن يكون صديقا مخلصا لشعبه المختار.

الله فى الأسفار الشعرية

فى الواقع، يعد سفر المزامير السفر الشعرى البارز فى الكتاب المقدس وقد كتب داود معظم أصحاحات هذا السفر، ومعظم هذه الأصحاحات قصائد شعرية عن حب الله وعطفه ورحمته، فقد أختبر داود شخصيا الرب كصخرة ملجأ وكترس من هجمات الظروف وتقلبات الحياة. "يكون الرب ملجأ للمنسحق. ملجأ فى أزمنة الضيق" (مز٩ : ٩).

لا يستطيع أحد أن يكتب مزمور١٨ إلا إذا كان قد اختبر الرب كصديق أمين له .

" اللـه طريقـه كـامل. قـول الـرب نقـي. تـرس هـو لجميـع المحتمين به. لأنه من هو إله غير الرب. ومن هو صخرة سوى إلهنا". (مزمور١٨ : ٣٠، ٣١) .

وجميعنا يعرف الأصحاح ٢٣ من سفر المزامير وهو الأصحاح الذى يفرح فيه داود باهتمام الرب به. " الـرب راعى. فـلا يعوزنـى شئ. فى مراع خضر يربضنى إلى مياه الراحة يوردنى يرد نفسى. يهدينى إلى سبل البر من أجل اسمه. أيضا إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخـاف شـرا لأنـك أنـت معـي. عصـاك وعكـازك همـا يعزيـانني. ترتـب قدامـى مـائدة تجـاه مضـايقي. مسـحت بـالدهن رأسي. كاس ريا. إنما خير ورحمة يتبعاننى كل أيام حياتي. وأسكن فى بيت الرب إلى مدى الأيام ".

حتـى فـى أعمـاق اليـأس اسـتطاع داود أن يقـول :" انتظـارا انتظرت الرب فمال إلىَّ وسمع صراخي. وأصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة وأقام على صخرة رجليَّ. ثبت خطواتي. وجعل فى فمى ترنيمة جديدة. تسبيحة لإلهنا. (مز٤٠ : ١ - ٣) .

فهم داود أن الله لا يهتم بالنشاط الدينى بالدرجة الأولى لكنه يهتم بحالة قلوبنا، فبعدما اقترف داود خطية مع بثشبع اعترف قائلا :

"لأنـك لا تسـر بذبيحـة وإلا فكنـت أقدمهـا. بمحرقـة لا ترضـى ذبائح الله هى روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مز٥١ : ١٦ - ١٧) .

فيقـدم داود فـى هـذه المزامـير مدحـاً بأسـلوب شـعرى علـى كـل صفات الله مثل عدله وقداسته وقوته وقدرتـه لكـن داود يتغنـى برحمـة الله وعطفه وحبه الذى لا يتغير وأمانتـه نحـو شعبه أكثر من أى شئ آخر، فمضمون كل قصائد داود هو ثقته الأكيدة أن الله الذى يسبحه هو إله الحب والصديق الحقيقى وهو الأمين لكل الذين يثقون فيه.

الله فى الأناجيل

وبالطبع نجد أن الإنجيل هو الإعلان الجلى عن تصميم الله أن يكون صديقا لنا، فيحوى الإنجيل تلك الحقيقة الواضحة وهى أن الله أصبح مثلنا وأتى ليعيش بيننا ومات ليأخذ بدلا منا العقاب على طبيعتنا الخاطئة، فقد كان يسوع هو تعبير عن رغبة الله فى أن يدخل معنا فى علاقة حميمة، ولا نندهش عندما نجد الكثير من أمثاله وتعاليمه تشير إلى هذه النقطة.

ونجد فى إنجيل متى تسلسلاً للأحداث يؤيد هذه الحقيقة، فنقرأ فى الأصحاح ١٩ عن مقابلة يسوع لشخص أطلق عليه اسم "الشاب الغني" فقد أتى هذا الرجل ليسوع ليسأله سؤالا هاما لأنه كان مهتما بحياته وحالته الروحية فيقول له "أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحيوة الأبدية "(متى ١٩ : ١٦) .

ربما يمكنك أن تستنبط من سؤال هذا الشاب أنه يسير فى الاتجاه الخاطئ، فهو يسأل " أى صلاح أعمل؟ "وعندما بدأ هو ويسوع فى مناقشة وصايا الله قدم هذا الشاب الغنى شهادة صلاحه الديني، فقد كان يدعى أنه يحفظ الوصايا كلها منذ حداثته :"هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فماذا يعوزنى بعد؟" (متى ١٩ :٢٠) .

قال له يسوع "إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى" (مت ١٩ : ٢١) .

ألا تعتقد أن هذه الإجابة صعبة؟ فأمامنا شاب صادق يريد أن يعرف كيف يرضى الله، فقد اجتهد ليحفظ كل الوصايا، ولكنه لا يريد الاكتفاء بهذا فيسأل عما يمكن أن يفعل. يذكرنى هذا الشاب بطالب يسأل معلمه عن واجبات منزلية أكثر ليقوم بها، فماذا قال له يسوع؟ بع كل أملاكك ! أتركها!

نطق يسوع بكلمات صعبة فقبلها هذا الشاب كما يلى : "فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا. لأنه كان ذا أموال كثيرة" فنبه يسوع تلاميذه إلى "أنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات".

يالها من حقيقة صارخة ! نجد أن إنجيل متى يذكر. "فلما سمع تلاميذه بهتوا جدا قائلين. إذا من يستطيع أن يخلص؟ ألا تسمع نبرة اليأس فى صوتهم؟

لكنهم بذلك بدأوا فى فهم مغزى ما حدث. فنجد يسوع يجيبهم ببساطة "هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شئ مستطاع".

هل تفهم؟ "عند الناس غير مستطاع" لا يستطيع الشاب الغنى أن يفعل شيئا ولا أنا وأنت نستطيع أن نفعل شيئا لنحظى بحب الله أو لنكون مستحقين لصداقته، فقد كان هذا خطأ الشاب كما أنه خطأنا نحن أيضا فقد كان كل مفهومه عن معرفة الله أن يقوم بفعل شئ ما لله، وحاول يسوع أن يكشف عن هذا الأساس الخاطئ فى إقامة علاقة مع الله فلا يوجد شئ يستطيع هذا الشاب أن يفعله ليحظى بصداقة الله أو بعلاقة معه لأن هذا عطية من الله.

كان يسوع يجاوب على الشاب الغنى بالأسلوب الذى يفهمه ليجعله يركز تفكيره على شئ محدد، ليريه أن الحياة الأبدية والصداقة مع الله لا يستطيع هو أن يمتلكهما، فلم يستطع هذا الشاب الغنى أن يبيع كل ممتلكاته حيث أن هذا خارج نطاق قدراته! وحتى لو باع كل شئ، فقد كان يسوع يريده أن يواجه تلك الحقيقة الخاصة باستحالة إرضاء الله عن طريق أداء الطقوس الدينية والقيام بعمل أعمال صالحة لله على أساس أن هذا هو أساس العلاقة مع الله.

ولسوء الحظ نجد أنه من الواضح أن الشاب الغنى لم يفهم هذا، كما لم يفهم التلاميذ أيضا فى البداية، فقد أجاب بطرس فى الحال قائلا : ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك فماذا يكون لنا؟

فأجاب يسوع وقال : "وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولا من أجل اسمي. يأخذ مئة ضعف ويرث الحيوة الأبدية "(مت ١٩ :٢٩) .

ولا يعلن الرب هنا عن وصفة دقيقة كنوع من الاستثمار الروحى الذى يمنح نسبة تزيد بها سنداتك الأبدية، لكنه يقول إن المجازاة التى سيمنحك إياها الله تفوق بكثير ما يمكن أن يفعله بطرس أو أى تلميذ آخر وتفوق أيضا أية تضحية يمكن أن يضحوا بها، لكنه يخبرنا أن مكافأة الله لنا أو مجازاته لا تعتمد على استحقاقنا ولكنها تعتمد على نعمته، ولا تعتمد الصداقة على ما نقوم به ولكنها تعتمد على صلاح الله.

كعادته يشرح يسوع ما يريد الوصول إليه عن طريق سياقه مثالاً دعونا نلقى نظرة على هذا المثال بتدقيق :

"فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة إلى كرمه. فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمه. ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما فى السوق بطالين. فقال لهم اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً (بطالين). فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين. قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد قال لهم اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم. فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله. أدع الفعلة أعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين إلى الأولين. فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً. فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم أيضا ديناراً ديناراً. وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت. قائلين. هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة

وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. فأجاب وقال لواحد منهم. يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معى على دينار. فخذ الذى لك واذهب. فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك. أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بما لي. أم عينك شريرة لأنى أنا صالح. هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين. لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون" (متى ٢٠ : ١ - ١٦).

ونجد أن المغزى الواضح من هذا المثال هو أن مجازاة رب البيت للفعلة لم تكن وفقا لما بذلوه من جهد لكنها كانت وفقا لما أراد أن يمنحهم إياه، وربما قرر رب البيت أن يمنحهم درهماً واحداً لأن هذا المبلغ سيسمح للفعلة بإطعام أسرهم لمدة يوم واحد، وقد يبدو أن هؤلاء الذين عملوا طوال اليوم قد حصلوا على أجر قليل كما يبدو من القصة، وقد يبدو أن كل الفعلة حصلوا على أجر أكبر فقد حصلوا على أكثر بكثير مما كانوا سيحصلون عليه إذا كانوا سيعتمدون على نظام الدفع بالساعة.

وهذا ينطبق علينا فقد حصلنا جميعا على أكثر بكثير مما كنا نتمنى أن نكسبه بمجهوداتنا.

ويعد موقف الفعلة المتذمرين موقفا خداعا، فربما لا يستطيع العديد منا أن يفهم موقفهم لو لم يكن على دراية بيوم الفاعل وأجره، ويلقى "جيرى بريدج" مزيدا من الضوء فى كتابه "النعمة المغيرة" على هذا الموضوع باستخدام مثال من حياتنا المعاصرة.

فى إحدى الجامعات كان هناك فصل لتعليم اللغة الإنجليزية للمستجدين وهذا الفصل كان يضم نوعيات مختلفة من الطلبة، فمن ناحية كان هناك طلبة ملتزمون ومهذبون ممن تعلموا قواعد دراسية سليمة فى المدارس

الثانوية ويلتزمـون بعمل الواجبات المنزلية ويذاكرون جيداً استعداداً للامتحانـات ويقدمـون الأبحـاث المطلوبـة منهـم فـى موعدهـا، وتتسم هـذه الأبحـاث التـى يقدمونهـا بأنهـا جيدة الإعداد.

ومـن ناحيـة أخـرى كـان هنـاك الطلبـة الذيـن لا يبذلـون إلا مجهوداً ضئيلاً حتى يجتازوا الامتحـانـات بالكاد، فنادرا ما يقومـون بعمـل الواجبـات المنزليـة وقلمـا ذاكـروا مـن أجـل الاسـتعداد للامتحـانـات ولـم يسلموا أبداً الأبحـاث المطلوبـة منهـم فـى وقتهـا المحدد، وكمـا هو مألوف فى مثل هذه الفصول نجد أن الأغلبيـة العظمـى من الطلبـة لا تنتمـى لأى مـن الفريقيـن بـل إلى فريق معتدل.

وأخيراً جاء يوم الامتحـان النهـائى وكمـا هو متوقـع جـاوب طلبـة الفريق الأول جيداً على الامتحـان، بينمـا كـانت إجابـات الفريـق الثـانى ضعيفـة، وبعـد مـرور عـدة أيـام وزع المـدرس التقديرات على الطلبة خارج مكتبه، وعندما تجمع الطلبة ليروا التقديرات التى حصلوا عليهـا اندهشوا لأنهم وجدوا أن كل من فـى الفصل حصل على تقدير امتيـان، ولم يستطع طلبـة الفريـق الثـانى تصديـق نتيجتهـم، بينمـا ثـار طلبـة الفريـق الأول لأنهـم أدركوا أن هؤلاء الذين لا يستحقون سوى السقوط لكنهم حصلوا على نفس التقدير مثلهم.

قد يبدو أن هذا ظلمٌ ، أليس كذلك؟ والآن نستطيع أن نفهـم مشاعر الفعلة الذين عملوا تحت حرارة الشمس طوال اليوم، فإذا كانت توجهاتنا الفكرية تميل إلى التفكير بأسلوب ضيق فى ما نستحق الحصول عليه فإن نعمة الله الغنية ستفضحنا.

كان يسوع يعلم جيداً ما يفعله عندما ذكر مثل رب البيت، فقد تعرفت على أناس عرفوا الرب منذ زمن طويل إلا أنهم شعروا بالحقد نحو إخوتهم الذين جاءوا حديثا إلى المسيح والذين يبدو أنهم يحصلون عل بركات خاصة من الرب فقد كان موقفهم مثل موقف الفعلة الذين تذمروا على رب البيت "هذا ظلم يارب! كيف يمكن أن تباركهم بغني؟ لماذا ! فإنهم لم يأتوا إلى ملكوتك سوى الأسبوع الماضى فقط".

ولكن "العمل ليس له أية علاقة بهذا، ففى الواقع علينا أن نأمل بشدة ألا يقرر الله أن يكون "عادلا" معنا، فصدقونى إن الشئ الوحيد الذى لا نريده جميعا هو ألا يعطينا الله ما نستحقه فعلا.

فمازال هناك المزيد من محبة الله لنا، فهو لا يعطينا ما نستحقه فعلا فقط لكنه يقدم لنا ما لا نستحق، وما لا نجرؤ على طلبه، وما لا نتصور أبدا أنه ممكن ألا وهو صداقة حميمة معه.

الله فى رسائل بولس

ربما لم يفهم معظم كتاب الكتاب المقدس عطية صداقة الله بهذا الوضوح مثلما فهمها هذا الرسول، فقد تربى بولس الرسول على "أن يتكل على الجسد" (فيلبى ٣ : ٤) فقد كان بولس يهوديا ذا مكانة مرموقة بين اليهود، وكان يضطهد المسيحيين وكان يطبق الناموس.

لكن الله إقتحم حياة بولس وخلصه من الديانة الظاهرية وعبودية الناموس، وقاد الله بولس إلى الصحراء العربية لمدة ثلاث سنوات ربما لينقى ذهنه من الاعتماد الكامل على اليهودية، فقد أراد الله أن يظهر له أن الله ليس إله التدين الظاهرى "إله اليهود فقط" - (رو ٣ : ٢٩) لكنه

إلـه كـل البشر. فقد أعلـن لبولـس أنـه يشتـاق لصداقــة هـؤلاء الذين خلقهم على صورته وأنه على الرغم من أن البشر رفضوه وتجاهلوه إلا أنه مصمم على أن يصادقهم .

ولـم يستطع بولـس أن يظل صامتـا بعدمـا أظهـر لـه اللـه هذا الإعلان "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مـع اللـه بربنـا يسوع المسيح. الذى بـه أيضـا قـد صـار لنـا الدخـول بالإيمـان إلى هذه النعمة التى نحن فيهـا مقيمـون ونفتخـر علـى رجـاء مـجد اللـه.. لأن محبـة اللـه قـد انسـكبت فـى قلوبنـا بـالروح القدس المعطى لنا "(رو٥ : ١،٢،٥) .

كـان بولس يعلم أن الله قد خلقنـا لتكـون لنـا علاقـة وشـركة معه، فقد خلقنا الله لنصادقـه، فقصـة الخلاص التـى هـى تـاريخ البشرية كما ذكر فى سفر التكوين إلى سفر الرؤيا يمتلئ بهذا الموضوع، فقد خلقنا اللـه على صورتـه لنعرفـه ولنحكم معـه. لقد خلقنـا الله وبنـا قدرة على إقامـة العلاقـات تلك القـدرة لا تـجـد صدى إلا فى إقامة علاقة محبة معه .

وفوق كل ما فعله الله لنا نجد أنه قدم لنا ابنه يسوع، حيث يركز كل التاريخ على المسيح ذلك الذى جعل الصداقـة مـع اللـه واقعا يمكننا الحصول عليه. وكما سنرى فى الفصول القادمة أن يسوع هو الذى فدانا من طبيعتنا الساقطة وأعادنا إلى شركتنا مع الله، وأنه يسوع هو الذى نجانـا لنقبل هويـة جديـدة من اللـه وعلاقة جديدة بالكامل مع الله .

الفصل الخامس

التديـن الظـاهـرى والهويـة الخاطئة

كما هى العادة انطلق صوت رنين المنبه مبكراً عن الوقت الذى كان يتوقع أن يرن فيه، فمد ذراعه بالكامل إلى المنضدة المجاورة يتلمس طريقه حتى عثر على زر فى أعلى الساعة ووضع نهاية لهذا الطنين الذى كاد يقوده إلى الجنون، ثم انزلق مرة أخرى تحت الغطاء وعيناه مغمضتين وحاول أن يجمع شتات ذهنه.

لقد كان يتجول فى الطريق لمدة - يبدو وكأن هذه المدة دهراً من الزمن - أيام وأسابيع، وعملية لا تنتهى من التجول فى الغرف الفندقية، حيث توجد نفس المراتب ونفس التلفزيونات ونفس اللوحات المعلقة على الحوائط، ونفس المنبهات التى ترن قبل الميعاد المتوقع.

ما الساعة؟ ليس لديه أدنى فكرة. أين هو؟ لا يستطيع التذكر، ففى الوقت الحالى لم يكن متأكدا من حقيقة من هو، لكنه غير مهتم بالمكان الموجود فيه.

ويعد الإحساس بالجوع هو الشيء الوحيد الذى كان متأكدا منه. حسنا فهذه نقطة بداية منطقية، فهو يريد الحصول على شئ ليأكله، فتلمست يداه المنضدة المجاورة لسريره حتى وجد التليفون فوضع السماعة بين رأسه والوسادة ثم أدار القرص على رقم (٠)، ثلاث رنات... أربعة.. خمسة وأخيرا إجابة على الرنين.

"عاملة التليفون "

"من فضلك، أوصلينى بخدمة الغرف"

"أنا آسفة ياسيدى فلم أسمعك جيدا"

" خدمة الغرف. أود أن أطلب طعام الإفطار"

ثم كانت هناك فترة من الصمت "أنا آسفة يا سيدي. لا يمكنني مساعدتك في هذا الأمر. فعليك أن تطلب الرقم الخاص بالاستعلامات".

فاستشاط غضبا. وفكر أطلب أنا؟ "لا أريد سوى طعام الإفطار. فهل تعتقدين أن الوقت مازال مبكرا جدا على طلبه.

" لا يا سيدي. لا أعتقد أن الوقت مبكرا على طلبه، لكن... "

ففكر في نفسه قائلا : "ولكن ماذا؟ ما هى المشكلة؟ " ثم قال لها : "إنى متعب للغاية وأشعر بجوع شديد" .

" نعم يا سيدى بإمكانى أن أفهم أنك متعب، لكنى أعتقد أنك لو أدرت مفتاح الإضاءة ونظرت حولك ستجد أنك لست فى أحد الفنادق" .

فجلس على سريره وأدار مفتاح الإضاءة ونظر حوله، لقد كانت عاملة التليفون على حق، لأنه كان فى منزله وفى حجرة نومه.

لقد وقعت أحداث هذه القصة الحقيقية لأحد أصدقائى بعدما أنتهى من القيام برحلة طويلة، وكان فى شدة التعب والإرهاق لدرجة أنه نسى للحظة من هو وأين هو، واتصل بعاملة تليفون تعمل بقطاع التليفونات وليس بعاملة التليفون الخاصة بالفندق الذى كان يعتقد أنه نزيل فيه، وكانت هذه القصة تعبيرا حقيقيا عن أحدث حالات خطأ الإنسان فى تحديد هويته.

لقد كان الموقف الذى تعرض له صديقى مضحكا، ولكن يعانى عدد كبير من المؤمنين اليوم من حالة من الخطأ فى تحديد هويتهم

بدرجة أسوأ من هذه بكثير، فعندما قبلنا المسيح لم نفهم تماما من نحن كأولاد الله وكأصدقاء له، ونتيجة لهذا بذلنا جزءا كبيرا من طاقتنا لنصارع ولنحاول أن نصل إلى شئ كان الله قد منحنا إياه بالفعل، وذلك لأننا نحاول الحصول على شئ نمتلكه بالفعل، حيث يعد التدين بديلا عن العلاقة الحقيقية مع الله.

فنحاول بطريق الخطأ أن نكتسب هويتنا بما حققناه مما أقنعنا أنفسنا أننا يجب أن نقوم به وذلك بدلا من أن نكتسبها كعطية من الله لنا، فحتى عندما نسمع البشارة السارة الخاصة بأن الله يقدم لنا صداقة حقيقية مع شخصه كعطية مجانية نجد أننا نمر بأوقات عصيبة حتى نصدق هذا الأمر، فنفكر قائلين "ليس أنا، وربما أى شخص آخر لكن هذه الصداقة ليست لى أنا"، فنصبح حالة أخرى من حالات الخطأ فى تحديد الهوية.

عملات معدنية من السماء

قرأت عن تجربة قام بها تلاميذ أحد فصول علم النفس فى الجامعة، فسلم الأستاذ الجامعى لكل تلميذ من تلاميذه مجموعة من العملات المعدنية ثم أرسلهم إلى المحلات العامة والتجمعات التجارية ونواصى الشوارع بعدما أعطاهم تعليماته بأنه عليهم أن يعطوا عملة معدنية لكل شخص يمر أمامهم، ولم يسمح لهم الأستاذ بأن يشرحوا للناس ما يحدث أو أن يجيبوا على أسئلة الناس، فكان من المفروض أن يعطوا هذه العملات المعدنية فقط بدون أى شروط. **هذا يبدو شيئاً عظيماً. أليس كذلك؟ أموال بدون مجهود!**

ولكن حدث شئ طريف، فقد رفض الناس أن يأخذوا هذه النقود. هل تصدق؟ لم يقبلوا عملات مجانية؟ وقد سأل بعضهم أسئلة مثل هذه "من أنتم؟ ولماذا تفعلون هذا؟ وما

المقـابل؟ "ولكـن معظـم النـاس أداروا رؤوسـهم ومضـوا فـى طريقهم دون أن ينبسوا بكلمة.

تخيل لو كان هذا المبلغ الذى يوزع ألف دولار أو حتى مليون دولار؟ هل يمكنـك أن تتخيل هـذا؟ أنـك تسير فـى الشـارع - فـى حـالك - فتجـد شـخصا يقـول لـك "هـذه الحقيبـة بهـا مليـون دولار، أودك أن تأخذها. تفضل".

مـاذا سيكون رد فعلك؟ أعتقد أن معظمنـا سيفعل مثلمـا فعل النـاس الذيـن أجريـت عليهـم التجربـة السـابقة، فسنشـك فـى هـذا الشخص فوراً وسنتساءل "من يكون هذا الشخص؟ "ولمـاذا يفعل هذا؟ هل هذه أموال خاصة بتجارة مخدرات؟ لماذا يحاول إعطائى هذه النقود؟ ما المقابل؟

والمأساة الحقيقة هى أن معظم النـاس يفعلون نفـس الشـيء مع عطية الله، فلا نستطيع أن نصدق أنها أمر حقيقي، ولا نستطيع أن نقبلها ببساطة لكننـا نقول" لابد وأن يكون هنـاك مقـابل، لابـد وأن هنـاك شيئاً يجب أن أفعله لأحصل على هذه العطية " .

فلدينـا هذا الاتجاه ألا وهو أننـا نجد من الصعب قبول عطيـة كما هى حتى ولو كانت هذه العطية من الله، فتقول لله :" حسنا يا الله. ما الذى يجب أن أفعله مقابل هذه العطية؟ هل عليّ أن أصلى أكثر؟ أقضى وقتـا أكثر فى خلوتـى الفردية؟ أدرس فـى مـدارس الأحد؟ أقدم المزيد من أموالى لك؟

أو نفكر فـى أنفسنـا قـائلين "لابـد وأن يكـون هنـاك خطـأ مـا، فلابـد وأن اللـه أخطـأ وأعطـانى هـذه العطيـة بـدلا مـن أن يعطيهـا لشخص آخر، فلابد وأنه كان يريد إعطاءها لشخص آخر".

إعترف بهذا :ألم ينتابك دائماً هذا الشعور؟

اعتدت أن أستمتع بالحصول على كروت غير تقليدية، وكلما اتسمت هذه الكروت بعدم التقليدية كان ذلك أفضل، وتعرف أسرتى هذا الأمر عنى لذلك فى كل عيد أب أو فى كل عيد ميلادى يحاول أفراد أسرتى التفوق على بعضهم البعض فى إبداع كروت غير مألوفة، وأتذكر جيدا أحد هذه الكروت الذى أهدته لى ابنتى ميشا وكان مطبوعاً عليه بالخط البارز من الخارج ما يلى :

أعتقد أن هناك أناساً قد أتوا إلى هذا العالم من أجل أهداف نبيلة، وأعتقد أن قدر عدد قليل من البشر أن يكونوا فى منزلة أعلى من الباقين ، أعتقد أن القدر يتدخل فى حياة الصفوة المنتخبة من الأشخاص المتميزين ويحصنهم بمستوى أرقى فى الوجود.

لقد أدهشتنى هذه الكلمات التى تعبر عن عاطفة سامية وبدأ قلبى يشعر قليلا بنوع من أنواع الغطرسة والكبرياء، ثم فتحت الكارت وقرأت الرسالة التى كانت مكتوبة داخله : " أعتقد أنك لست من هؤلاء الناس. عيد ميلاد سعيد".

لقد أحببت هذا الكارت جدا، ولكن المأساة الحقيقية هى أن الكثيرين منا فى أعماق أعماقهم يفكرون بهذا الأسلوب عندما يكون الأمر متعلقاً بالله، فإننا نعتقد أن هناك أناساً يتمتعون بمكانة مميزة فى عينى الله، أناساً محببين إلى قلبه مميزين جدا له، أناساً باركهم الله بأسلوب خاص، أناس قربهم إليه فى علاقة فريدة معه. لكننا أيضا نؤمن بأننا لسنا من ضمن هؤلاء الناس.

لكننا نحن أيضا ننتمى إلى هؤلاء الناس، فهذه هى رسالة هذا الكتاب، فكما رأينا فى الفصل السابق هذه هى رسالة الكتاب المقدس كله، فأنا وأنت أشخاص يقدم لهم الله الدخول فى علاقة حميمة ومميزة جدا معه، ولكننا لا ندرك هذه الحقيقة ألا وهى أننا نرفض قبول هذه العطية ونرفض الاعتراف بأننا أصدقاء لله بما

أننا مسيحيون مفديون بدمه هذه الحقيقة ما هى إلا حالة من حالات الخطأ فى تحديد هويتنا.

يدرك معظمنا أن الله يريدنا أن نكون أصدقاءه، لكننا أيضا ندرك أننا نفتقد هذا المستوى الأعمق فى الحياة فى المسيح وفى الدخول فى علاقة صداقة مع الله. هل يمكن أن يكون هناك ملء ودفء وعمق وفرح لنا بالنعمة لكننا نفتقده؟

هل استحوذ هذا الأسلوب من التفكير على عقلك لسنوات؟ فقد أصبحت طرق بذل المجهود الشخصى وأدانة النفس ظاهرة للغاية، فقد نكون قد جربنا الخطة ذات السبع خطوات والحقيقة ذات الخمسة أبعاد للوصول إلى النضوج الروحي. فنستمع إلى العظات ونحضر المؤتمرات ونشترك فى المجلات المسيحية ونستمع إلى واعظى الحركة كاريزماتية إلا أننا نصاب فى النهاية بالضجر من كل الجهود التى قمنا بها ومن الطرق والوسائل التى أتبعناها.

فنعلم جيدا فى أعماقنا أننا قد خُلقنا من أجل الله ومن أجل الدخول فى علاقة أعمق مع خالقنا، ونؤمن بما يقوله الكتاب المقدس عن العلاقة الرائعة التى يمكننا الحصول عليها مجانا، ونتذوق هذه العلاقة من وقت إلى آخر فى هذه الأوقات الخاصة التى نكون فيها قريبين جدا من الله إلا أن مثل هذه الأوقات قليلة بل نادرة لكننا نفتقر إلى شئ ما نحن نملكه بالفعل، هذا بسبب أنه لدينا فكرة خاطئة عن من نحن، ولماذا خلقنا الله؟

أنا دجاجة

يُحكى (نعم هذه قصة خيالية، ويمكن أن تندرج تحت بند المثل)، أنه كان هناك فلاح يربي الدجاج إلى جانب أشياء أخرى كثيرة كان يقوم بها، وفى أحد الأيام حين كان يتجول بسيارته مر

ببركة صغيرة، وبجانب المياه وجد البقايا المتناثرة لأنثى البط وكان من الواضح أن الثعلب قد قتلها.

ووجد الفلاح عشا لبيض البط لم يره الثعلب، فالتقط الفلاح البيض بعناية وأعاده إلى الحظيرة ووضعه فى عش الدجاجة التى تعيش فى الحظيرة، ونجحت الخدعة التى قام بها هذا الفلاح فقد اعتقدت الدجاجة بطريقة ما أن هذا البيض بيضها، فتحركت لديها غريزة الأمومة ورقدت الدجاجة على البيض كما كانت تفعل دائما حتى فقس البيض .

ولم ينتبه صغار البط إلى الفرق أبدا، فقد اعتقدوا أن الدجاجة العجوز أمهم وساروا وراءها وهى تتجول فى الحظيرة مثلما تفعل الكتاكيت، ولم يدرك الدجاج الموجود فى الحظيرة الفرق أيضا، فقد قبلوا البطات الصغيرات على أنها أعضاء فى حظيرتهم.

حتى جاء يوم خلفت فيه عاصفة صيفية كمية كبيرة من المياه فى الحظيرة، فكان الدجاج حريصا وهو يسير على حافة المياه لكن البطات الصغيرات تهادت فى مشيتها وبدون تفكير وبدأت فى التجديف .

فحذرتها الدجاجة الأم قائلة : "أخرجوا من المياه"، "لا يمكنكم أن تجدفوا فأنتم دجاجات وستغرقون". فخرجت البطات الصغيرات من المياه إلا أن الإحساس بالمياه وهى تغطى جسدهم فى هذه الشمس الحارقة كان رائعاً .

إلا أن هذا الحدث كان أول الأحداث التى أدت إلى تشوش صغار البط، فقد بذلوا قصارى جهدهم ليتجاوبوا مع حياة الدجاج إلا أنهم كانوا دائماً يتعرضون لمفارقات محرجة، فعندما حاولوا أن يصدروا صوت قرقرة الدجاج خرج منهم صوت قواء البط.

وفـى بعـض الأحيــان عندمــا يشـعرون بالسـعادة يفــردون أجنحتهـم ويحـاولن أن يطـيروا حتـى يتذكـروا أنهـم دجـاج وأن الدجــاج لا يطـير، فيتطـور شـعورهم بـالحرج هــذا إلـى شـعور بالإحباط ثم يزداد أكثر فأكثر ليتحول إلى يأس، فهم يعلمون أنه ثمة خطأ ما لكنهم لا يعرفون ما هو.

وفى إحدى الليـالى رأتهم بومة عجوز وحكيمة وكانت تجلس على شجرة بالقرب منهم فقالت : "هل أنتم...؟"

فأجـابوا بصـوت خفيـض : "دجـاج ". فقـد كـانوا يشـعرون بالخجل الشديد عندما اعترفوا بهذا، لأنهم كانوا يعلمون أنهم ليسوا أفضل من يمثل مجموعة الدجاج.

فأجابت البومة قائلة : "لا تكونوا سخفاء، فأنتم لستم دجاج بل بط".

فأجابت البطات الصغيرات قائلات :"ماذا تعنين؟" .

فابتسمت البومة قائلة :" أعنى ما أقوله فأنتم لستم دجاج، فلم تخلقوا لتفعلوا ما يفعله الدجاج. ألم تشعروا بأنكم ترغبون فى السباحة فى البركة ألم تشعروا أبداً بالرغبة فى فرد أجنحتكم لتطيروا؟

فأجابوا : "نعم، لقد شعرنا بكل ذلك عدة مرات، لكن الآخرين كـانوا يخبروننـا دائمـا أننـا لا نستطيع القيـام بهـذا، وكـانوا أيضـا يقولون أنه المفروض ألا نفعل هذا " .

فصرخت البومة قائلة : "أنتم بط وقد خلقكم الله لتعوموا ولتطيروا.

فحملق صغار البط فى البومة غير مصدقين ثم نظروا لأنفسهم

فقالت البومة : "ماذا تنتظرون؟"

وهناك مغزى من قصة الأطفال هذه يحتاج الناضجون أن يسمعوه، فإننا نشبه إلى حد كبير صغار البط فقد أتينا إلى عالم ينظر إلى البشر على

أنهم ليسوا أكثر من حيوانات ذكية، فيؤكد لنا العلماء أننا مرتبطون بنظام كونى مادى محدد بالوقت والمساحة والقوانين الأرضية الخاصة بالطبيعة.

وظللنا على حالنا هذا حتى عرفنا المسيح ودخلنا إلى العالم المسيحى الذى يخبرنا بأننا لا نستطيع أن نطير، "فبعد مرور عدة سنوات من معرفتك للمسيح ستصبح شخصا هادئا وستتغلب على الإثارة وستدرك أنه يجب علينا أن نواجه عدة مشكلات ونقبل العديد من الأشياء التى لا نستطيع القيام بها ".

ولكنْ هناك شئ ما بداخلنا يعلم أن هناك أفضل من هذا، شئ ما فى داخلنا يعرف أن الله خلقنا من أجل أمور أفضل، شئ ما فى داخلنا يشعر بوجود واقد أسمى وأعمق وأكثر واقعية فى هذا الذى يحيط بنا فى حياتنا اليومية.

هناك شئ ما فى داخلنا يريد أن يسمو فوق الأمور الأرضية وحدود البشرية وأن يرتفع فوق سلطان الخطية والأنانية ليصل إلى وجه الله ويلمسه ليلبس أجنحة ويطير وليسير مع الله ويثبت فى حضوره ومحبته.

لنشكر الله من أجل القلة القليلة التى أيدت ما كنا نشعر به فى أعماقنا ألا وهو أننا خلقنا من أجل أمور أعظم.. فى الواقع لقد خلقنا لندخل فى شركة مع خالق هذا الكون، فلسنا مجرد حيوانات بشرية، أو كائنات تتطور من طين الأرض لكننا كائنات روحية خُلقنا على صورة الله ومثاله وقد خُلقنا لنعرفه ولنلمسه ولنكون قريبين منه.

ولسنا كائنات روحية من الدرجة الثانية فلسنا فاشلين على الرغم من أننا قد نخطئ، ولسنا مجرد خطاة على الرغم من أننا نرتكب خطايا، ولسنا نتاجاً للضعف والتصورات الخاطئة عن الذات لكننا أصدقاء لله الحى والحق وعندما يغمرنا هذا الإدراك وعندما يتمكن هذا الوعى من قلوبنا يتبقى سؤال واحد فقط : ماذا ننتظر؟

أن تصبح شخصا ما

لقد سألت البومة فى القصة السابقة سؤالا ذا مغزى وذلك على عكس ما يبدو لأول وهلة، ألا وهو "من أنت؟ كيف ستجيب عن هذا السؤال؟ كيف ترى نفسك؟

يجيب معظمنا عن هذا السؤال وفقا للوظائف التى نشغلها أو وفقا لما نقوم به. فقد تقول واحدة "أنا ربة منزل" وقد يقول شخص :"أنا بحار" أو "أنا محام" أو وظيفة أخرى نعمل بها فى الوقت الحاضر.

لكن افترض أن هذا الشخص الذى يسألنا ألح علينا أكثر قائلا: "أنى لا أسألك عن عملك لكنى أسألك من أنت، ما هى هويتك الأصلية؟"

والآن ماذا ستقول؟ "أنا أمريكي.. أنا إنجليزي،.. أعتقد أنى أيرلندى لكنى وُلدت وتربيت هنا، ولكن..".

فيقاطعك ذلك الشخص الذى يسألك قائلا: "لا. إنى لا أسألك من أين أنت لكنى أسألك من أنت؟

هل تدرك المشكلة؟ فنحن نعيش فى حضارة تهتم جدا بما نفعله حيث تقدر وظيفتنا وجنسيتنا قيمتنا، فلن يعرف معظمنا من نحن إذا سُحبت منه "وظيفته"، فهذه هى الطريقة الوحيدة التى تعلمناها للإجابة عن سؤال" من أنت؟"

فقد ارتبط كل شئ تقريبا بإنجازاتنا وما حققناه وما نفعله، فهذا هو الأسلوب الذى نتبعه للتقدم نحو الأمام، وهذه هى الطريقة التى نصبح بها شخصا ما فى هذا العالم ولسوء الحظ فإننا نجد أن عائلاتنا كانت تتبع معنا نفس الأسلوب "سنفخر بك إذ تصرفت بلباقة"، أو "ابذل مجهوداً أكبر فى اللعب فقد تشترك فى أحد الأندية الكبرى فى

يوم من الأيام " , أو "أبذل مزيداً من الجهد فى الاستذكار حتى تستطيع دخول الجامعة "أو "اعمل بجد أكثر حتى تصبح غنيا ومشهوراً" .

فهل نعجب إذا كنا نتبع نفس الأسلوب فى علاقتنا مع الله؟ أقض وقتا أكثر فى الصلاة، واقرأ أكثر فى الكتاب المقدس، واكرز أكثر واخدم فى مجتمعات أكثر. فقد يسر بنا الله "ليس أمراً أكيدا".

ويالها من مأساة أن نعيش حياتنا نعانى من إحدى حالات الخطأ فى تحديد الهوية . فى إحدى المرات كنت أخدم سيدة صغيرة السن كانت تحاول فى هذا الوقت أن تترك حياة الشذوذ الجنسي، فقد سمعت البشارة المفرحة وتجاوبت معها وسلمت حياتها ليسوع واختبرت الميلاد الثانى بأسلوب رائع.

ولكنها كانت ترى أن هويتها الأساسية مازالت "شاذة "وكان علىَّ أن أخبرها مرارا وتكرارا : "لا هذا غير صحيح. فأنت لست شاذة، لكنك كنت معتادة على ممارسة الشذوذ فى الماضى لكنك لست شاذة، فالله لا ينظر إليك من زاوية ما كنت تفعلينه فى الماضي، لكنه ينظر إليك بموجب أنه قد خلقك لتكونى صديقة له وذلك بسبب ما فعله لأجلك، فهو ينظر إليك كابنة له، وكصديقة له ".

كان هناك صراع فى داخل هذه السيدة لكن انفتحت عينا قلبها وبدأت تدرك الحقيقة التى كنت أخبرها بها، وفهمت العطية الرائعة التى منحها الله إياها وهى عطية صداقتها له. ولم تعد ترى أنها شاذة ولكنها ترى أنها ابنة لله.

أدرك أن هناك تدفقاً شديداً فى التعليم المكتوب فى الكتب المسيحية وفى طريقة تفكير معظم هذه الكتب، فالشخص المسيحى ليس من يقبل شيئا رائعا من الله مثل الغفران أو الحياة

الجديدة أو عطية الشفاء أو الروح القدس أو أى شئ آخر، لكن عملية قبول المسيح هذه عملية أكثر من هذا بكثير "فالمسيحى هو الشخص الذى أصبح شخصا آخر مختلفاً تماماً .

فلم تقبل تلك السيدة التى مارست الشذوذ الجنسى الغفران فقط عندما أتت للمسيح لكنها أصبحت شخصا جديداً تماماً، أصبحت إنسانة أخرى فقد أصبحت ابنة لله، وبذلك حصلت على هوية جديدة وفقا لحق البكورية .

التصورات الخاطئة عن النفس

ماذا عن الحالات الأخرى للخطأ فى تحديد الهوية والتى تنطبق على معظمنا؟ يعرف معظمنا نفسة بنفس الأسلوب الذى اتبعته السيدة التى وصفتها من قبل حيث نعرف أنفسنا وفقا لخطيتنا، ففى الواقع أعتقد أن واحدة من أبرز حالات الخطأ فى تحديد الهوية والمنتشرة بين المسيحيين هى تلك التى تقول : "أنا خاطئ لا أستحق أى شئ " .

يعتنق معظم المسيحيين ما أطلق عليه اسمه "اللاهوت الدورى "فقد كانت هناك ترنيمة قديمة تقول : "يالى من دودة حقيرة "يتركز منهجنا الغربى فى المسيحية على الإنسان لدرجة أن الله وما فعل لأجلنا ليسا نقطة البداية ولكن نقطة البداية هى نحن وما فعلناه وما لم نفعله من أجل الله .

بالطبع هناك حقيقة تقول: "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو٣ :٢٣) وبهذا فإن جميعنا خطاة، ولكن إذا سمحنا للواقع أن يصبح الأساس الذى نرتكز عليه عند تعريفنا لأنفسنا سنعانى حتما من حالة متأزمة من حالات الخطأ فى تحديد الهوية .

فلسنا خطاة بائسين يحتاجون إلى التذلل لله والبحث بجد عن طريقة لنستعيد بها حبه. لقد خلقنا إله محب وخلقنا لنكون أبناءه المحبوبين الذين يستطيعون أن يذهبوا إلى أبيهم، فعندما نخطئ إليه أو عندما نخذله نستطيع أن نأتى إليه لنحصل على غفرانه ورحمته.

يعرف بعضنا نفسه على أنه فاشل، وبهذا فإننا نركز على جانب من ضعفنا ومحدوديتنا أو الجانب الذى لم نصل فيه إلى المثالية، فنعرف أنفسنا قائلين :" أنا سمين" أو"لم أنته من المدرسة بعد" أو"لم أتزوج بعد".

قد يكون بعضنا سمينا جدا، ولكن هذا لا يعد هوية، فيقودنا استقاء هويتنا من جوانب الضعف والفشل إلى التفكير فى أنفسنا على أساس أننا لن ننجح أبدا على الرغم من أننا لم نحاول بدلا من أن نفكر فى أن الله اختارنا وأحبنا وأعطانا نعمة لنحقق دعوة الله لحياتنا.

يرى الآخرون أنفسهم على أنهم أشخاص غير روحيين، فعندما يستمعون إلى مرسلين يروون قصصا عن أعمال الله الرائعة معهم يعتقد هؤلاء الأشخاص أنه من المستحيل أن يكونوا مثل هؤلاء المرسلين وعندما يستمع هؤلاء الأشخاص إلى أناس يتحدثون فى كنيستهم عن كيف يصلون ويقرأون الكتاب المقدس لمدة ساعتين يوميا، يقول هؤلاء الأشخاص "سيكون من حسن حظى لو قضيت ساعتين فى الصلاة شهريا".

ولكن لا يجب أن يتصدر هدف الوصول إلى قمة روحية أعلى قائمة أهداف أى شخص، فهدفنا هو أن نحيا فى صداقة مع الله بالوسائل والطرق التى تناسبنا فعندما نكون أمناء مع أنفسنا فى تعريفنا لهويتنا سننمو روحيا يوما بعد يوم، فالله عنده جدول زمنى للأمور الروحية الخاصة بكل فرد منا، ولن نكتشف أبدا أهدافه

لحياتنا عندما نقارن أنفسنا بالآخرين ولكننا سنكتشف أهداف الله لحياتنا عندما ننظر إلى يسوع، وعندما نتجاوب مع خطته لمستقبلنا بدلا من الاتكال على توقعات الآخرين لنا ستنمو صداقتنا مع الله.

ويتشابه هؤلاء الذين يقولون إنهم أناس غير روحيين مع هؤلاء الذين يرون أنفسهم "غير ناضجين"، فيقولون "لا أستطيع أن أفعل أى شئ لله فما زلت طفلا فى المسيح مازال أمامى الكثير لأتعلمه ولأنمو فيه ".

لقد عرفت أشخاصاً عرفوا الرب منذ عشرين عاما لكنهم مازالوا يعتقدون أنهم "أطفالٌ فى المسيح وعرفت أشخاصاً آخرين نموا فى علاقة مثمرة مع الله حتى قبل ما ينتهوا فى استنشاق أول نسمات الحياة الجديدة فى المسيح، حيث تؤثر الطريقة التى نرى بها أنفسنا بشدة على قدرتنا على التمتع بالعلاقة الحميمة التى يقدمها الله لنا .

هناك أناس آخرون يستقون هويتهم من مظهرهم وعادة من جوانب من مظهرهم يعتبرونها غير دائمة، فقد يكون جسمهم سمينا جدا أو نحيفا للغاية أو يكونون طوالا جدا أو قصيرين جدا حيث أنهم وقعوا ضحايا للكذبة التى يروجها مجتمعنا والتى تقول إن المظهر هو كل شئ وأصبح هؤلاء الناس غير قادرين على أن يروا أنفسهم مثلما يراهم الله .

وفى النهاية أعتقد أن هناك تصورات خاطئة عن النفس بعدد شعور رؤوسنا فيبدو أن كل واحد منا قد وقع فريسة لنوع معين من أنواع الخطأ فى تحديد الهوية والصور المشوهة التى نأخذها عن أنفسنا والتى تسلب منا الفرح والحرية والسلام الذى يأتى من الراحة والارتكان على هويتنا الحقيقية كأبناء وبنات محبوبين لله.

ويعد الصراع مع الإحساس الخاطئ بهويتنا أسلوباً يصعب العيش به، فإننا نبذل طاقة رهيبة لنحاول بها تغيير أنفسنا وتحسينها ولنحاول أن نصنع شيئا من أنفسنا ليحبنا الله.

لكن الإنسان المسيحى ليس مجرد خاطئ تُغفر له خطاياه ثم يمضى ليحاول أن يطور وجهة نظره عن نفسه وهو ما يفعله العالم من خلال حصص التمارين الرياضية وشراء الملابس الجديدة أو تحقيق النجاح المادى أو تحقيق إنجازات رائعة فى الحياة أو غير ذلك، فقد لا يكون هناك عيبٌ فى هذه الأهداف وذلك بحيث يكون كل من هذه الأهداف فى مكانه المناسب ولكن لا توجد علاقة بين هذه الأهداف وبين من نحن؟، فما يقدمه الله لنا كعطية هو طبيعة الكتاب المقدس وليس علينا أن نحسِّن من أنفسنا أو نقوم بعمل أشياء معينة من أجل الحصول على هذه العطية، لكننا ببساطة نحتاج إلى أن نقبل تلك العطية الرائعة من الآب الذى يحبنا.

لكن . . .

أعلم ما تفكرون فيه، فكل واحد منكم يقول فى نفسه "لكن أنا خاطئ، وهذا ليس تصورا من نسج خيالى لكنى أعلم جيداً أنى خاطئ وأعرف أيضا أن الله لا يسر بالخطية وأعلم أنى خذلت الله فى مجالات هامة من حياتي، فكيف يتواءم هذا مع كل ما ذكرته عن أن الله يريد أن يكون صديقي" ؟

إنه سؤال ذكى وله إجابة تلائمه، فلا يجهل الله خطايانا وضعفاتنا ونقاط فشلنا، ولا يتجاهلها لكنه يحجبها بستارة كثيفة.

عندما نبدأ فى اختبار علاقة الصداقة مع الله سنرى أن الكتاب المقدس قد وصف هذه العلاقة الخاصة، وسنرى كيف أن سفر التكوين أوضح أن الله خلقنا لندخل معه فى علاقة حميمة منذ

بداية الكون، ولكن هذه الأصحاحات الأولى من الكتاب المقدس توضح شيئاً آخر ألا وهو أن الجنس البشرى سرعان ما اختار أن يرفض عرض الله عليه بالصداقة .

أنت تعلم هذه القصة جيدا فقد أمر الله آدم وحواء ألا يأكلا من شجرة معينة فى الجنة ولكن الشيطان خدعهما فعصى آدم وحواء الله، فقد اختارا اختيارا يتصف بالحمق والأنانية، اختيارا أقره كل إنسان بتصرفاته واختياراته. (أنظر رو ٥ : ١٢) .

فلا يمكن أن تكون هناك صداقة بدون التزام من الجانبين اللذين يصادقان بعضهما البعض، فعندما اختار كلٌ من آدم وحواء أن يخرجا الله من الصداقة فإنهما بذلك يكونا قد اختارا ألا يكون الله هو المسيطر والمهيمن على حياتهما وبذلك يكونا قد ابتعدا عن عطية الله المجانية لهما وهى صداقته التى يقدمها لهما .

وبذلك سمح الله للجنس البشرى أن يسلك فى الطريق الذى يختاره ألا وهو طريق الخطية، وقد سمح الله بذلك وقلبه يمتلأ بالحزن وخيبة الأمل . فيقول الكتاب المقدس : "بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" (إش٥٩ : ٢) ، وبذلك انقطعت الشركة بين الله والبشر رجالا ونساءً أصبحوا عرضة لنتائج الخطية مثل المرض والألم والموت.

يعلمنا الكتاب المقدس أننا قد انفصلنا عن الله، فقد سار كل واحد منا فى نفس الطريق الذى اختاره آدم وحواء : "كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه" (أش ٥٣ : ٦) .

وأصبحت العلاقة الحميمة مع الله بالنسبة لآدم وحواء مجرد ذكرى، وشيئاً حدث لهما فى الماضى ويتذكرونه بصعوبة،

أما بالنسبة لنا فقد أصبحت العلاقة الحميمة مع الله مجرد أمل صعب المنال، لا يمكننا أن نصل إليه لكن هذا لا يمنع أنه موجود، "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله" (مز ١ : ٤٢) .

وفى هذه العلاقة كان الجنس البشرى هو الخاسر الأكبر ولكن الله كان هو الذى عانى أكثر، فإننا لا نعى جيدا احتياجنا، ولا ندرك تماما ما الذى نفتقده، فالله الكلى المعرفة والمملوء بالحب يعرف جيدا البركات التى يريدنا أن نحصل عليها.

وقد اختبر الله الحزن الدفين عندما ظلت هذه البركات غير معروفة لكل الأشخاص الذين انفصلوا عنه. "ورأى الرب إن شر الإنسان قد كثر فى الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب. وتأسف فى قلبه "(تك ٦ : ٥ ، ٦) .

قد يتبادر إلى ذهنك أنه بما أن الإنسان هو السبب فى تمزق العلاقة التى كانت بينه وبين الله فلذلك عليه أن يأخذ زمام المبادرة ليعيد الأمور إلى نصابها السليم بأن يأتى إلى الله ويعتذر له، ولكن هذا لم يحدث، بل على العكس أخذ الله الإله الكريم والغنى جدا زمام المبادرة "لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك "(مز٨٦ : ٥) .

وعادة مالا نقدِّر المهمة الحرجة والمعقدة التى واجهها الله عندما بادر بإعادة علاقته معنا، فحاول أن تفكر ولو للحظة فى هذه المشكلة، فقد مد الله يده بالصداقة للجنس البشرى لكننا رفضناها، والآن نجد أن الله يواجه مهمة المحاولة بأن يجعل الجنس البشرى يرغب فى استعادة علاقته مع الله بل ويشتهى هذا، لكن الله لم يكن راغبا فى أن يتحايل على البشر ليفعلوا هذا.

وكانت هناك أيضا مشكلة الخطية التى يرتكبها الإنسان، فلم يرفض آدم وحواء عرض الله بأسلوب مهذب، ولم تكن تصرفاتهما فى جنة عدن مجرد أن يقولا "لا يا رب شكراً، لكنهما رفضا عطية الله بكل إصرار، وكان هذا بمثابة تذمر محسوب ومرغوب فيه على شئ يعلما جيدا أنه فى وصايا الله لهما.

فى بعض الأحيان عندما يعصى الأطفال آباءهم البشريين نجد الآباء أنفسهم يتغاضون ببساطة عن تصرفاتهم وكأن شيئاً لم يحدث، ويقول الآباء لأنفسهم :" هذا شئ بسيط، لم يكن الأطفال يقصدونه، يمكننى أن أتغاضى عنه هذه المرة " .

هل ترى لماذا لم يكن هذا الاختيار متاحا أمام الله؟ لأن ما فعله آدم وحواء لم يكن شيئا بسيطاً هذا بالإضافة إلى أنه كان واضحا أنهما يعنيان تماما ما فعلا. والأسوأ من هذا أن تصرفهما هذا حدث فى وقت حرج فقد علمت كل الخليقة ما فعله آدم وحواء وبالتالى ستكون الخليقة كلها شاهدة على ما سيفعله الله معهما إزاء عصيانهما .

وسيكون الأمر مخزيا جدا بالنسبة لله لو تجاهل ما فعله آدم وحواء وقال إن التعدى على وصاياه مجرد شئ بسيط.

فلو فعل الله هذا سيكون قد أخطأ فى حق نفسه، فناموس الله ليس مجرد قواعد وأعراف ملزمة يمكن لله أن يخرقها فى بعض الأحيان لكن ناموس الله هو تعبير عميق عن شخصيته.

والأكثر من ذلك سيعلن الله بهذا أن ناموسه وأحكامه ليس لها ثقل، حيث سيضعف هذا الأمر من مصداقيته لأنه قال شيئاً وفعل شيئا آخر، وبدون شك سيضعف هذا التغاضى الأمر الذى يهدف إليه الله ألا وهو رغبة البشرية فى أن تسترجع علاقتها مع

الله فمن هو الذى سيرغب فى الدخول فى علاقة حميمة مع الله الذى لا يستطيع أن يثق فى كلمته؟

لهذا وجد الله نفسه فى موقف عصيب، حيث يطالب الناموس بأن يعاقب الله الجنس البشرى بالانفصال الأبدى عنه، لكن الله كان يريد العكس تماما فقد كان يرغب فى أن يستعيد شركته الحميمة مع البشر. ما الذى يمكن لله أن يفعله إزاء هذا الموقف؟ إنى أسمع أحدكم يقول : "يجب أن يكون هناك شخص بديل يتحمل العقاب الذى كان سيتحمله كل الخطاة".

حتى ولو كان هذا هو الحل فإن هذا الحل يجب أن يوضح أن الله لم يتخل أبدا عن عدالته، وألا سيقلل هذا التصرف من قيمة الغفران الإلهى حيث يجب أن يستخرج هذا الحل من هؤلاء الذين أخطأوا ليعترفوا اعترافا صريحاً بأنهم تعدوا على الله ورفضوا عرضه عليهم بالصداقة وهذا إلى جانب اعترافهم برغبتهم فى رؤية علاقة كاملة بينهم وبين الله. فلا يمكن أن تكون استجابة الله أمرا إجباريا لكنها يجب أن تكون استجابة تحثنا على الاتضاع وتملأ قلوبنا بالرغبة فى التغيير.

فماذا فعل الله؟ كيف تعامل الله مع خطيتنا وفى نفس الوقت أتاح لنا الرجوع إلى العلاقة الحميمة معه؟

معضلة الملك

كنت أعيش فى أمستردام، وعادة ما يزور السائحون فى أمستردام "قصر الملكة "الذى يقع فى الميدان الرئيسى لأمستردام، وفى هذا القصر توجد لوحة حائطية غير عادية طولها حوالى ١٥ قدما وتحكى قصة ملك يونانى قديم يدعى زاليكس.

وقد كان زاليكس يعانى من مشكلة صعبة فى مملكته ألا وهى السرقة، وفعل كل ما بوسعه ليعالج هذه المشكلة فزاد من حجم القوات العسكرية وعددها ولكن السرقة استمرت، وعرض منح مكافآت لمن يسلمون السارقين إلى العدالة، ولكن لم يجلب هذا العرض النتائج المرجوة منه، وأخيرا أصدر الملك مرسوما ملكيا بأنه سيقلع عينى أى شخص يتم القبض عليه متلبسا بجريمة السرقة.

وبدأ كما لو أن هذا المرسوم قد أحرز النتيجة المرجوة منه ولو لفترة، فقد كان الخوف من العقاب الذى أصدره الملك رادعا قويا ولم تكن هناك أنباء لأسابيع عديدة عن وجود أى حادثة سرقة فى المملكة.

ثم ظهرت حادثة، فقد أتى رسول فى أحد الأيام إلى الملك زاليكس ووجهه يكسوه الحزن، حيث قال له أنه تم القبض على سارق متلبسا، ولم يكن هناك أى شك فى أنه مذنبٌ ، ولكن الأسوأ من هذا أن هذه السرقة حدثت فى القصر.

فامتلأ الملك زاليكس بالغضب، فمن هذا الوقح الذى يتعدى على وصاياه ولا يخشى من هذا العقاب القاسى الذى صرح به الملك فى المرسوم بل ويرتكب السرقة فى قصره؟ فأمر الملك أن يحضروا السارق إليه فى الحال.

وتحولت الإثارة التى ملأت حجرة الملك فجأة إلى صمت عندما أتى المذنب وشحب وجه الملك عندما نظر إلى الرجل المذنب، فقد كان هذا الرجل هو ابنه الأمير ولم يكن هناك أى مبرر مقنع لما قام به، ولكن لم يكن هناك شك فى أنه مذنب.

وواجه الملك معضلة صعبة، فقد انتشر هذا الخبر فى كل أرجاء المملكة فالجميع عرفوا المذنب والجميع يعرفون العقاب

الذى أصدره الملك. فماذا سيفعل الملك؟ فهل سيحفظ كلمته ويقلع عينا ابنه؟ أم سيرسله حرا ويعلن للمملكة كلها أنه لم يكن يعنى ما قاله وأن هذه القوانين والمرسوم بلا معنى؟ ما الذى سيفعله الملك؟ فأمر الأب الممزق أن يودع ابنه فى السجن حتى قرر الملك ما الذى سيفعله؟

وبعد مضى ثلاثة أيام استدعى الملك زاليكس ابنه فى غرفته، وأخبره بأنه يحبه بشدة ولا يمكنه أن يتحمل مجرد فكرة أن تُقلع عيناه، لكنه فى نفس الوقت أصدر مرسوما ملكيا، ويجب أن يكون الملك صادقا فى قوله ويجب عليه أن يحافظ على العدالة.

فقال الملك : "لذلك فقد توصلت إلى هذا القرار أنه يجب أن أتمم القانون فسأخلع أحد عينيك وأخلع واحدة من عينى أنا أيضا".

وفعل الملك ما قاله، وكان لهذا التصرف الغريب للملك صدى واضحاً لدى كل المملكة وهو أن الملك زاليكس رجل عادل، لكن أوضح هذا التصرف أن الملك كان رجل رحمة وحنان، وأعجبت كل المملكة برغبة الملك زاليكس فى التضحية بنفسه من اجل حبه لابنه وحبه لمملكته.

توضح هذه القصة ما فعله الله من أجل البشرية، فقد أخطأ الجنس البشرى كله وعصوا الله ولم يكن هناك أدنى شك فى أنه مذنب، ولم يكن أيضا هناك شك فى العقاب الذى أعلنه الله، لكن الله وجد طريقة لينفذ بها ناموسه وفى نفس الوقت يُظهر بها رحمته لنا، فقد وفر لنا بديلا ليحمل عقابنا وهو ابنه الرب يسوع الذى أخذ خطايا العالم كله على الصليب.

وبالتالى نجد أنه الله هو الذى بادر حتى يصالح نفسه مع الجنس البشرى ويسمح لنا أن نستعيد علاقة الصداقة الحميمة

معه، وكان هذا هو الأسلوب الذى يقول به الله "نعم لقد أخطأتم ، نعم لقد تعديتم على وصاياي، نعم، أنتم ضعفاء وغير روحيين وغير ناضجين، لكنى سأصفح عنكم وسآتى بنفسى وأتحمل عقابكم ولذلك فمن الآن وصاعد عندما أنظر إليكم لن أرى الخطية والضعف ولكن سأرى وجه ابني، وسأحمل لكم نفس الحب والعطف واللوم الذى كنت أشعر به تجاه ابنى" .

لذلك فإننا نعانى من حالة خطأ فى تحديد هويتنا فعلى الرغم من ضعفنا ومن طبيعتنا الخاطئة إلا أننا مقبولون فى عينى الله، وقد أتاح لنا الله أن نتصالح معه نتيجة لما فعله، فلم يكن هذا بالأمر الذى نستطيع الحصول عليه ولكنها عطيته، وستظل عطيته هذه تذكرنا بضرورة أن نتضع وعندما نفعل هذا سنحصل على هويتنا الحقيقة وهى أننا أصدقاء لله.

وفى الفصل القادم سنلقى نظرة على معنى هذه الهوية الحقيقية.

الفصل السادس

الهوية الحقيقية
من نحن ؟

لا أختلف كثيرا عن الآباء الآخرين، فأنا أقلق على أولادى ، وأتوق إلى رؤيتهم أصحاء وسعداء ومثمرين فى الحياة، وأتوق إلى رؤيتهم وهم ينمون فى علاقة ثابتة مع الله ويعرفون مقدار محبته لهم ويحبونه ويسعدون بكونهم أولاده.

لذلك لم يكن أمامى سوى أن أبتسم فى اليوم الذى رجعت فيه ابنتى ميشا من معسكر للشباب وكان عمرها ١٢ عاما فى ذلك الوقت وهى فى غاية الحماس لدرجة أنها بالكاد كانت تلتقط أنفاسها ثم قالت بصوت مرتفع : خمن يا أبي . خمن ما قاله لنا أنكل دال ؟ " دال كيفمان وهو قائد خدمة الشباب والمعروف باسم أنكل دال " .

فقلت لها :" لا أعلم يا ميشا. ماذا قال لكم؟"

فأجابت :" قال إن لى خطة، خطة لى أنا، خطة خاصة جدا لى من الله ليس لها مثيل، وظلت ابنتى تتحدث عن الخطة لتى أخبرها أنكل دال بها، وعن مدى روعتها وكيف أن كل شخص له خطة من الله وليس فقط هى .

وفكرت فى نفسى قائلا : يالها من وسيلة يا أنكل دال، لقد استطعت أن تصل إليهم حقا، ثم هدأت ميشا وجلست بالقرب منى على الأريكة وهى تضع رأسها على كتفى وجلسنا معا دون أن

نتحدث ولكننا نستمتع بما نحن فيه، وبعد مرور فترة قصيرة رفعت ميشا رأسها ونظرت إليّ وعيناها تتسعان وقالت : "يا أبى ؟ " .

" نعم يا حبيبتى"

"أريد أن أسأل سؤالا واحداً "

"ما هو"

"أبى ما هى الخطة؟"

لم يكن أمامى سوى أن أبتسم، لقد كانت ابنتى تشعر بسعادة شديدة عندما علمت أن لها خطة لكنها لم تكن متيقنة ما هى الخطة، وأعتقد أن كثيرين منا يمرون بنفس المشاعر عندما يتعرضون لمسألة الهوية، فنحن نشك فيما إذا كان لنا هوية ولا نعلم ما هى الهوية، فقد تعلم عقولنا جيداً أننا أبناء الله الذين تبناهم فى عائلته وأننا ورثة لملكوته الرائع والمملوء بالغنى لكننا لا نعلم بالتحديد ما معنى كل هذا.

فى الفصل السابق تحدثنا عن بعض الهويات الخاطئة التى يحملها بعضنا، ولكن الآن لنحاول أن نكتسب فهما أوضح لهويتنا الحقيقية كأصدقاء لله.

الله لا يرتكب أخطاء

أول ما يجب أن نفهمه بشأن الهوية الحقيقة هو أن الله خطط لوجودنا ولا يوجد حتى شخص واحد لم يخطط الله لوجوده قبل أن يأتى هذا الشخص إلى العالم بفترة كبيرة. فيذكر مزمور ١٢٩ هذا الأمر بأسلوب جميل :

"لأنك أنت اقتنيت كليتي. نسجتنى فى بطن أمي. أحمدك من أجل أنى قد امتزت عجبا. عجيبة هى أعمالك ونفسى تعرف ذلك يقينا. لم تخفِ عنك عظامى حينما صُنعت فى الخفاء ورقمت فى أعماق الأرض رأت عيناك أعضائى وفى سفرك كلها كُتبت يوم تصورت إذ لم يكن واحداً منها". (مز١٣٩ :١٣ - ١٦).

ياله من وصف رائع للأسلوب الذى شارك به الله فى خلقنا، وفى تشكيلنا، وفى إحضارنا إلى هذا الوجود لدرجة أنه خطط لهدفه من حياتنا مقدماً. (بالمناسبة فإن هذه الآيات تجيب على سؤال ابنتى "ما هى الخطة؟").

ربما تكون قد تعبت من حقيقة أنك كنت ابنا لأب وأم غير متزوجين وهو ما يطلق عليه لفظ ابن غير شرعى أو قد يكون أبواك قد أخبراك بأنك كنت " غلطة" وأنهما لم تكن لديهما الرغبة فى إنجاب مزيد من الأطفال لكنك أتيت "خطأ"، أو قد تكون من بين هؤلاء اللذين لم يقابلوا أحد أبويهم أو كلا منهما.

ولكن فى عائلة الله لا يوجد أطفال غير شرعيين ولا يوجد أطفال أتوا بطريقة الخطأ أو الصدفة ولا يوجد أطفال أيتام، فقد تكون هناك بعض التصرفات غير الشرعية لكن لا يوجد أطفال غير شرعيين فى عائلة الله، فالله يريدنا وهو خطط لوجودنا، قد لا يهم الأسلوب الذى أرادنا الله أن نأتى به، ولكن تبقى الحقيقية الراسخة التى لا تتغير وهى أنه على الرغم من ضعف آبائنا وبالرغم من طبيعتهم الخاطئة فقد دعانا الرب السيد إلى هذا الوجود، وقد خطط الله لوجودنا حتى ولو كان آباؤنا قد أخطأوا عندما حملوا بنا، فالله أعظم جداً من الخطايا والأخطاء التى يرتكبها الرجال والنساء.

أتذكر أنه عندما كنت طفلا صغيرا كنت أرى والدى وهو يصنع منضدة، والآن والدى واعظ عظيم، ولكن على الرغم من انه يتقن التبشير بالإنجيل إلا أنه فاشل فيما يتعلق بالنجارة.

وعندما كان يصنع هذه المنضدة بالذات جمع أبى مجموعة من الأخشاب المتناثرة وأمسك بالمطرقة وبعض المسامير ومضى فى صنع المنضدة، وعندما انتهى من صنعها كانت هناك قطع من الأخشاب متناثرة فى جميع أرجاء الغرفة وكانت هناك مسامير ملتصقة بالأرضية، وتقف المنضدة فارغة بالكاد فما بالك لو وضع عليها شئ.

يخبرنا الكتاب المقدس أننا "عمله مخلوقين فى المسيح يسوع " (أف ٢ :١٠، وانظر ٢كو ٥ :١٧) عندما نسمع هذه الآيات يعتقد الكثيرون منا أننا مثل هذه المنضدة، فيتخيل الله واقفاً وفى يده مجموعة من الأجزاء المختلفة لجسم الإنسان ويلصقها ليصنع منها إنسانا لكن الله عندما يخلقنا فإنه يفعل كل ما بوسعه، ولكن عندما نفكر فى الأشياء التى خلقنا منها الله وفى أن الله عنده أشياء أخرى كثيرة فى ترتيب أولوياته فلا عجب من أننا نشعر أننا لا نستطيع أن نقف بمفردنا ناهيك عن أن نكون نافعين لغيرنا.

لكن الأمر ليس كذلك على الإطلاق فإنى أؤمن أن الله رتب وخطط كل شئ من أجلنا : نسبنا، والجينات الوراثية، وميراثنا الثقافى وجنسيتنا وشخصيتنا، والخبرات التى تشكل حياتنا كل هذا برؤية لإتمام خطته فى حياتنا.

يا لها من حقيقة غريبة تلك التى تقول إنه بالرغم من صفاتنا وإمكانياتنا الفريدة، وقوتنا ومحدوديتنا إلا أن الحقيقة الراسخة هى أننا مثلما أراد لنا الله أن نكون تماما، فيجب ألا نتصور أن هناك شخصا ذهب إلى الله وأخبره بأنه يجب أن يخلقنا وأنه

يجب أن يفعل أفضل ما عنده بكل الأدوات المتاحة لديه، لكن الله كان حراً فى أن يشكلنا بالطريقة التى يريدها، وعندما فعل هذا كانت له قدرة غير محدودة ليشكلنا ويصنعنا وفقا لخطته. فالله قادر على أن يخلق "مواد خام" جديدة ليستعملها إذا استدعى الأمر.

إن هذا الحب والالتزام الذى يملأ قلب الله من نحونا والذى جعله يخلقنا ويشكلنا يملأ قلبه أيضا ليصادقنا، فقد تبنانا أبونا السماوى لنكون أولاده وجعلنا أصدقاءه أيضا، وقد أعطى لكل واحد منا خطة خاصة لحياته، فطالما أننا منفتحون على الله ونطيعه فلا يوجد شئ يمنع إتمام هدفه فى حياتنا.

إنسان جديد تماما

إن الإنسان المؤمن هو شخص أصبح شخصا آخر، فليس معنى أنك مؤمن أنك قد أخذت شيئا من الله مهما كانت عظمة هذه الأشياء ولكنك أصبحت شخصا جديداً.

وهذه ليست مكانة نحصل عليها أو شيئاً حصلنا عليه نتيجة لأننا نختار الاختيارات السليمة، فعندما نقبل المسيح بالإيمان فى قلوبنا، لم نعد خطاة ولكننا أصبحنا أولاد الله، فنحن محبوبون، قد أدخلنا الله إلى عائلته لأننا ولدنا من فوق (أنظر يوحنا ٣ :٣ -٧) .

قد يحاربك الشيطان بمثل هذه الأفكار " أنا أعلم أن الله يرانى من خلال دم يسوع المسيح وأنه كسانى ببره" حسنا الله يسامحنا ويغسلنا من خطايانا، ولكنْ أبوك السماوى لا يراك فقط من خلال دم يسوع لكنه يراك أنت، فهو يراك كشخص مميز وفريد خلقك، ويراك كخليقة جديدة، وهو يرى خطاياك عندما ترتكبها، ويرى ضعفك وفشلك ولكن الأهم من كل ذلك أنه يراك ابنا له فهو يراك بعينى الحب.

يقارن دايفيد نيد هام بين أن نصبح خليقة جديدة فى المسيح وبين الميلاد الجسدى فيقول : "إن الميلاد ليس مجرد الحصول على شئ لم يكن عندنا من قبل - (مثل الحصول على الروح القدس) لا ولكن الميلاد هو أن تصبح شخصا لم يكن موجودا من قبل، وهذا ما يحدث تماما فى الميلاد الروحي".

فتصبح شخصا جديداً، وخليقة جديدة، وإنساناً روحياً عن طريق الثقة فى غفران المسيح فهو يغفر خطايانا ويجعل منك شخصا لم تكن تحلم أبدا أن تكونه وهو أن تصبح ابنا لله. إن ما يحدث لنا ليس سحرا فالله لا يأخذ منك شيئا ليضع مكانه شيئا آخر فتتحول فجأة إلى قديس، ولكن الله بروحه يأتى ليسكن فيك، وعندما يحدث هذا تختبر الميلاد الثانى لروحك، فلا تزال تحتفظ بشخصيتك التى تنمو عبر السنين، فلا يغير هذا الميلاد الجديد من شخصيتك ولا يأخذ كل نتائج خطاياك الماضية ومشاكلك أو يغير شخصيتك فجأة، ولكن عندما تصبح شخصا روحياً يمكّنك الله من التعامل مع عيوب شخصيتك بأسلوب روحي.

ونمتلك أيضا الإرادة الحرة، فيمكننا الرجوع فى أى وقت إلى طرقنا القديمة فى التعامل مع الخطية والمشكلات والتجارب، ولكن يمكننا أيضا أن نختار أن نتوسل إلى الروح الذى فى داخلنا نتيجة للميلاد الثانى والله الذى يسكن فينا سيمكننا من التغلب على هذه المشكلات وسيعيننا إذا طلبنا المعونة.

وبلا شك تنطوى هذه العملية الخاصة بمواجهة العادات القديمة وضعف الشخصية على ألم، فهى ليست عملية سهلة، حيث أن العادات القديمة تنتهى بصعوبة، لكننا نطور شخصيتنا ونحن نواجه نقاط الضعف والمشكلات ويستخدم الله الصراع ليجددنا ويشكلنا لنصبح مثل يسوع.

يعلمنا الكتاب المقدس أننا كنا قبل الميلاد الجديد " في آدم" وكانت النتيجة هي الموت ولكننا الآن أعضاء في عائلة جديدة، فنحن في المسيح والنتيجة هي الحياة (انظر ١كو١٥ : ٢٢) فقد غيرنا عائلاتنا، وكانت عائلتنا السابقة تملك ميراث الموت ولكن كأعضاء في عائلة الله حصلنا على ميراث جديد لنستعمله.

فنحن جميعاً نشترك في شهادة ميلاد رائعة، فيمكننا أن نطالب بكل ما يدخره الله لنا كأبنائه وبناته الأعزاء عندما ندرك هويتنا كأبناء لله ونقبلها.

وأصلي من أجل أن تصبح هذه الحقيقة أكثر من مجرد كلمات، وإذا حدث هذا توقف الآن عن القراءة واطلب من الله أن يعلن لك عجائب هذه الحقيقة العظيمة في قلبك وعقلك، فأنت تنتمي إلى الله لأنك مؤمن في المسيح، وأنت مقبول كابن له، فأنت في المسيح وأنت صديق لله

المواهب التي يمنحها أبي الذي في السموات

لم يخلقنا الله على صورته ولم يعدْ خلقنا لنكون أعضاء في عائلته فقط بل إنه عندما فعل هذا فقد وضع فينا مواهب روحية ليمكننا من أن نخدمه وفقا لخطته في حياتنا، وأرى أن هناك تشويشاً كبيراً فيما يتعلق بالمواهب الروحية بين المؤمنين وهناك الكثير الذي يمكن أن يقال عن هذه المواهب، ولكني ببساطة أريد أن أوضح أن كل واحد منا له موهبة بأي طريقة من الطرق لخدمة الرب.

فالمواهب الروحية ليست للصفوة فقط أو لمن يطلق عليهم "المشهورين روحياً"، فلم يقل الكتاب المقدس "أحسنت أيها الخادم المشهور" لكن الله يعطي المواهب لكل شخص، ففي

اللحظة التى قبلنا فيها المسيح وضعت هذه المواهب فى أعماقنا ككنوز فريدة تمكننا من الخدمة فى ملكوت الله.

أى نوع من المواهب هذا الذى أعنيه؟، قد تكون موهبة العطاء بالنسبة للبعض أى القدرة على إعطاء الأموال التى يمكن أن تستثمر فى عمل الله، وقد تكون موهبة الكرم أو التشجيع أو موهبة تنظيم الأمور الإدارية وأعتقد أن إحدى مهام الكنيسة هى أن تساعد كل مسيحى على أن يميز موهبته أو موهبتها وأن تثبت كل شخص فى الخدمة الخاصة بموهبته.

يريد الله أن كل واحد منا بتاريخه وميراثه الشخصى الفريد، ومواهبه المميزة ومواهبه الخاصة أن يكون قادرا على الحفاظ على الهدف الخاص بوجوده فى هذا العالم وأن يفهم الأسلوب الذى يشحذ به الصفات الخاصة لتكون جزءا لا يتجزأ من هذا الهدف.

ولا أعنى أن نمضى فى المطالبة بالحصول على معنى للحياة ولكن كلما ازدادت ثقتنا فى حقيقة أننا أصدقاء لله، فسنجد أن الله قادر على أن يعلن لنا أكثر وأكثر عن أهدافه من وجودنا فى هذه الحياة ويعلن لنا عن دورنا فى تحقيق هذه الأهداف، وليس لزاما علينا أن نبحث عن مواهبنا، فستظهر هذه المواهب الفريدة بطريقة طبيعية بينما نحن نخدم الناس.

لقد كنا نتحدث عن حقيقة أن الله خلقنا وخطط لوجودنا وأننا قد خُلقنا لنخدمه، فإن دخلت هذه الحقائق إلى أعماقك فستغيرها تغيرا تاما ولكنى سأشرح لك نقطة أخرى فإنى أؤمن بأن كل واحد منا هو قطعة فنية فريدة وثمينة فى عينى الله.

حب بلا حدود

هناك جانب آخر فى هويتنا الحقيقية وهو أننا نحظى بحب الله بدون عوائق أو حدود، فهل تدرك أنه ليس بإمكانك أن تفعل شيئا لتمنع الله من أن يحبك؟ فلا يمكنك أن تفعل شيئا لتمنعه فى رغبته فى الدخول معك فى علاقة حميمة.

يعلم معظمنا مدى سهولة أن يُخذلنا أصدقاؤنا البشريون ذلك من نتاج خبراتنا الشخصية المؤلمة، وكيف أنه من السهل أن نفقد الأصدقاء البشريين وكيف أنه من السهل عليهم أن يرفضونا، ولكن الله مختلف تماما، فهو أمين، وسيلاحقنا إلى أقاصى الأرض حتى لو كنا فى أعماق الخطية ليدخلنا فى شركة معه، فنحن محبوبون.

فى أحد الأيام كان زميلى جون جود فيلو يجلس فى حانة بأمستردام فى هولندا حيث كنا نعيش فى ذلك الوقت، وشعر أن الرب يسترعى انتباهه نحو شخص يجلس على الطرف الآخر، وبدا كما لو أن الرب يتحدث له قائلا : "اذهب لتشهد لهذا الرجل".

وشعر جون بحرج شديد من التعرف على شخص غريب فى حانة لهذا السبب تردد قليلا، فأتاه صوت الله مرة أخرى :" اذهب لتتحدث مع هذا الرجل وأخبره بأنه لا يمكنه أن يفعل أى شئ ليوقفنى عن حبه ".

فجلس صديقى ساكنا ليدرس الاختيارات المطروحة أمامه، وأخيراً قال :" يارب إنى أريد أن أفعل كل ما تطلبه مني، ولكنى أريد أن أتأكد فى هذا الأمر من أنك أنت هو الذى يتحدث إلي، لذلك إذا كانت هذه هى إرادتك أن أذهب وأشهد لهذا الرجل، فأوقف الموسيقى التى تعزف ".

وبمجرد أن أنهى جون كلماته توقفت الفرقة عن العزف وأخذ جون نفسا عميقا واتجه إلى الطرف الآخر من الحانة.

وبدأ جون حديثة مع الرجل قائلا :" أعلم أننا لا نعرف بعضنا البعض، فلم نتقابل من قبل، وأعلم أن هذا قد يبدو وكأنه جنون بالنسبة لك لكنى أعتقد أن الرب يريدنى أن أخبرك أنه ليس بإمكانك أن تفعل شيئا لتمنعه من أن يحبك.

فحملق الرجل فى جون للحظة ثم قال له : "هل تعلم من أنا"؟

فأجاب جون :" لا، فأنا لم أرك من قبل"

فقال الرحل :" أنا كاهن فى كنيسة الشيطان"

يمكنك أن تتخيل صدمة جون، فنحن على بعد مترين من هذه الكنيسة التى تقع فى مقاطعة " ريد لايت" بأمستردام، ونعلم أن هذه الكنيسة فى هذه المقاطعة، ومررنا عليها مئات المرات ونعلم مدى الشر الموجود فى هذه الكنيسة، ولكن الله مازال يحب هؤلاء الناس، ويتوق إلى الوصول إليهم ليعرض عليهم صداقته، فإلى هذا المدى نجد أن الله مصمم على أن يصادق كل شخص خلقه.

وبهذه المناسبة تحثنا هذه الحادثة على الصلاة لهذا الشخص بصفة خاصة وكذلك الصلاة لأجل " العاملين معه"، وقد أتى كثيرون من هؤلاء الذين ينتمون إلى هذه المجموعة الشيطانية إلى المسيح خلال فترة تواجدنا بهولندا.

دعنى ألخص الطبيعة الحقيقية لهويتنا بهذا الأسلوب : لقد خلقنا الله لنكون أصدقاءه وهاتان الحقيقتان الرائعتان يعلنان من نحن فالنقطة الأولى لهويتنا الحقيقية هى أن الله يريدنا وخطط لوجودنا، وتنبع النقطة الثانية من الأولى فالله يتوق بشدة لكى

نتمتع بصداقته لدرجة أنه بذل أكبر تضحية ليجعل مصادقتنا له ممكنة، ثم أحضرنا إلى عائلته بالتبنى ليؤكد لنا هذه الحقيقة.

فهذا ما فعله الله من أجلنا، ولكن ما الذى فعله الله فينا؟ هذا هو الجانب الثالث من هويتنا الحقيقية، فقد قلنا إننا سنجد هويتنا الحقيقية فى حقيقة أن الله قد خلقنا وأنه يريدنا وخطط لوجودنا وأنه قد سامحنا بسبب التضحية العظمى وهى موت ابنه يسوع على الصليب ونحن مكان لسكنى الله لأننا أصدقاؤه .

فى وقت متأخر من إحدى الليالى أتى إلى يسوع شخص يدعى نيقوديموس، الذى كان معلماً للناموس اليهودى ليصارع من أجل الحصول على فهم أوضح لمن هو يسوع وما هى رسالته، فأجاب يسوع نيقوديموس ببساطة قائلاً : "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله " (يو٣ : ٣) .

قال يسوع هذا لأجل ما فعله لأجلنا على الصليب فيمكننا الحصول على حياة جديدة، فالروح القدس سيأتى ليسكن فينا، فأى نوع من أنواع العلاقة الحميمة أكثر من هذا أن يسكن فينا الله؟ وعلى الرغم من ذلك فقد سكن فينا الله فيقول الكتاب المقدس أننا هيكل الله.

فقد شُرح موضوع أن لنا حياة جديدة بسبب التضحية التى قدمها يسوع على الصليب وبسبب الروح القدس الذى أتى ليسكن فينا على صفحات الكتاب المقدس .

"الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح" (أف ٢ :٤-٥) .

"وإذ كنتم أمواتا فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه " (كو ٢ :١٣) .

"إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً" (٢كو ٥ : ١٧) .

لاحظ تعبير "في المسيح " في الآية الأخيرة، حيث يستخدم بولس هذا التعبير أكثر من ١٦٠ مرة في رسائله، فتخبرنا هذه الجملة بصفة خاصة بطبيعة العلاقة المتبادلة والحميمة والعميقة التي تربطنا بالله، فيسوع فينا ونحن فيه، ولم تعد حياتنا ملكنا ببساطة بل إنها ملكه .

فقد أوضح بولس هذا حين قال :" مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي " (غلا ٢ :٢٠).

فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في، وبإيجاز فإن هذه هي رسالة الصداقة مع الله أنه هو الذي يأتي ليسكن فينا .

إذن، كيف ننمو في علاقة حميمة مع الله؟ ببذل مزيد من الجهد؟ بتقديم مزيد في الأموال؟ بقراءة أجزاء أكبر من ا لكتاب المقدس؟ لا ولكن بالاسترخاء في العلاقة الجديدة التي حصلنا عليها كأصدقاء لله، فعندما نعي هويتنا الحقيقية كأصدقاء لله ونقبلها، فستتحرر لنعرف الذي يسكن في قلوبنا بطريقة أفضل.

فلن نعرف الله كصديق عندما نزج بأنفسنا في أنشطة دينية أو حتى في الخدمة في ملكوت الله، ولكننا سنتعرف على صداقته عندما نقبل عطيته التي يقدمها لنا ومن أنه أتى بنفسه ليحيا فينا ونتمتع بها.

أعظم صديق للإنسان

لم يمض وقت طويل على تعرف أسرتى بعضو جديد وهو كلب يبلغ عمره ثمانية أسابيع ويدعى ماك، وهو كلب ظريف ورائع فى نظري، فكل يوم فى السادسة أو السادسة والنصف أنزل لأضع له الطعام فى طبقه وقد كنت أفكر فى أن هذا الكلب الصغير الذى ينام من ٨ - ١٠ ساعات تقريبا لابد وأن يأكل لأنه قضى كل هذه الفترة بدون طعام.

ولكن ماذا يفعل ماك؟ يترك الطعام أو يأكل منه شيئاً بسيطا ويجرى فى كل أرجاء الحجرة ثم يقفز علىّ فأربت عليه وأحتضنه وأداعب أذنيه فيصدر أصواتاً تدل على مقدار سعادته فاحتياجه إلى الصحبة أكبر من احتياجه للطعام، فلم أر كلبا جائعا للحب مثله.

فإذا استطعنا نحن كمؤمنين أن نتعلم أن نكون هكذا فى علاقتنا مع الله إذا استطعنا أن ندرك أن الله لا يرغب فى شئ أكثر من رغبته فى أن نقترب إليه ومنه ونتمتع بتلك العلاقة الحميمة التى منحنا إياها.

فالمسيحية ليست مجرد قواعد أو مبادئ أو أمور فلسفية لكنها تتعلق بشخص والعلاقة التى لنا مع هذا الشخص، وقد لخص بوب جورج هذا فى كتابة "النمو فى النعمة" قائلا:

على نقيض الديانات الموجودة فى العالم التى تقدم للبشر: "عشر خطوات للامتلاء الروحي" أو "الطريق ذو التسع خطوات للتنوير" يقول الرب يسوع المسيح "تعالوا إلى أنا هو خبز الحياة. من يقبل إلى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا" (يو٦ : ٣٥)، "أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور

الحياة" (يوحنا ٨ : ١٢) . "أنا هو الباب. إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعي" (يو ١٠ :٩)." أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف. وأنا أعطيها حيوة أبدية ولن تهلك إلى الأبد " (يو ١٠ : ١١ ، ٢٨) . "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى " (يو ١٤ :٦). " أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذى يثبت فى وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير" (يو ١٥ :٥) :" أنا هو القيامة والحياة. من آمن بى ولو مات فسيحيا " (يو ١١ :٢٥ - ٢٦).

لم يأت يسوع المسيح ليرينا الطريق لكنه هو الطريق، وهو لم يعلم بعض الحق لكنه هو الحق، ولم يعطنا وصفة لنحيا بها لكنه هو الحياة.

لا حظ أن كل هذه الآيات تبدأ بصيغة " أنا هو"، وهذه بعض الأماكن القليلة التى يخبرنا فيها الله بمن هو والتى يكشف لنا فيها عن هويته الحقيقية.

ويوجد فى الكتاب المقدس الكثير عن هويتنا الحقيقية، وأود أن أختم هذا الفصل بمجموعة أخرى من الأقوال عن " أنا هو"، ولكنها فى هذه المرة تشير إلينا كما نحن فى عينى الله، فحينما تنزلق فى التفكير فى نفسك وفقا للهوية الخاطئة عليك أن تنظر إلى هذه القائمة وتذكر نفسك بمن أنت.

أنا

١. أنا واحد من أولاد الله . (رو ٨ :١٦)
٢. أنا مفدى من يد العدو . (مز ١٠٧ :٢)
٣. غُفرت خطاياى . (كو ١ :١٣، ١٤)

٤. لقد خلُصنا بالنعمة بالإيمان (أف ٢ :٨)

٥. أنا مُبرر (رو ٥ :١)

٦. أنا مقدس (١كو ٥ :١٧)

٧. أنا خليقة جديدة (٢ كو ٥ :١٧)

٨. أنا شريك للطبيعة الإلهية (٢بط ١ :٤)

٩. أنا مفدى من لعنة الناموس (غلا ٣ :١٣)

١٠.أنا مُنقذ من قوى الظلمة (كو١ :١٣)

١١. أنا منقاد بروح الله (رو٨ :١٤)

١٢. أنا ابن أو ابنة لله (رو٨ :١٤)

١٣. أنا محفوظ تحت ظل جناحيه أينما ذهبت (مز٩١ :١١)

١٤. الله يهتم بى (١بط ٥ :٧)

١٥. أنا قوى فى الرب وفى شدة قوته (أف ٦ :١٠)

١٦. أنا قادر على أن أفعل كل شئ فى المسيح الذى يقوينى (فى ٤ :١٣)

١٧. أنا وارث لله فى المسيح (رو٨ :١٧)

١٨. أستطيع أن أفعل كل وصايا الله (تث ٢٨ :١٢)

١٩. أنا مبارك فى دخول وخروجى (تث ٢٨ :٦)

٢٠. أنا مبارك بكل البركات الروحية (أف ١ :٣)

٢١. أنا شفيت بجلدة يسوع (١بط ٢ :٢٤)

٢٢. أنا أعظم من منتصر (رو٨ :٣٧)

٢٣. أنا منتصر بدم الخروف وبكلمة الشهادة (رؤ١٢ :١١)

٢٤. أنا قادر على طرد الخيالات (٢كو١٠ :٤ - ٥)

٢٥. أنا قادر على أن أستأثر كل فكر (٢كو١٠ :٥)

٢٦. أنا تغيرت بتجديد ذهني (رو١٢ :١، ٢)

٢٧. أنا عامل مع الله (١كو٥ :٢١)

٢٨. أنا صديق لله (يو١٥ :١٥)

الفصل السابع

٩ عوائق للصداقة مع الله

قضيت وزوجتى واحداً وعشرين عاماً عبر المحيطات ، ومن بين الأمور التى تسترعى انتباهى بشدة فى بلد غريب أن ألاحظ كيف تتغلغل وسائل الترفيه الغربية فى حضارة هذه البلد ، فيمكنك أن تنسب الملابس التى يرتديها الناس وتسريحة الشعر حتى التعبيرات العامية التى يستخدمونها لمغنى روك معروف أو لممثل تليفزيونى أو لبعض نجوم السينما.

فعلى سبيل المثال لاحظت منذ عدة سنوات قليلة أن الجميع يستخدمون تعبير أمضى قدماً تلك العبارة التى خلدها الشرطى العنيد "كلينت أيسوود" ، وكان هناك تعبير آخر شائع وهو " سأقدم له عرضاً لن يستطيع رفضه " وهو التعبير الذى استخدمه مارلون براندو فى فيلم الأب الروحى فكان الدون يعمل فى الخفاء ليوظف الظروف والأحداث المختلفة حتى يخدع الطرف الآخر ليخرج به فى وضع يكون فيه مايريد فعله هو الشىء الوحيد الذى يستطيع هذا الطرف الآخر أن يفعله ، فيصبح بهذا عرضاً لا يستطيع رفضه حرفيا ، وبالطبع يكون السبب وراء عدم القدرة على الرفض ، لأنه لو رفض سيرتب له الأب الروحى ما يجعله يفقد عقله.

ولكن الله الآب لا يفعل هذا ، وعلى الرغم من ذلك قد يبدو للوهلة الأولى أن عرض الله بالصداقة عرض لا يستطيع أحد أن يتجاهله ، أقصد أنه من هو ذلك الشخص الذى لا يرغب فى الدخول فى علاقة مع سيد الكون ؟ ومن هذا الذى لن يقتنص الفرصة للتمتع

بحرية الدخول فى هذه العلاقة الحميمة ؟ وخاصة وأن هذه العلاقة الحميمة تأتى فى صورة عطية ؟

ولكن فى الواقع لا يرغب كثير من الناس فى قبول عرض الله بالعلاقة الحميمة ، أو إذا قبلوا فإنهم يتخلون عن الله عندما تظهر صعاب فى حياتهم .

تمر كل العائلات بأوقات عصيبة ، ويحدث هذا بصفة خاصة فى أوقات الاختبار والصعاب التى نواجهها فى النمو فى خطة حياتنا ، فيجلب لنا ميراثنا كأولاد لله الاختبار حيث يخبرنا الكتاب المقدس أن الله يرتب ظروف صعبة ليعلمنا بها خطته وهدفه لحياتنا وليعدّنا لهذه الخطة ولهذا الهدف ، وحتى هذه الصعاب التى تأتى علينا من العدو الله سمح بها ليختبرنا وينقينا.

فيوظف الله الخبرات السلبية التى نمر بها فى حياتنا ويوظف أيضا الطرق والأساليب التى يحاول الناس أن يستخدموها لايذائنا ويجعلها تعمل لخيرنا ولإتمام خطته فى حياتنا.

ومن المهم أن نشير إلى أن الأمور التى يقصد الناس بها الإساءة إلينا يمكن لله أن يستخدمها لخيرنا ، ففى الوقت الذى ستتعمق فيه علاقة صداقتنا مع الله ستزداد قدراتنا على الثقة فى حبه لنا حتى ونحن فى وسط الصعاب أكثر وأكثر.

وفى هذا الفصل سنلقى نظرة على بعض العوائق الأكثر شيوعا للصداقة بيننا وبين الله ، وكيف يمكننا التغلب عليها ، فمهما كان نوع العائق الذى يحول بينك وبين الله ، ثق فيه ، ولا تسمح لأى شئ أو أى شخص أن يقف بينك وبين أبيك المحب.

عائق الخطية

يعد العائق الأول للعلاقة الحميمة مع الله عائق معروف لنا جميعاً بأسماء مختلفة حيث يطلق عليه علماء الفلسفة الإنسانية أسم "الضعف البشري" ، ويطلق عليه المعاصرون الجدد اسم "نقص تحقيق الذات" فى حين يطلق عليه علماء النفس اسم "السلوك غير الطبيعى" ولكن الكتاب المقدس يدعوه "خطية" !

يسجل سفر التكوين قصة الاختيار المأسوى الذى اختاره آدم وحواء فى الجنة والعواقب المدمرة التى تبعته . ففى البدء خلق الله أول رجل وإمراة ليصادقاه ، لكن آدم وحواء استمعا لصوت الحية وعصيا الله ، فقد رفضا الصداقة الإلهية وهما يحاولان الوصول إلى الكثير وفهم الكثير من الأمور ، وبذر الشيطان البذار المميتة لتجرب قلبيهما تلك البذار التى حملت ثمار التمرد.

فلم يعد آدم وحواء يرعيان ناموس الله ، هذا الناموس الخاص بعدم الأكل من الشجرة التى فى وسط الجنة كأمر نابع من الحب والحكمة لكنهما أعتبراه منعا بلا سبب منطقى ، وكان اختيارهما بسيطاً ، فكان بإمكانهما أن يختارا أن يثقا فى الله الذى خلق لهما هذا العالم الجميل الذى يحيط بهما ، والذى خلقهما ليتسلطا عليه كابن وابنة له والذى منحهما موهبة الدخول فى علاقة حميمة معه أو كان باستطاعتهما أن يقررا ألا يثقا فيه .

فى النهاية اختار آدم وحواء ألا يثقا فى الله ، فقد رفضا أن يقبلا محدودية كونهما بشراً ، وقررا كما يقرر الكثيرون منا أن يحاولا أن يجربا حظهما.

أراد آدم وحواء أن يستعيدا مكانتهما فى الجنة بل إنهما أرادا أن يرتفعا فوق مكانتهما ، فقد أرادا أن يكونا مثل الله ، ولكنهما لم

يفشلا فقط فى أن يصبحا أكبر مما كانا بل أصبحا فى مكانة أقل من تلك التى كانا فيها ، فلم يفشلا فى الوصول الى المجد الخاص بالله فقط بل فقدا المجد الخاص الذى منحه الله للجنس البشري.

يخبرنا الكتاب المقدس بأن كل واحد منا بما فى ذلك أنا وأنت قد ورث الخطية الأصلية من آدم وحواء ، فقد كتب بولس الرسول فى رسالته الى رومية :"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع " (رو ٥ :١٢) .

لقد كان سقوط آدم وحواء حادثا مؤسفا للبشرية، فلم يفقدا علاقتهما بالله فقط بل أثرت خطيتهما على البشرية كلها ، فقد فقدنا جمالنا الجسمانى حيث تذكرنا الحقيقة الخاصة بكبرنا فى السن وبإحساسنا بالألم خلال رحلةالتقدم فى العمر بهذه الخطية .

والأسواء من كل ذلك أننا نعانى من ضياع كبير لقدرتنا على بذل أنفسنا للآخرين وهذه القدرة هى جوهر الحب ، فتعد أنانيتنا بمثابة العائق الأعظم لعلاقة صداقتنا مع الله فالأمر ليس مجرد تدعيم تمرد آدم وحواء بل إننا نختار عدداً لاحصر له من الإختيارات التى تتسم بالأنانية وعدم الأمانة والطمع والشهوة وعدم الصدق والكبرياء وهذه الصفات جزء من مجموعة كبيرة من الصفات.

ونرى هذه الصفات من الأيام الأولى للحياة البشرية ، فعندما أتينا إلى هذا العالم كأطفال باكين تعلمنا أنه يمكننا الحصول على ما نريد بالبكاء ، وبذلك نجد أنه من البداية أصبحت إرادتنا محصنة بتحقيق الذات وإشباع رغبتها.

هناك مقولة قديمة : " ازرع فكرة تحصد اختياراً، وازرع أختياراً تحصد عادة وازرع عادة تحصد صفة شخصية وازرع صفة شخصية

تحصد خطة ومصيراً. فهذا ما نفعله جميعا خلال حياتنا يوماً بعد يوم ، فعندما نزرع أفكاراً وأفعالاً أنانية نصبح أنانيين ونحصد الإنفصال عن الله فى النهاية.

يعلمنا الكتاب المقدس أننا خطاة لأننا أخطأنا ، فتقول رسالة أفسس ٢ :١ -٤ أننا خطاة بالطبيعة نتيجة لتعدياتنا على الله وناموسه ، فعندما اتبعنا رغباتنا الأنانية أصبحنا "أبناء الغضب" ، وبالتالى نحصد صفة شخصية لأننا دعمنا وأيدنا خطية آدم وحواء فيذكر سفر إشعياء : "كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه" (اش ٥٣ : ٦) .

يعد صراعنا المستمر من أجل الحصول على معنى لحياتنا بعيدا عن الله أحد النتائج المؤلمة لخطيتنا ، فقد ملنا كل واحد إلى طريقه مثل الغنم نبحث عن التدين والوسائل التى نحسن بها من أنفسنا ، والأطباء ، والجنس ، والمتعة ، والمادية ، والتقدم فى العمل ، ووسائل أخرى عديدة لنكتشف بها من نحن ، فنسعى للحصول على هويتنا بعيدا عن مصدر المعنى الوحيد لحياتنا ألا وهو علاقتنا بإلهنا المحب .

تقودنا خطيتنا الى البحث المستمر عن الله ومحاولة التوفق معه ، ولكننا لا نجد سوى معوقات كبيرة تحول دون هذا التوافق فى النهاية حيث تفصلنا الأسوار العالية عن الشخص الوحيد الذى يحبنا بلا شروط ولا حدود.

الخطأ فى حقنا

تعد الخطية عائقا من ناحية أخرى لعلاقة صداقتنا مع الله حيث لا تقف خطيتنا فقط عائقا بل أيضا تقف الأخطاء التى ارتكبها الآخرون فى حقنا كعائق لهذه الصداقة فلسنا

مجرد خطاة فقط بل إن الآخرين أخطأوا فى حقنا ، فلسنا جناة فقط بل ضحايا أيضا .

لقد تعلمت الكثير فى هذا الصدد أثناء السنوات التى قضيتها فى أمستردام ، وتشتهر العاصمة الهولندية بإباحتها للجنس ، وكان مقر خدمتنا فى وسط مقاطعة "رد ليت" قد أتاح لنا الفرصة لنرى من قرب القوة المحركة للخطية والاحتيال بصورتها الحقيقية .

فقد امتلأت هذه الشوارع بالكثير من فصول الدعارة ، واعتدنا أن نرى معظم العاهرات وهن يركبن مع أزواجهن أو أصدقائهن فى سيارات مرسيدس ليقلوهن إلى العمل ، فقد تعمل النساء فى هذه الفصول لمدة ثمانى ساعات ليحصلن على أجر يتراوح بين ١٢٠٠ - ١٤٠٠ دولار ثم يعدن إلى منازلهن وهن يرتدين قفراء المنك ويقضين العطلات فى جزر البحر الكاريبى .

ولكن انحدر معظم هؤلاء العاهرات من ظروف مأساوية ومفزعة ، فنتحدث فى هذه الأيام كثيرا عن خلفيات الاختلال الوظيفي" الا أن هذا التعبير لم يحقق المرجو منه بالنسبة لهم ، فقد اختبر هؤلاء الضحايا الرفض والظلم كجزء لا يتجزأ من حياتهن، فقد اخبرتنى إحدى هؤلاء النساء والتى أصبحت تشترك معنا فى الخدمة قائلة : " ولما لا ؟ كان عمى يمارس هذا معى بلا مقابل ، فلماذا يجب علىَّ ألا أجعل هولاء الرجال يدفعون لى الآن ، واستمرت هذه السيدة فى التعبير عن غضبها وكرهها للعمل كعاهرة محاولة أن تنتهز الفرصة للانتقام من كل رجل يعترض طريقها نتيجة لامتلائها بالمرارة مما فعله معها عمها . وهؤلاء العاهرات اللواتى كن يُستغللن طوال حياتهن أصبحت تلك السيدة العجوزة التى تؤجر لهن الحجرات تستغلهن أيضا ، فقد تبدو هذه السيدة

العجوز حانية في مقام الجدة إلا أنها تطلب ١٥٠ دولاراً أجرة للغرفة في ثماني ساعات التي هي مدة الوردية . ويقسم اليوم إلى ثلاث ورديات وهنا لسبعة أيام في الأسبوع فتغتني هذه السيدة على حساب الآخرين.

وكان معظم هؤلاء النسوة مدمني مخدرات وانزلقن في الدعارة ليوفرون الأموال اللازمة للمخدرات ، فاقترينا عدة مرات من إحدى هؤلاء الضحايا التي بدأت تفتح قلبها لنا بحذر لكنها قد تمتلئ بالمرارة عندما تواجه الواقع المر لجراحها العاطفية فتهرب سريعا وتعود إلى عالم الدعارة والمخدرات.

إن المأساة التي حدثت في حياة مثل هؤلاء النساء تفوق بكثير أي شئ آخر حدث لأي شخص منا ولكن على الرغم من ذلك فجميعنا كنا ضحايا لأخطاء الآخرين في حقنا بطريقة أو بأخرى ، فقد نكون قد جَرحَنا الآخرون أو رفضونا ، فجميعنا شيد الأسوار ووضع القناعات على وجهه ليحمي نفسه من أن يؤذيه الآخرون مرة أخرى ، وتُضعف أخطاء الآخرين في حقنا من علاقتنا بهم وبالتالي تُضعف من علاقتنا بالله.

مثقل بالذنب

عادة ما نتأثر بثقل الشعور الكاذب بالذنب الذي يحملنا الآخرون به، ولا أعني ماقد يطلق عليه اسم الشعور بالذنب "الشرعي" وهو الإحساس الذي تشعر به عندما تفعل خطية ، لكني أعني الشعور الكاذب بالذنب الذي يلقيه علينا الآخرون عندما يقولون إننا لا نفعل اللازم لإسعاد الله ويخبرونا أننا قد خذلناه عدة مرات لا يمكن أن نحصيها ، وعندما يحدث هذا نمتلئ بشعور عميق بالادانة يحول بيننا وبين الإيمان بحب الله لنا .

يعد تبنى معايير الناس الذين نعتبرهم مهمين فى حياتنا أول الأساليب التى نستخدمها فى تنمية ضميرنا ، فنريد أن يؤيدنا هؤلاء الناس لهذا فإننا نندمج فى قيمهم لتصحب قيمنا نحن أيضا ، ويكون هذا ما يطلق عليه الكتاب المقدس أن يكون لك أولاد فى الرب ، وفى الواقع يعد نقل هذه القيم أساس البيت المسيحى وأساس التعليم المسيحى ومدارس الأحد ومجموعات الشباب وغيرها.

وعندما تثبت دعائم هذه المعايير التى تبنيناها فى الكتاب المقدس وفى علاقات المحبة وتدعم بالأمثلة سينتج عنها ضمير مسيحى سليم ، ولكن يمكن لهذا الأسلوب الذى وضعه الله أن ينقلب إلى العكس فإذا طُبق بأسلوب خاطىء سينتج عنه ضمير حساس للغاية ومدمر والذى يمكن أن يصيبنا بشعور الفشل والإدانة.

وقد رأيت مثل هذا النوع من الضمير المدمر حيث تكون هناك عناية فائقة وتركيز كامل على القواعد والنظم التافهة فى نطاق العائلة أو الكنيسة أوعندما لا يتماشى عقاب التعدى على مثل هذه القواعد مع مدى أهميتها فتميل البيوت والكنائس التى لا تعتمد على النعمة الغنية إلى أن تنمى ضمير مشوه يقع بالمسيحيين فى شراك الشعور بالذنب .

يفرض ثقل هذا الشعور بالذنب عوائق أساسية تمنع الناس من الإيمان بأن الله يريد أن يكون صديقا لهم ، فمثل هؤلاء الناس يعتريهم الإحساس بأن الله لا يمكن أن يحبهم ولايريدهم أصدقاء له فهم لا يقدمون له الكثير الذى يكفى للحصول على حبه ورضاه . ولسوء الحظ عادة ما يكتشف الوعاظ والمبشرون أنهم يمكنهم استخدام هذا الشعور بالذنب فى التلاعب بالناس والسيطرة عليهم ، فقد ينغمسون فى نوع من أنواع الإبتزاز الروحى والذى يدمر قدرة الناس على الثقة فى حب الله لهم.

كان هناك شابٌ يدعى "سونى " كان مفعما بالحيوية وحب المرح ، فكان يحب الصيد بصفة عامة وصيد السمك أيضا ويحب أن يساعد الآخرين ، وفى نفس الوقت كان سونى واحدا من أكثر الناس المثقلين بالشعور بالذنب ممن قابلتهم فى حياتى ، فقد تربى على يدى عمته والتى كانت تجعله يشعر دائماً بالإدانة الكافية ، فلم يكن يفعل ما يكفى لارضائها وما كان يفعله لم يكن متقناً بالدرجة الكافية وكانت هذه العمة ضحية نفسها فقد كان زوجها يسئ معاملتها ولسوء الحظ فرغت ألمها وشعورها بالذنب والعار على سونى .

وأفضل كلمة يمكن أن يوصف بها سونى هو أنه " منساق " ، فكان يحضر كل الاجتماعات التى تعقد فى الكنيسة بما فى ذلك اجتماع العبادة الذى يقام يوم الأحد صباحا، واجتماع العبادة الذى يقام مساء الأحد ، واجتماع الصلاة الذى يقام مساء يوم الأربعاء ، واجتماع الشباب الذى يعقد يوم الجمعة مساء ، وكان يستجيب لكل دعوات تسليم الحياة على المذبح كل يوم أحد ويحاول جاهدا أن يتوافق مع الله محاولا أن يعرف ما الذى يمكنه أن يفعله حتى يكون مقبولا فى عينى الله .

وفى النهاية تمكن هذا الشعور بالذنب من حياة سونى ، فكانت حياة سونى قصيرة مملوءة بتعذيبه لنفسه والبحث عن طريقة ليقبله بها الله لأنه لم يكن يرتقى إلى درجة أن يفعل كل ما هو متوقع منه ، ولم يكن بإمكانه أبداً أن يرضى المتطلبات غير المعقولة لضميره الذى تم تشكيله بأسلوب غير سليم ولم يتغلب أبداً على عائق الشعور الخاطئ بالذنب الذى حال بينه وبين اختبار الصداقة مع الله .

الإيمان السام

تسير قصة سونى إلى العائق الرابع للصداقة مع الله وهو "التدين"، فوفقا لاستخدامى لهذا التعبير يركز التدين على المظاهر الخارجية بدلا من التركيز على الإتجاهات الداخلية فيهتم التدين بالواجبات أكثر من اهتمامه بحالة القلب ويهتم بطاعة القواعد أكثر من الاهتمام بتنمية علاقة مع الله ، فيحكم التدين على الناس وفقا لما يفعلونه ومالا يفعلونه فى حين أن الله يحكم على القلب، فالعدو الأساسى للنعمة هو الشرك المعقد للبدائل الدينية التى نصنعها لتحل محل العلاقة مع الله ، وتعد هذه البدائل إيماناً ساماً يقتل الحياة الروحية .

ونجد أن واحدا من المقولات المؤثرة فى الكتاب المقدس بأكمله هى تلك التى قيلت فى رسالة بولس إلى أهل غلاطية تلك التى يتهم فيها المؤمنون بأنهم تخلوا عن الإيمان وهو نفس التعبير الذى يمكن استخدامه بالنسبة للجندى الذى ذهب الى المعركة ثم لم يدر ظهره فقط لجيشه بل ذهب إلى الجيش الآخر فقد قال بولس أن أهل غلاطية قد " تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم ، وبالفعل اتجهتم إلى " إنجيل آخر " (أنظر غلا ١ : ٦) .

ما هو هذا الإنجيل الآخر؟ إنه إنجيل التدين ، ففيما بعد فى نفس الرسالة يوبخ بولس أهل غلاطية قائلا :" أهكذا أنتم أغبياء . أبعد أن ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد؟" (غلا ٣:٣)، ويقصد بولس بكلمة " الجسد " النظام الدينى للوائح والقواعد التى شكلت الديانة اليهودية والتى أشير إليها بكلمة التدين .

يعد التدين بديلا للعلاقة مع الله ، فهو يعتمد على رفضنا معرفة أن اعتمادنا الكامل يقع على الله وعلى عمل يسوع على الصليب ،

فبدلا من أن نتضع ونسلم حياتنا لله نبحث عن سبل أخرى لنبنى عليها براً يعتمد أساساً على أعمالنا الصالحة وهذاالنوع من التدين هو تدين من لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها (٢تيمو٣ :٥) ، فقد يكون هذا التدين عائقا لا يمكن التغلب عليه للدخول فى علاقة صداقة مع الله تلك العلاقة التى تبنى على القبول المتضع لما فعله الله لنا .

ولكن هناك حقيقة رائعة تخبرنا أن نعمة الله قادرة على أجتياز جمود التدين ، فأتذكر رجلا كان يخدم فى كنيسة صغيرة لعدة سنوات ، فحدث أن وقعت إبنة أحد الشمامسة مع ابن أحد الشيوخ فى الحب ، واصبحت الفتاة حاملا.

وأمتلأ كلٌ منهما بالخوف والخزى لانهما كانا فى فترة المراهقة وأيضا أمتلأا بالمرارة نحو الكنيسة ، فهربا ، وبالطبع لم يكن لديهما نقود ولم يستطع الصبى أن يحصل على وظيفة مستديمة ، فانتهى بهما الأمر إلى العيش فى فندق رخيص فى حى سئ فى المدينة.

ولكن على الرغم من أن القس كان رجلا قد تربى فى كنيسة يحكمها الناموس والقوانين إلا أنه كان رجلا رحميا فقرر أن يستعيد الفتاة والصبى ، وبعدما أضناه البحث لمدة عدة أسابيع وجدهما فى هذا الفندق الرخيص ، واستغرق منه الأمر وقتا طويلا حتى يقنعهما بالعودة إلى الكنيسة ، فلم يرغبا فى مواجهة جمود هذه الكنيسة .

ولكن نجح القس فى النهاية ودعا إلى عقد إجتماع خاص فى الكنيسة ، وكان عدد الحاضرين حوالى ١٥٠ فردا وقد حضروا بدافع

الفضول بالطبع كما هي عادة الطبيعة الإنسانية الخاطئة لكنهم كانوا أيضا مهتمين بأمر العائلتين اللتين تخصهما هذه المشكلة .

وأحضر القس الزوجين الصغيرين أمام الكنيسة ، ويمكنك أن ترى الخوف والمرارة اللذين أرتسما على وجهيهما هذا إلى جانب الخزى أيضا موقف القس إلى جوارهما وتحدث عن عودة الإبن الضال ، وتحدث أيضا عن أبي الابن الضال الذي استقبل ابنه بذراع مفتوحة وتحدث عن أخي الابن الضال الذي لم يكن لديه سوى الازدراء والسخرية من أخيه ، ولم يكن من الصعب معرفة الموقف الذي يرغب أن تتخذه الكنيسة من الزوجين.

فقال القس : " هما إبنا الله والله مستعد أن يغفر لهما وأن يرحب بعودتهما إلى عائلته مرة أخرى ، لكنهما أيضا أبناؤنا ، فنحن عائلتهما الأرضية ، والآن حان وقت ترحيبنا بعودتهما أيضا ، لا مكان للمرارة ، ولا الخزى ، ولا للإتهامات بل للغفران والقبول والمحبة".

فتقدم واحد من الجميع ثم الثاني ثم الثالث ثم اتسعت الدائرة بأناس يحاولون أن يجدوا طريقهم إلى الزوجين ليعاتقهما ويرحبوا بعودتهما ، ولم يمض وقت طويل حتى ذرف الزوجان الصغيران الدمع لأنهما لم يحتملا كل هذا الحب ، فقد رجعا إلى الشركة مع الكنيسة والأكثر من هذا إلى علاقة الصداقة مع الله.

لقد سمعت هذه القصة الحقيقية من الشاب الذي تزوج من محبوبته المراهقة وأصبح أبا لعدة أطفال ، وهو الآن قس هذه الكنيسة.

العقلية التي لا تقبل المساعدة

يعد الإعتماد على النفس عائقاً آخر للصداقة مع الله . من منا لم يستمع وهو صغير لقصص الرواد الذين قطعوا طريقهم عبر الصحراء

ليكونوا أمة جديدة ؟ أو قصص المهاجرين الذين أتوا إلى العالم الجديد من عبر الميحطات وتغلبوا على المشكلات وصنعوا أمريكا ؟ فقد دفعوا بأنفسهم إلى هذه المجالات بالاعتماد على أنفسهم.

لقد كتبت فى احدى المرات أن الاعتماد على النفس مبدأ أمريكى صميم مثل السوسيس ، والبيسبول وفطير التفاح والأمومة ، فيعتز الأمريكيون بحقهم فى الخياة ، والحرية ، وتحقيق السعادة " كأمر مقدس ، فيعد أى شئ يحول بين الأمريكيين وتفكيرهم فى أنفسهم وعملهم ومعيشتهم وتصويتهم فى الانتخابات تعدياً على حقوقهم الأساسية .

ولكن إذ لم تخضع هذه الروح الرائدة لسيادة الرب يسوع المسيح فستجعلنا أنانيين لا يوجد فى قلوبنا مكان إلا لأنفسنا فقط ، فعندما يقتلع الأعتماد على النفس . من الأسس الأخلاقية ويغرس فى التربة الخصبة للحضارة الهندوسية فبالطبع سيثمر أسلوب فى الحياة لا ينفع لا لنا كأفراد ولا لمجتمعنا ككل .

يعد الإعتماد على النفس عائقاً كبيراً أمام الصداقة مع الله ، فيعد فى الواقع الضد المباشر لعلاقة الشخصية المبنية على الإعتماد على الله ، فيقع العديد من المسيحيين فى شرك محاولة حل مشكلاتهم بأسلوبهم وفى الوقت الذى يحددونه وفقا لما يرون أنه صالح بالنسبة لهم .

لقد وجدت أن هناك عددا لابأس به من الكتب والشرائط والبرامج الإذاعية المسيحية التى تستخدم مصطلح الإيمان على أشياء لا يطلق عليها إلا لفظ تحقيق الذات، فلا تختلف الرسالة التى تقدمها مثل هذه الكتب والشرائط والبرامج المسيحية كثيرا

عن تلك التى تجدها على رف الكتب النفسية في مكتبتك ، فيصبح الإيمان مجرد وسيلة أخرى لتحقيق الذات.

يخطأ كثير من الناس فهم ضبط النفس لإرضاء الله ، فيجاهدون لفعل ما هو صحيح ولكن أهدافهم خاطئة ، فينساقوا لقضاء وقت أطول فى الصلاة وقراءة الكتب المقدسة نتيجة لشعورهم بالذنب بدلا من أن يفعلوا هذا بدافع حبهم لله ، ويفرضون على أنفسهم قوانين داخلية تحثهم على فعل كل ما هو صحيح ولكن هذه المثالية لا تنبع من فهمهم لهويتهم الحقيقية كأولاد لله ، فإنهم ينساقون لفعل الصواب بسبب الخوف وشعورهم بالواجب.

لا أناقش حقيقة أن هناك مجالاً للتهذيب الروحى ولكن عندما نحرر من البحث عن المزيد من الله ونأتى إليه لنعرف من نحن بالحق ستتحول هذه الممارسات إلى إستجابات لحب الله بدون أى مجهود من جانبنا . فينبع تهذيب الله الروحى لنا من الحب ويتسم بشعور عميق بالإنتماء إلى الله .

فإذا كان الكتاب المقدس صادقاً فإن نفسنا الخاطئة والصادقة هى آخر شئ نريده أن ينمو أو يهذب ، فليست رسالة الإنجيل أن نحاول أن نفهم كيف نجد معنى الحياة أو نحسِّن فى أنفسنا ولكن رسالة الإنجيل هى أن نخطو ونسمح ليسوع أن يأخذ مكانته السليمة كمحور لحياتنا ، فعندما نفعل هذا سنتمتع بالعلاقة الحميمة مع الله والتى يريدنا الله أن نتمتع بها تلك العلاقة الحميمة التى تنبع من علاقة الصداقة الحقيقية مع الله فلن يقربنا إعتمادنا على أنفسنا من الله .

هـوة الإعتقـاد بـأن سـلوك الآخريـن تسـيطر عليـه المصلحـة الشخصية .

يؤمـن بعـض النـاس بـأن الدافـع وراء أفعـال الآخريـن عـادة مـا يكـون الأنانيـة ولا يؤمـن مثـل هـؤلاء بأنـه مـن الممكـن أن يتصـرف شخص ما بلا أنانية فعادة ما يفكرون فى أنفسهم قائلين : " ما هى وجهة نظر من يقدمون لنا هذا العمل ، ما نفعه بالنسبة لهم" ، يميل مثل هؤلاء الأشخاص إلى أن يكونوا متشائمين وساخرين وتهكميين وعـادة مـا يتبنى مثـل هـؤلاء وضعـاً معتـاداً وهـو النظـر إلى الجـانب المظلم لكل شئ ، ويميلون إلى عدم الثقة فى المؤمنين .

ولن تستطيع أن تفهم السبب وراء عدم سعادتك نتيجة لوجود مثـل هـؤلاء النـاس حولك ، فلسوء الحظ تجدهم عـادة سعداء لمجـرد أنهم لا يثقون فى الآخرين وعـادة مـا يتجولون محـاولين أن يضعفوا من ثقتك فى الآخرين نتيجة لمعتقداتهم هذه فقد يرجع هذا إلى أن الآخرين قد خذلوهم أو خانوهم فى أحد فترات حياتهم ، وعـادة مـا يميــل مثـل هـؤلاء إلـى إلقــاء هـذا الوهـم الـذى يعيشـون فيـه علـى الآخرين ، ونجد أن مجتمع هؤلاء النـاس يمتلئ بالشك والإغتيـاب والإنقسام والرغبة فى الحكم على الآخرين .

وعادة ما ينزلق الناس فى هوة عدم الثقة فى الآخرين كوسيلة لإخفـاء فشلهم وتقصيرهم فقد يتخذون فى هـذا وسيلة ليحمـوا بهـا أنفسهم من إظهار أنهم أيضا يخطئون ، فطالما أنه يمكنهم أن يلقوا باللوم على الآخرين فإنهم يشعرون بالإرتيـاح لأنهـم يحكمـون علـى أنفسـهم ، وبهـذا يصبـح هـذا المذهـب فـى الحيـاة نوعـا مـن أنـواع الكبريـاء ، فـالمتكبرون فقـط هـم الذيـن يضعـون أنفسـهم فـى مرتبـة أعلى من الآخرين ثم ينظرون من أطراف أنوفهم على بقيـة العـالم

وهم غير قادرين على أن يروا أنهم يرتكبون نفس الأخطاء التى يحكمون أن الآخرين يرتكبونها .

فقبلما يمكن أن نتحرر من هذا المذهب فى الحياة علينا أن نعترف بأننا أيضا يمكن أن نرتكب الأشياء التى ندين بها الآخرين . فيجب أن نواجه أنفسنا بروح الإتضاع معترفين بضعفاتنا ، وأخطائنا أمام الله مدركين أنه هو وحده القادر على تحمل مسئولية أخطاء الآخرين .

فبمجرد أن ندرك أن الله واسع جداً لدرجة قبول الآخرين بكل محدوديتهم فندرك أنه أيضا واسع جدا ليقبلنا بمحدوديتنا وهذه هى النقطة التى سنصبح قادرين عندها على أن نقبل عرض الله بالدخول فى صداقة معه.

أسوار الكمال الحجرية

يعد الكمال عائقاً آخر معروفاً لإقامة علاقة صداقة مع الله ، ويستعرض هذا المنهاج فى الحياة أربع صفات أساسية ، وبالطبع أول هذه الصفات هو الإتجاه لجعل كل شئ فى حياتنا يسير بلا خلل ، ولكن بلاشك يصاحب هذه الرغبة الجارفة الحاجة إلى كبش الفداء عندما يحدث خلل ما فى سير الأمور ، ويمكن أن تكون النتيجة النهائية تشويه الأولويات والقيم التى يمكن أن تقوم عليها العلاقة الحميمة مع الله أو مع أى شخص آخر.

فيبذل هؤلاء الذين ينشدون الكمال جهودا مضنية ليثبتوا أنهم متفوقو على الآخرين فبهذه الطريقة يشعرون بأهميتهم وبأنهم مميزون ، فنجد أن الحضارة الغربية تخصص مكافأت لمن يصلون إلى شيئٍ ما مفيد ، فيمكن أن تملأنا الثقة التكنولوجية الخاصة بأن

كل شئ يمكن أن يقسم إلى عمليات صغيرة بإحساس "بالوجوبية" ، فيجب علينا أن نفعل هذا ، وأن نحصل على هذا الشئ وأن نكون مثل هذا الشخص ، فيداوم هؤلاء الأشخاص الذين يرغبون الكمال فى وضع أهدافٍ لا يمكن تحقيقها ثم يبذلون قصارى جهدهم من أجل تحقيقها فيعتقدون أنهم عندما يفعلون هذا سيكونون مقبولين فى عيون من حولهم.

وبالطبع لا يستطيع مثل هؤلاء الأشخاص الوصول إلى الكمال الذى ينشدونه مما ينتج عنه شعور عميق بالإحباط وعداوة داخلية للحياة ، وللعالم ، وللناس ، ولله فيمضى الشخص الذى ينشد الكمال فى هذا " القيد الطاحن" حياته غاضبا فكل شىء وكل شخص يبدو غير عادل .

ويحيا من ينشدون الكمال حياة مملوءة بمزيج غريب من الكبرياء ونقص الثقة بالنفس اللذين يدفعانهم نحو هدف الكمال الذى لا يمكن الوصول إليه وكذلك يبعدانهم عن العلاقات المثمرة مع الآخرين ، فيجب عليهم دائماً أن يحافظوا على بيوتهم نظيفة وينقصون من وزنهم ويدرسون لساعات أكثر ويهتمون بالرياضة ، فيجب عليهم أن يصبحوا فى مركز أعلى مما هم فيه ، وأن يبذلوا المزيد من الجهد ، وأن يحققوا المزيد من النجاح ، وأن يسيطروا على كل شئ وكل شخص حولهم حتى يصبحوا شيئاً من إثنين " إما منبوذين وإما يتجاهلون كل شخص فى حياتهم ببساطة.

فعلى الرغم من حب هؤلاء الذين يسعون للوصول إلى الكمال أن يكونوا على مقربة مما حققوه إلا أنهم من المستحيل أن يقبلوا المدح أو التهانى من الآخرين فتحركهم مشاعر الألم والاتضاع

والخوف والرفض بلا رحمة يوما وراء يوم حتى تزداد قوتهم عندما تقارن بما بذلوه من جهد لإرضاء الله أو الآخرين.

وتزداد ضراوة شعورهم بنقص الثقة بالنفس بالمقارنة برغبتهم في الوصول إلى الكمال فعندما يزيل نقص ثقتهم بأنفسهم من شعورهم بالكمال يمضى مثل هؤلاء الناس في حياتهم وهم يحتقرون أنفسهم وأحيانا يسعون لتدمير أنفسهم بأنفسهم وربما يجدون ملاذاً مؤقتا في الكحوليات ، أو المخدرات ، أو السلوك الجنسي ، أو التطرف الديني أو الإفراط في تناول الطعام .

كيف يمكن التغلب على عائق الكمال ؟ هل من مخرج من هذا التمزق الداخلي فبدلاً من أن يحاول هؤلاء الذين يسعون إلى الكمال أن يمضوا في الحياة معتمدين على قوتهم ، عليهم أن يفهموا الحق المحرر الذي يقول إن الله يعرض عليهم صداقته ويقبلهم كما هم ، فهذا الإدراك هو الذي سيحررهم من إتجاهم نحو إثبات أنفسهم ليحصلوا على رضاء الله ورضا الآخرين.

لقد عملت عن قرب مع واحد ممن ينشدون الكمال وهو شخص قضى سنوات في الخدمة وكان هذا الرجل عبقرياً ، فيلجأ إليه الناس عندما تعطل سياراتهم أو أجهزة التسجيل لأنه يستطيع إصلاح أي شئ وكانت غرفته دائما مرتبة ونظيفة وملابسه أنيقة ، وكان حليق الذقن فقد كان يحلق ذقنه يوميا.

وعلى الرغم من ذلك كان يعترف في لحظات الصدق القليلة التي يقضيها مع نفسه بأنه يشعر بأنه بعيدٌ جداً عن الله ، وكان يغطى هذا الشعور ببعده عن الله بالمنجزات الروحية التي يحققها فيشعر بسعادة غامرة في الأيام التي يحافظ فيها على دراسته

اليومية للكتاب المقدس ، ووقت الصلاة اليومية ، وكذلك عندما يقضي ساعات أطول في العمل في الخدمة ولكن في بقية الأيام عندما لا يستطيع أن يفعل هذه الأمور يشعر بأنه فاشل بائس .

ومازلت أتذكر الليلة التي لمس فيها قلبه الإعلان الخاص بأنه حب الله له هو عطية وتعبير عن النعمة الغنية وليس شيئاً يستحقه أو يستطيع الحصول عليه ، فقد تلقى هذا الرجل تعليماً يفيد بأن الأسلوب الذي يصل به إلى " النضوج المسيحي" هو بالإستمرار في العمل والإستمرار في البذل ، لكنه الآن أدرك فجأة أن الشئ الأساسي الذي يحتاجه هو قبول نعمة الله ، فعندما أصبح قادراً على التغلب على هذا الأمر وقبل نعمة الله حدث تغير جذري في حياته.

عائق الطمع

رسم الفيلم السينمائي الساحق "وول ستريت" عام ١٩٨٨ صورة زعيم مالي يدعى جوردون ، وفي إحدى لقطات الفيلم يلقي جاكو خطبة لمجموعة من المستثمرين البنكيين صغار السن ، وينهي خطبته هذه بإعلان جاد يقول فيه : " يعد الطمع أمراً طيباً ، وهو أمر صائبٌ وينفذ إلى الروح التي تنشد التطور ويستأثر بها ، سينقذ الطمع الولايات المتحدة الأمريكية ".

ولا يمكنك أن تطلب من أي شخص أن يقول مثل هذا الإعلان بأسلوب أكثر سوءاً من هذا ، ولكن هناك نقطة تحتسب لصالح جوردون جاكو ألا وهي أنه أطلق الاسم الصحيح أي الاسم الذي يطلقه الكتاب المقدس على ما يدعوه الآخرون بتعبيرات أخرى مهذبة مثل الوصول إلى النجاح أو روح الثمانينات وأعني بهذا أنه قال إن ذلك هو الطمع .

سيثبت الطمع أنه الكارثة التى تحل بأى مجتمع أو الشخص الذى يستسلم له ، فقد جعلنا هذا الطمع نحصل على ما أطلق عليه سباق الفئران الأمريكية والذى أعرفه أنا بأن الناس يشترون مالا يحتاجون وذلك بأموال لا يمتلكونها وليجاروا أشخاصاً لا يحبونهم ، الطمع مدمر للعلاقات لأنه يحول أنتباههنا من الآخرين ليجعلنا نزكر على أنفسنا ويحول طاقتنا إلى الأخذ بدلا من العطاء.

يعد الطمع جزءاً لا يتجزأ من الحياة التى نحياها كأمة ولكن تغييره للشخص حتى يصبح إنسانا طماعا ليس هو أسوأ ما يؤدى إليه الطمع، لكنى أعتقد أن الخسارة التى تنتج عنه تكون خسارة غير مباشرة وخادعة ، فعادة ما يتطلب الطمع المساومة وبعض الإلتزامات التى يجب أن نلتزم بها فى الحياة لمجرد أن نظل مكتفين فى الناحية المالية ، فتشكل الوظيفة الثانية وقضاء ساعات أكثر فى العمل والمصاريف التى لا لزوم لها ضغطاً لا يمكن وصفه، ونتيجة لهذا من الممكن أن نفقد سيطرتنا على حياتنا.

فإذا سمحنا للرغبة الجامحة للحصول على أفضل وأحدث شئ والحصول على الشئ الأكثر تقدما من الناحية العلمية والذى يساير الموضة بالسيطرة علينا نصبح عبيدا لروح هذا العصر، ونثقل أنفسنا بالديون التى تتطلب منا مزيداً من الجهد ، فنفقد مرحنا ولا نجد وقتا أو طاقة لقضاء وقت مع شريك الحياة أو الأطفال أو الأصدقاء أو أنفسنا ، والأسوأ من كل ذلك أننا سنصل إلى استبعاد الله استعباداً تاماً عن جدولنا ، أو إذا قضينا وقتا مع الله فسنأتى إلى محضره مُثقلين بمشاعر غاضبة نتيجة لانشغالنا طوال الوقت .

من الإنتصار إلى الإنكسار

يعد الإفتقار إلى الإتضاع آخر عائق سأتحدث عنه لإقامة علاقة صداقة مع الله ، فلا يريد الله منا الأموال أو المجهود أو الوقت ، لكنه يرغب في أن يكون لنا القلب الذى يدعوه الكتاب المقدس " القلب المنكسر والمنسحق " أكثر من رغبة الله فى أى شئ آخر ، فقد أعرب الملك داود عن ذلك بأسلوب مؤثر جداً بعدما واجه خطية الزنا مع بثشبع.

"قلباً نقياً اخلق فى يا الله وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى ذبائح الله هى روح منكسرة . القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره. (مز٥١ : ١٠ ، ١٦ - ١٧) .

ما معنى أن يكون لك قلب منكسر ومنسحق ؟ معناها أننا نرى أنانيتنا وخطيتنا كما يراها الله ، وأن نختبر الحزن الذى من الله على الطمع والشهوة والكبرياء التى تفصلنا عن عطية الصداقة مع الله ، ويعنى أيضا أننا نطلق على طرق دفاعنا عن أنفسنا اسم عوائق نختبئ وراءها ، ويعنى أن نعترف بإننا نبذل جهداً بشرياً لنتواكب مع كوننا مؤمنين بدلا من النمو فى علاقة صداقة ثابتة وعميقة مع الله .

لقد وجد هيدسون تايلور هذه الصداقة مع الله ، فعلى الرغم من أنه عرف المسيح عندما كان فى الخامسة عشرة من عمره وبعدها خدم كمرسل إلى الصين إلا أنه كان يعانى من احباط شديد نتيجة لفشله فى التغلب على الخطية . كان يشكو من البرودة وحب المتعة والأنانية ونقص المتعة التى يشعر بها فى دراسته الإنجيل والصلاة .

ومع حلول عام ١٨٦٩ كان عمل تايلور الإرسالى فى الصين ناجحا ، فقد انضم الكثيرون إلى هذا العمل وكان الله يمده بالأموال اللازمة ، ولكن على الرغم من كل ذلك كان تايلور يصارع من أجل الدخول فى علاقة عميقة مع الله ، فأمامنا الآن واحد من عمالقة الإيمان المسيحى والذى كان يعمل عملا بطوليا وعلى الرغم من ذلك لم يكن يشعر بالرضا فى علاقته مع الله .

وتعكس كلمات تايلور حزنه المستمر فيقول " كنت أصلى وأجاهد وأصوم وأتخذ قرارات وأقرأ فى الكلمة وأسعى إلى تمضية وقت أكبر فى التكريس والتأمل ولكن بلا جدوى فكنت أعلم أنه لو كان بإمكانى أن أثبت فى المسيح فسيصبح كل شئ على ما يرام لكنى لم أستطع وكنت متأكدا طوال الوقت أن فى المسيح كل ما أحتاج ولكن السؤال العملى الذى كنت أسأله كيف أحصل على ذلك ؟ ".

ووصل تايلور إلى نقطة تحول فى حياته عندما استلم خطاباً من أحد زملائه فى الدراسة . فقد فتحت أمامه الرسالة البسيطة الباب . فقد قال له هذا الصديق فى رسالته أن الصداقة مع الله ليست نتاج البحث المضنى عن الإيمان ولكنها بالاسترخاء فى يدى الإله الأمين .

ولكن ما المعنى ؟

لقد توصل تايلور إلى أنه عليه أن يسلم حياته ليسوع ببساطة وعندما يفعل هذا ستكون كل الأمور المتاحة ليسوع متاحة له هو أيضا ، وأدرك هذا العملاق المرسل أنه عندما تزول الحواجز التى وضعها بنفسه للصداقة مع الله وعندما يكف عن بذل أية مجهودات

وعندما يضع روحاً منسحقة فى داخلة سيحصل على قوة وحياة المسيح وحياته .

علينا أن ندرك المعوقات التى تعوق علاقة صداقتنا مع الله كما أعلنت لنا ونعترف بذلك لله ، وقد يكون هذا الإعلان من خلال تحدث الروح القدس لقلوبنا أو قد تظهر هذه المعوقات فى أوقات التجارب التى تظهر ضعفنا واحتياجنا إلى الله .

ولكن كما تعلَّم يوسف أن يرى عمل الله حتى فى الوقت الذى رفضه فيه إخوته وخانوه وفى وقت تجربة إمرأة فوطيفار وفى الوقت الذى قضاه فى السجن وفى الوعود التى لم ينفذها الخباز والساقى ، لذلك علينا أن نطلب من الله عيوناً ترى ما يفعله الله فى حياتنا ، ويجب أن نحثه على أن يطلق الكنوز التى فى داخلنا فى المسيح لكى يمكننا من التجاوب الذى يريدنا أن نتجاوب به .

عندما ننمى الروح المنسحقة فى داخلنا وعندما نختار أن نسلم إلى الله كل ظرف من ظروف حياتنا وعندما نضع أنفسنا أمام الله والآخرين سنكون قادرين على الحصول على مالنا نتيجة لحق التبنى ، فنحن أولاد الله والمسيح فينا فدعونا نسمح للمسيح أن يهيمن علينا وأن يظهر نفسه من خلالنا .

القلب المنكسر والمنسحق هو القلب المتضع، فهو القلب المستعد للإعتراف بخطيته ، ومستعد أن يسامح الآخرين ومستعد أن يرفض البحث عن تدين البر الذاتى والتركيز على نفسه والإعتماد على نفسه والدفاع عن نفسه وخدمة نفسه ومستعد أن يعبر لله عن شكره وأن يقبل ببساطة واتضاع عطية الصداقة الحميمة التى يقدمها له الله .

هل يمكن أن أشجعك على القيام برد فعل صادق الآن ؟ ما نوع العلاقة التى بينك وبين الله ؟ أنا لا أقترح أن تفعل شيئاً تضفى عليه الصبغة الدينية لتسعيد به علاقة مع الله ، لكنى أطلب منك أن تتوقف للحظة لتفكر فى علاقتك مع الله . تحدث معه بكل أمانة . فهل هناك أية عوائق بينك وبين الله ؟ إذا كانت هناك عوائق إعترف بها واطلب من الله أن يعينك على ازالتها.

يعد اتضاعنا خطوة هامة وهى خطوة يجب أن يتخذها كثيرون منا ، لكن هذه الخطوة تصبح أسهل عندما نتأمل أكثر فى طبيعة الله ، فهذه هى النقطة التى سنوجه إنتباهنا إليها فى الفصل القادم.

الفصل الثامن

التغلب على العوائق

عندما كنت أنا وسالى نعيش فى أفغانستان تعرفنا على إسماعيل وهو رجل طيب وعطوف وكان مهتما بنا، وهو مسلم إذ أن الإسلام هو الدين السائد فى أفغانستان.

وعندما تسأل رجلا فى أفغانستان عن عدد أطفاله فهو لا يذكر لك سوى الأولاد، فوفقا لأسلوب تفكيرهم لا يهتمون سوى بالأولاد لأنهم مصدر للمال أما البنات فعبء فإذا كان الرجل لديه أربعة أولاد وثلاث بنات وسألته قائلا: "كم عدد أطفالك"؟ فسيجيبك قائلا: "أربعة" ومن العار ألا يكون لك أولاد ويسمح للرجل أن يتزوج أربعة زوجات إذا أراد لكى تزداد فرصته فى إنجاب الذكور.

ولم يكن لصديقى إسماعيل سوى زوجة واحدة وكان لديه ثلاثة أطفال وجميعهم ذكور وعندما قابلناه كانت زوجته حاملا فى الطفل الرابع وكنا نراه يوميا تقريبا وكان متشوقا جدا لهذا الطفل الرابع الذى سيولد، وأخيرا ولد الطفل وكان صبيا صغيراً وقويا وصحته جيدة.

وعندما رأينا إسماعيل بعد ذلك سألته سالى : " كيف حال طفلك الصبى الجديد؟ بماذا سميته؟ " .

ولدهشتنا الشديدة أجاب : "لم يعد لدى صبى صغير" .

فسألته : لم يعد لديك الصبى الصغير؟ ماذا حدث؟ "كنت أخشى أن يكون الطفل قد مات" .

فأجاب إسماعيل : لقد أعطيت الطفل لجاري".

والآن أصبحنا جميعا فى غاية الحيرة فقلت له : " أعطيت طفلك لجارك؟ ما معنى هذا؟"

فأجاب إسماعيل ببساطة وقال : " جارى هذا ليس له أولاد، وأنا عندى أربعة أولاد فأعطيته واحداً من أولادي" وقد حاولت فى بعض الأحيان أن أتخيل منظر هذا الجار عندما ذهب إليه إسماعيل وأعطاه ابنه.

ما الدافع وراء هدية إسماعيل هذه؟ كان يحاول أن يزيل عبء الذنب والعار من على كاهل صديقه، فقد كان هذا الجار المسكين يشعر بأنه ليس رجلا، فقد كان يخجل من الذهاب إلى السوق وكان يخجل من مواجهة الناس، لقد أقدم إسماعيل على هذا التصرف بدافع حبه العميق لصديقه وقال له " لقد أردت أن أرفع عن كاهلك هذا العبء الثقيل" لهذا فقد أعطى إسماعيل ابنه إلى جاره بلا شروط.

لا نستطيع أن نفهم معنى أن يتخلى أب عن ابنه، فمن يستطيع أن يفعل هذا؟ ولكن هذا ما فعله الله لأجلنا ولنفس السبب وهو أن يخلصنا من العار : "لأن هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الأبدية " (يو ٣ : ١٦).

عطية الحب

يرى الله كل شئ ويعلم كل شئ ويستطيع أن يفعل أى شئ وهو الحاكم المسيطر على كل ما خلقه، ولكن من أكثر الصفات

الملحوظة عن الله أنه إنسان وقد اختار أن يجعل نفسه معروفاً لخليقته.

كان باستطاعة الله أن يخلق الكون ثم يرجع مرة أخرى إلى حالة الظلام والسكوت الأبدى ولا يتعامل معنا. لكن الله لم يفعل هذا بل فعل العكس تماماً : فقد سعى أن يعلن لنا نفسه فى كل فرصة وبكل أسلوب ممكن ليقول لنا : " أنا هنا، وأنا موجود، وهذه هى صفاتى ".

هل لاحظت كم أننا متسرعون فى لوم الله عندما لا تمضى حياتنا كما نرغب؟ فنرفع أيادينا نحو السماء ونشكو : "لماذا تفعل بى هذا يا الله؟ ". فحتى شركات التأمين تشير إلى الكوارث الطبيعية والحوادث الغريبة على أنها :" قضاء وقدر" إرادة الله ".

فعندما تواجهنا مشكلة لا نشعر فى أعماقنا أن الله تخلى عنا ليعاقبنا على خطايانا؟ ألا نقول بعقولنا أن الله يحبنا ولكن فى الحياة الطبيعية عندما نمرض أو عندما يحدث أى شئ لأطفالنا أو عندما يواجه زواجنا مشكلة ترتفع الشكوك العميقة فى داخلنا ونادرا ما نعترف قائلين : لابد وأن الله ليس معنا.

وعندما لا تستجاب صلواتنا بالطريقة التى كنا نأملها نشك فى اهتمام الله بنا. وعندما نقرأ عن الصعاب والظلم الموجودين فى العالم نشك فى عمل الله ونقول : " كيف يسمح إله صالح بحدوث هذه الأشياء؟ " وعندما نشعر بالإحباط واليأس نشك فى حضوره ونقول : " أين أنت الآن يا الله فأنا أحتاجك بشدة؟ " فنصارع بشدة لنؤمن بأن الله فى داخلنا وأنه يحبنا.

يرسم الكتاب المقدس من بدايته إلى نهايته صورة الله الذى يهتم بنا، فقد خلق الله عالما جميلا ثم خلق الرجل والمرأة ليتمتعا بهذه الجنة الموروفوة معه بل وليحكما هذا العالم بالنيابة عنه، فقد خلقنا الله لأنه يريد أن يصادقنا، وقد منحنا القدرة على فهمه والتجاوب معه والشعور به.

حتى عندما عصى الجنس البشرى الله ورفض حبه لم يتخل الله عن البشر، فقد أعطى الله لموسى الناموس وأرسل الأنبياء ليتحدثوا باسمه وعندما تعدى شعب إسرائيل على الناموس ورجموا الأنبياء أخذ الله الخطوة العظمى وهى إرسال ابنه الوحيد لنا.

دعنى أسألك سؤالا، ما الشيء الذى تعتقد أن الله يريده منك أكثر من أى شيء آخر؟ فكر فى الإجابات المحتملة قبل الاستمرار فى القراءة.. خوف الله؟ طاعة وصاياه التوبة عن خطاياك؟ تكريس كامل لحياتك؟ صلواتك؟ وقتك؟ تبذل مجهودك فى خدمته؟ أموالك؟

بالطبع يريد الله منا هذه الأمور بطريقة أو بأخرى. ولكن ما هو الشيء الذى يريده بشدة ، ما هى الأولوية العظمى لله؟ يريد الله قلوبنا.

كنت أعرف إمرأة منذ عدة سنوات وكانت زوجة لإنسان قاس جداً وهو ليس بالشخص الذى يسهل العيش معه، وكانت علاقتهما صعبة جداً، فقد كان فظا للغاية وكثير الطلبات وسكيرا معظم الوقت، فقد كان يشعر أنه من حقه كزوج أن تقوم زوجته بعمل أشياء معينة لأجله وإذا رفضت أو إذا لم تفعل هذه الأشياء بالطريقة التى يريدها كان يشعر بأنه من حقه أن يضربها.

وكان يكتب لها قائمة بما يريد ليتأكد من معرفتها بما يريده، وكانت هذه القائمة تحتوى على أوامر مثل هذه : نظفى البيت، واشترى هذه الأنواع من الأطعمة وقومى بهذه المهام وبالطبع لم يكن يشعر بالرضا مهما فعلت، وفى كل أسبوع كانت قائمة الطلبات تزيد وتزيد، وانتهى عذاب هذه السيدة عندما مات زوجها فى حادثة سيارة.

وبعد مضى عدة سنوات تزوجت هذه السيدة مرة أخرى، وكان زوجها الثانى رجلاً رائعاً وامتلأت حياتهما معا بالحب، وبمرور السنوات نست الألم والأذى اللذين أصاباها من زواجها الأول وبدا هذا الزواج مثل ذكرى بعيدة.

وفى أحد الأيام عندما كانت تنظف رفا للكتب سقطت ورقة من أحد الكتب، وقد كانت هذه ورقة للقائمة الفظيعة التى اعتاد أن يكتبها فجلست وقرأتها بهدوء وفيما هى تقرأ زحف عليها هذا الحزن والألم مرة أخرى ، فقد تذكرت كيف كان زوجا غير محب وكيف أنه كان كثير المطالب، وتذكرت كيف أنها كانت تعيش فى خوف دائم من عدم رضائه.

وبدأت هذه المرأة تفكر فى مدى اختلاف حياتها الآن، ومدى حب زوجها لها، وكيف يعتنى بها ومدى رقته معها. ثم فكرت فجأة فى داخلها أنها تفعل لزوجها الثانى أكثر بكثير مما كانت تفعله لزوجها الأول، فقد كانت تفعل أكثر بكثير مما كان يكتبه زوجها الأول بالقائمة وذلك ليس لأن زوجها الثانى يطالبها بهذا بل لأنها تجد سعادة بالغة فى خدمة من تحب، فالحب - أعنى حبها له وحبه لها - كان دافعاً أقوى من الخوف والذنب.

يعتقد كثيرون منا أن الله يشبه الزوج الأول، فلم يعطنا الله ببساطة قائمة للواجبات والالتزامات التى يجب أن نقوم بها ثم قال لنا : " هذا ما أريده منكم، وعندما تفعلونه سيكون لدى قائمة أخرى "، فما ذكرته من قبل أعنى الطاعة والتكريس والتوبة لهى أشياء يريدها الله منا، ولكنه لا يريدنا أن نفعلها بالدافع الخاطئ فهو لا يريدنا أن نسقط أسرى التدين محاولين أن نرضيه بدوافعنا الخاطئة.

يقول الله لنا ببساطة : "أنا أحبك، أحبك كل الحب، ولا يوجد ما تفعل لتجعلنى أحبك حبا أكثر من هذا الذى أحبك به، فعلى الرغم من أنك ابتعدت عنى كثيراً لدرجة أنى لا أستطيع أن أحصى كم عدد هذه المرات التى ابتعدت فيها عني، ولكنى مازلت أريد أن أكون صديقك، ولا زلت أريدك أن تتمتع بعلاقة حميمة معي".

إننا نتحدث عن الفرق بين ما أطلق عليه دين " بسبب " ودين " يجب "، فهذا هو الفرق بين المسيحية وبقية الأديان الآخرى التى فى العالم، فعادة ما تكون نقطة البدء فى الأديان الأخرى هو أن البشرية تحاول الوصول إلى الله والتقرب منه، ولكن نقطة البدء فى المسيحية هى أن الله يتقرب إلى الجنس البشرى ليس مرة واحدة بل مرات ومرات ومرات.

ولا يمد أبونا السماوى ذراعه لنا بعناق جاف بلا مشاعر، ولكن المشاعر الدافئة هي طبيعة حب الله. فيحب الله كل منا حباً شخصياً ، ويريدنا أن نحبه أيضا، وسيتدفق من هذا الحب رغبتنا فى إرضائه.

فلا نفعل أشياء "لـ" نحصل على مكافآت من الله، فلا نذهب إلى الكنيسة لندخل السماء، ولا نشترك فى كسر الخبز لنحصل على

نعمة الله، ولا نعطى الله نقودنا لنشترى بها رضـاءه، ولكـن كـل مـا نفعل فإننا نفعله " لأجل " حب الله لنا وحبنا له.

عندما انتقلنا إلى هولندا فى عام ١٩٧٣ تعرفنا على عادة هولندية رائعة، وهى أنه عندما تذهب إلى بيت شخص آخر فالعادة تحتم عليك أن تأخذ له ورداً ، ففى الواقع يبدو أن الشعب الهولندى يتبادل الزهور طوال الوقت بلا أى سبب إلا كتعبير عن الصداقة، وتحب زوجتى هذه العادة خاصة عندما أمارسها معها ! وأنا أيضا أحبها بالطبع، فأنا أستمتع بشراء الزهور لها.

والآن تخيل أنى قد عدت إلى المنزل ومعى صحبة ورد فى إحدى الأمسيات فاندهشت سالى قائلة : " آه ! ، انظروا، ورد ! كم هو رائع ! انتظر هنا حتى أحضر حافظة نقودى " ثم جرت إلى الغرفة المجاورة ورجعت بعد عدة ثوانٍ ومعها ورقة بعشرة دولارات وقالت :" هذا لك ".

فأسألها فى ذهول : "ما السبب؟ "

فتجيب "إنها للورد ، ١٠ دولارات فأنا أريد أن أدفع لك ثمن الورد".

فى اعتقادك بماذا سأشعر عند مواجهة مثل رد الفعل هذا؟ سيغوص قلبى فى داخلي، فأنا لا أشترى الورد لسالى لأنى أريدها أن ترد ثمنه لي، ولكنى أشترى لها الورد لأنى أحبها أريد أن أعبر لها عن حبى بطريقة ملموسة.

كم عدد المرات التى نعامل فيها الله بنفس الطريقة؟ فقد وهبنا الله عطية الحياة والحب والغفران والصداقة وذلك ليس لأنه يريدنا أن نقول :" أنا سأرد لك هذا. فسأذهب إلى الكنيسة هذا

الأحد وسأخرج وأبشر وقد أطعم الفقراء اليوم ". لا. يمنحنا الله هذه العطايا لأنه يحبنا، ويريدنا أن نصادقه، ويريد أن تكون جهودنا التى نقوم بها لأجله عطايا أيضاً نتيجة لحبنا له.

فالله ليس إله التدين، لكنه إله العلاقة فهو لم يأت ليدفعنا إلى القيام بأعمال صالحة له، فهو يسعى للحصول على قلوبنا ولكن الله لن يطلب قلوبنا أو يأخذها بالقوة، فلن يسعى للاستحواذ علينا مستخدما الرشوة، ولن يستخدم التهديد أو الإدانة أو التأثير علينا عن طريق الذنب أو الخوف، فالله يحبنا ويلاحقنا بحبه، ويكشف عن قلبه لنا حتى ننجذب إلى اختيار علاقة الحب معه.

كيف ندخل فى علاقة صداقة مع الله؟

عادة ما يستخدم الكتاب المقدس مفاهيم جديدة ومثيرة ليصف ما فعله الله حتى يدخلنا فى علاقة مع نفسه (التبرير، والبر، والفداء، وهكذا) قد يكون من المفيد أن نعرف بعض هذه الألفاظ باختصار حتى نستطيع أن نقدر أكثر ما فعله لأجلنا حتى نتغلب على العوائق للدخول فى علاقة حميمة مع الله، وفى الواقع يستحيل أن نفصل أحد جوانب الخلاص عن بقية الجوانب التى قام بها الله ليدخلنا فى علاقة صداقة معه، فجميع الجوانب متداخلة مع بعضها البعض.

التبرير بالإيمان : "إن الحقيقة المؤلمة هى أن كل واحد فينا لهو خائنٌ لله، فقد رفضنا عطية الصداقة التى يقدمها الله لنا مجانا، فقد كان قرار آدم وحواء بعصيان الله خسارة للعلاقة الحميمة التى كانا يتمتعان بها من قبل مع خالقهما.

لقد اتخذنا أنا وأنت نفس هذا القرار مرات أكثر بكثير مما نستطيع إحصاءه، فقد بعدنا عن الله وعصينا ناموسه.

وكما فعل الله مع آدم وحواء فقد نطق بعقاب صارم يقع على من يكسرون ناموسه، فيقول الكتاب المقدس : " النفس التى تخطئ هى تموت " (حز١٨ : ٤)، وفى آية أخرى نقرأ :" لأن أجرة الخطية هى موت " (رو٦ : ٢٣) لقد كان الجزاء الذى اكتسبناه من عصياننا هو الانفصال الأبدى عن الله.

لقد أخطأنا وعقوبة الخطية موت، وعلى الرغم من ذلك..

فبدلا من أن يعاقبنا الله سامحنا ! لماذا ؟ لأنه يحبنا، هذا هو السبب ولا يوجد أى سبب آخر، ولم يكن غفران الله لما فعلناه بسبب استحقاقنا لفرصة أخرى لأننا لا نستحق وليس بسبب أننا لطفاء أو ظرفاء وأبرياء ولكن نأسف لكونى أمينا بشدة) فلسنا كذلك ولكن الله يسامحنا ببساطة لأنه يحبنا فهذا ما يدفعه حبه لعمله.

يمكننا أن نرى جانبين مهمين للغفران الذى يقدمه لنا الله، أولا : يغفر لنا الله خطايانا الماضية، ويمحوها تماما. ثانيا : يعيد لنا الغفران قبول الله الكامل لنا والدخول فى علاقة الصداقة معه.

فباختصار يعد غفران الله بمثابة سلام قانونى بيننا وبينه ألا أننا أعلنا الحرب عليه نتيجة لعصياننا ويعلن الله السلام من منطلق حبه العظيم لنا ويعد الاعتراف بتمردنا على الله وقبولنا للعطية التى لا توصف والتى يقدمها لنا الشرطين الوحيدين للحصول على هذا الغفران إلى جانب كل المزايا العظيمة التى تصاحبه، فهذا ما يطلق عليه الكتاب المقدس التوبة، فيؤدى

تصرف القلب المملوء بالاعتراف والقبول إلى الغفران واستعادة العلاقة مع الله .

قد يعفى عن المجرم ويطلق من الحبس ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أنه أو أنها تصالحت مع المجتمع، إلا أننا عندما ابتعدنا عن الله بسبب خطايانا أعادنا الله إلى علاقة الصداقة معه عندما بررنا.

فهؤلاء الذين تبرروا ليس عليهم أية إدانة للخطية، وأصبحوا مقبولين من الله وورثة للحياة الأبدية، وقد مكنهم الله من أن يحيوا حياة البر وأكد لهم أنهم قد نجوا من العقاب على خطاياهم (أنظر رو٨ : ١، متى ٣ : ٧، متى ١ : ١١، رو٥ : ٩) .

<u>التجديد بالروح</u> : إذا كنا قد تبررنا بالإيمان فهذا معناه أن الله قد سامحنا وأننا استعدنا علاقتنا معه. وهناك صلة وثيقة بين التجديد وما يفعله الله فينا، فيعنى التجديد أن الله أعطانا قلبا جديدا، فالتجديد هو الميلاد الثانى (يو٣ : ٣ ، حز٣٦ : ٢٦) وبالتالى نكون خليقة جديدة فى المسيح يسوع بسبب هذا التجديد (٢كو٥ : ١٧) .

ويصبح الشخص ابناً لله عن طريق التجديد وبالتالى يصبح منتميا إلى عائلة الله، فقد أصبحنا ورثة لله وشركاء ليسوع المسيح، وقد وعدنا الله بامتيازات معينة مثل معرفة إرادته وسداد لكل احتياجاتنا اليومية، ويأتى الروح القدس ليسكن فى قلوبنا نتيجة لهذا التجديد وليمكننا من التغلب على التجارب (مت ٧ : ١١، ١كو ٢ : ١٠ - ١٢، رو٨ : ١٦ - ١٧، أف١ : ١٣ - ١٤، ١يو٣ : ٩) .

<u>التبنى كأولاد وبنات</u> : - كان الوضع القانونى للابن فى بداية العصر الرومانى أفضل قليلا من حال العبد، فقد كان الابن أحد

ممتلكات الأب الذى كان له حق التصرف فى أموال ابنه، ويمكن للأب أن ينقل الملكية لابنه حسبما يتراءى له أو بموجب ظروف معينة وكان بإمكانه أن يقتل الابن أيضا.

وعلى النقيض تماما كان العرف القانونى للطفل المتبنى يضعه فى موضع أكثر أمانا من ذلك الذى للطفل المولود فى الأسرة، فلم يعد هذا الابن المتبنى خاضعاً للديون القديمة وإذا كان عبدا فقد يطلق عندما يتبنى وله الحق الكامل فى الدخول إلى رب الأسرة فى أى وقت، فقد حصل على مكانة فى الأسرة بسبب التبني.

لقد أصبحنا أولادا للمسيح عن طريق الميلاد الثانى فى المسيح، وحصلنا على حقوق وامتيازات الانتماء إلى عائلة الله عن طريق التبني، ويتحد ث بولس الرسول عن التبنى فى رسالته إلى أهل رومية : " إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا آبا الآب. الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله " (رو٨ : ١٥ - ١٦) .

نحصل على قلب جديد بالتجديد، ونحصل على علاقة جديدة مع الله بالتبرير ونحصل على وضع جديد كأبناء وبنات الله بالتبني.

المصالحة مع الله : يخبرنا الكتاب المقدس صراحة أننا أعداء لله بسبب خطايانا، لهذا نحتاج إلى أن نتصالح مع خالقنا، وعادة ما تتضمن المصالحة طرفين كانا أعداء من قبل، ولكن فيما يتعلق لعلاقتنا مع الله فإنه هو الطرف البريء، فلم يفعل أى خطأ فى حقنا، ولا يحتاج إلى أن يبدأ بمصالحتنا.

والعدو ليس شخصا فى مرتبة أقل من الصديق الوفي، فلا يجب أن نقلل من حدة عدواتنا السابقة مع الله، فالعدو يقف فى المعسكر المضاد، والخطية تمرد على الله ومقاومة جادة وإرادية لحبه وناموسه، لكن يسوع صالحنا مع الآب : لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه.. الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم " (رو ٥: ١٠، ٢ كو ٥ : ١٩) .

لقد تبدل حالنا من أعداء لله إلى أصدقاء له بسبب موت المسيح على الصليب، فلم يغفر لنا الله خطايانا الماضية فقط بل أعطانا قلبا جديداً لنحبه، ويخلق فينا هذا الروح الجديد شوقاً لعبادة من كنا نعاديه من قبل.

الفداء بدم المسيح : - كان الشخص المفدى فى أيام العبودية هو الشخص الذى أطلق حرا عندما دفع شخصٌ آخر الثمن المطلوب، لم يدفع الله فعليا الثمن لأحد لكنه قدم ابنه كفدية وكضحية لخطايانا.

فقد كنا عبيدا للخطية ولكن المسيح حررنا. قلنا " الفداء بدمه غفران الخطايا " (أف ١ : ٧) وكتب بطرس أن الفداء لم يكن : " بأشياء تفني.. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح " (١بط ١ : ١٨ - ١٩).

أصبح كل واحد منا عبدا بسبب الخطية وأسيراً للذنب والعار والخوف، ولكن عندما نقبل بالإيمان الفداء الذى قدمه بالمسيح نتحرر، فقد حررنا الموت الثمين للرب يسوع وأصبحنا أصدقاء لله.

التوبة عن الخطية : تقود التوبة إلى تغير العقل، والتغير الجذرى للفكر والاتجاه، وتعنى التوبة أننا قد توصلنا إلى فهم جديد لتمردنا على الله واتخذنا قراراً أن نبتعد عن الطرق الأنانية حتى نقبل عطية غفران الله.

وتشير التوبة إلى أننا فهمنا أن خطيتنا قد أحزنت قلب الله، فنستوعب الطبيعة الفظيعة لتمردنا على الله المحب ونمتلئ بحزن عميق نتيجة لما فعلناه فى حقه وفى حق الآخرين.

ويشرح الكتاب المقدس ضرورة التوبة كشرط للخلاص، فقد بدأ يسوع خدمته بالتبشير قائلا : "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات " (متى ٤ :١٧) وعندما أعطى التلاميذ المهمة العظمى طلب منهم قائلا : " إن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم " (لو ٢٤ : ٤٧).

التقديس بروح الله : يستغرق الأمر وقتا لتصبح قديسا. والتقديس هو الانفصال بالمعنى الحرفى للكلمة، و"القديس" هو الشخص المكرس نفسه لله والمنفصل عن الخطية، وليس معنى هذا أن الله قد فعل شيئا بدون إرادتنا ولكنه يعنى أننا نصبح مثل المسيح عندما نستسلم لإرادته فى كل مجال من مجالات الحياة .

ونصبح قديسين بالإيمان وبطاعة المسيح (أع ٢٦ : ١٨)، يقول لوقا إن الله يعطى الروح القدس لهؤلاء الذين يطيعونه (أع ٥ :٣٢)، فلا يمنحنا الله القداسة بعيدا عن اختيارنا أن نطيع الله وأن نقبل نعمة الله بالإيمان، فعندما نطيع الله ونقبل نعمته لنحيا حياة التقوى نصبح قديسين.

بمعنى آخر يشير الكتاب المقدس لكل المسيحيين على أنهم قديسون لأننا قد تبررنا بالإيمان وافتدينا بدم الحمل، وقد أتى روح الله ليسكن فينا وأصبحنا خليقة جديدة في المسيح، وتكرسنا لله لهذا فإننا قديسون (أنظر رو ٧ : ١ ، أف ١ :١، كو١ :١) .

والتقديس عملية تستمر طوال الحياة وهو عملية نمو ودراسة لشخصية الله وتطبيق لما تعلمناه من هذه الجوانب على شخصياتنا التي تحتاج إلى التغيير فلا نخضع بإرادتنا لهذه العملية لأننا نشعر أنها عملية مفيدة ولكننا نخضع لها لأن الله يحبنا ولأنه يسكن فينا.

أما التبرير فهو ليس عملية مستمرة لكنه أمر يحدث مرة واحدة فقط نتيجة لغفران الله لنا ولاستعادتنا لعلاقة الصداقة معه، فبعدما نتبرر ندخل في عملية التقديس وتحدث مواجهة بين طبيعتنا وطبيعة الله، فقد مكنتنا قوة يسوع الذي يسكن فينا من فعل هذا لقد اخترنا أن نطيع الله ولكن سكنى المسيح فينا هي التي تمكننا من اختيار الاختيارات السليمة.

يلخص بولس كل ما فعله الله لنا عندما قال للمؤمنين في رومية أن أولاد الله قد تبرروا بالإيمان، ويقول بولس أن هذا لم يكن نتيجة لطاعة القواعد الدينية ولكنه بالإيمان. يقول بولس في الرسالة إلى أهل رومية ٤ : ٧ - ٨ : " طوبى للذين غُفرت آثامهم وسترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية ".

هذه هي الخلاصة لقد غفر لنا الله خطايانا وفدانا وتبنانا وأعطانا قلباً جديداً وصالحنا وجعلنا قديسين، هذا الملخص البسيط في رسالة رومية يلخص الأمر كله "طوبى.." التي تعني مبارك.. نحن مباركون، فقد زالت العوائق، واستعدنا علاقتنا مع الله، وغُفرت تعدياتنا وسترت خطايانا وألغيت العقوبة عنا.

نحن فى علاقة مع الله.

شخص لشخص

على أية حال تبدو هذه المصطلحات اللاهوتية غامضة بالنسبة للبعض، دعونا نجعل الدخول في علاقة صداقة مع الله أمرا ملموساً من ذلك فلنجعله أمراً شخصياً.

فى بعض الأحيان أحاول أن أتخيل موقفا أحاول فيه بشدة أن أحل بعض الصراعات أو أن استعيد علاقتى بشخص آخر.

فأرسل لهؤلاء الأشخاص خطابات لكنها ترد لى دون أن تفتح وأحاول أن أتصل بهم فلا يعاودون الاتصال بي.

أخيرا، بما أن الأمر يبدو وكأنهم غير راغبين فى التعامل معى مباشرة أرسل لهم ابنى ليشرح لهم رغبتى فى التصالح معهم. فماذا يفعل هؤلاء الناس؟ يقتلون بنى بل يعذبونه حتى يموت فأتساءل : ماذا يمكننى أن أفعل فى موقف مثل هذا؟

فى الواقع لست متأكدا مما سأفعل، عندى ولد يبلغ ١٨ سنة وهو عزيز جدا على قلبى ولا أستطيع أن أتخيل هذا التعذيب، ولكن يمكننى أن أخبرك بما فعله الله. فقد قال الله " سأستخدم رفضكم هذا كأداة لتصالحنا فقد استخدمتم الصليب كوسيلة للتعذيب ولكن سأستخدمه كوسيلة للغفران ". لقد أخذ الله كراهيتنا وتمردنا وحولهما إلى مصدر لاستعادة علاقتنا معه، فقد وجد وسيلة ليردنا بها إليه نتيجة لحبه الغامر لنا.

هناك قصة أخرى قد تساعدك على فهم هذا الإله الذى ترك مكانه فى السماء ليعد لنا مكانا. كانت هناك إمرأة فقدت إبنها فى

الحرب العالمية الثانية، وكانت مسيحية مكرسة للرب ولكن ابنها كان أدار ظهره للكنيسة منذ فترة طويلة، وعندما شحن الجيش جثمانه إلى أرض الوطن ذهبت إلى القس وطلبت منه أن يدفن إبنها فى مقابر الكنيسة.

ووجد القس نفسه فى مشكلة، فكان يعلم جيدا معنى أن يدفن ابنها فى مقابر الكنيسة بالنسبة لهذه المرأة ولكن قوانين الكنيسة تقول إن الأعضاء الصالحين فقط هم الذين يدفنون فى هذه المقابر، وأخيرا كان عليه أن يخبرها بحزن شديد " أنا آسف لا أستطيع أن أدفنه فى مقابر الكنيسة فبقدر ما أرغب فى هذا بقدر ما لا أستطيع أن أفعله ".

فذهبت الأم وقلبها مملوء بالحزن

وحزن القس نتيجة للشعور بخيبة الأمل الذى سببه لهذه المرأة الفاضلة فقضى الليل كله يفكر فى الأمر ثم اتصل بهذه السيدة فى صباح اليوم التالى وقال لها : " أريدك أن تحضرى جثمان ابنك هنا، فأريدك أن تدفنيه فى المقبرة التى تقع خارج أسوار مقابر الكنيسة مباشرة ".

فأجابت " ولكنى لا أريده أن يدفن خارج مقابر الكنيسة بل أريده أن يدفن داخلها " فأجاب القس ببساطة وقال : " ثقى بى ".

لهذا دفنت المرأة ابنها فى المقبرة التى تقع خارج أسوار مقابر الكنيسة مباشرة كما طلب منها القس، وفى اليوم التالى ذهبت لتزور المقبرة فوجدت لدهشتها أن السور قد أعيد بناؤه ليحيط بكل منطقة المقابر، فقد نص قانون الكنيسة على أنه لا يجوز دفن هذا الابن داخل سور مقابر الكنيسة ولكنه لم يمنع

انتقال هذا السور لقد وجد القس طريقة ليساعد بها هذه المرأة نتيجة لحبه لها.

الله يتعامل معنا بنفس هذا الأسلوب فبغض النظر عن الطريقة الفظة التي نعامله بها وعن أننا تركناه بإرادتنا، وبغض النظر عن رفضنا له، وبغض النظر عن الجدار الذي يفصل بيننا وبينه، فقد وجد الله طريقة ليسامحنا بها وليرحب بنا مرة أخرى.

في أثناء الحرب الكورية إستيقظ قس في قرية ريفية صغيرة في أحد الأيام ليجد أن ابنه الوحيد قد قتل، وكان واضحا أن بعض الجنود قد زحفوا إلى البيت في أثناء الليل وذبحوا بعض سكان هذه القرية بطريقة عشوائية كوسيلة للإرهاب.

وامتلأ هذا القس بحزن شديد، فقد كان يتطلع أن يتبع ابنه هذا خطواته ليصبح قسا في أحد الأيام، فخشي أصدقاءه على سلامته. فقد كان حزنه عميقاً على موت إبنه الوحيد هذا، وبدا هذا التصرف تصرفا ظالما ووحشيا فلم يكن إبنه في الجيش ولم يكن يشكل تهديدا لأي شخص. فلماذا يعامل بهذا الأسلوب ؟

وأخيرا قرر هذا القس الكوري ما يجب عليه أن يفعله رداً على هذا التصرف العنيف، فقد أعلن أنه سيحاول الوصول إلى هؤلاء الذين قتلوا ابنه. ولن يهدأ حتى يصل إليهم، ولن يقف في طريقه أي عائق، ولن يمنعه عن هذا أي صعاب، فقد قرر هذا الأب الحزين أن يجد هؤلاء الرجال مهما كلفه الأمر.

وقد استطاع هذا القس أن يتعرف على هوية اثنين من هؤلاء الإرهابيين، وزحف وراء صفوف العدو وعرف أين

يعيشان، وفى الصباح الباكر من أحد الأيام دخل إلى بيتهما وواجههما، وأخبرهما القس بشخصيته وبأنه يعلم أنهما قتلا ابنه ثم قال لهما : " أنتما مديونان لى وقد أتيت إلى هنا لتردا لى هذا الدين ".

وكان من الواضح أن الرجلين قد توقعا أن يقتلهما القس ردا لما فعلاه، إلا أن كلمات القس أدهشتهما فقد قال لهما : " لقد قتلتما ابنى والآن أريدكما أن تصبحا ابنى عوضا عن ابنى الذى مات ".

وأمضى معهما القس عدة أيام حتى استطاع أن يقنعهما بالذهاب معه، ثم تبناهما ليصبحا ابنين شرعيين له، وأحبهما وأعتنى بهما، وأصبح هذان الرجلان مسيحيين والتحقا بمعهد اللاهوت وأصبحا كاهنين، واليوم هذان الرجلان قسيسان فى كوريا بسبب الأب الذى كان يريد أن يربحهما للمسيح مهما كلفه الأمر والذى كان حبه لهما فياضا.

لقد تصرف هذا القس الكورى وفقا لإرادة الله عندما خرج ليبحث عن هذين الرجلين وعندما وضع حياته لأجلهما، ويتحدث بولس فى رسالته إلى أهل أفسس فيقول " غنى نعمته الفائقة باللطف علينا فى المسيح يسوع " (أف ٢ :٧) أحب كلمة " الفائقة " هذه ، فهى تعنى أن الله دائماً يرغب فى أن يفعل أى شئ ليظهر لنا رحمته وحبه مهما كلفه الأمر.

مفاجأة جونى :

اسمحوا لى أن أقص عليكم قصة أخرى حقيقية، فأعرف رجلا كان يعلم فى جامعة صغيرة، وكان هذا الأستاذ يعيش بالقرب من

الجامعة وعادة ما كان يتمشى ذهابا وإيابا من عمله، وكان يحافظ على جدول أعماله اليومي. فكان يخرج فى الصباح ليعود فى المساء فى نفس الوقت تقريبا كل يوم.

وكان هناك مجموعة من الشباب ممن كانوا يعيشون فى نفس المنطقة التى كان يعيش فيها هذا الأستاذ وكانوا يحبون لعب البيسبول، وفي يوم حدث ما كان مقدراً له أن يحدث حيث أصاب أحد هؤلاء الأولاد والذى سنطلق عليه اسم جونى زجاج منزل هذا الأستاذ عندما كان يلعب البيسبول.

فأصيب جونى بالخوف والفزع، فهو لم ير هذا الأستاذ من قبل، ولم يكن يعرف عنه سوى أنه رجل جاد وضخم يحمل دائما حقيبة أوراق ويعود إلى منزله فى الثالثة والنصف مساء كل يوم.

وعندما نظر جونى فى ساعته ووجد أنها الساعة الثالثة وخمس وعشرون دقيقة جرى جونى إلى منزله بأقصى سرعة وفتح هذا الصبى الباب الأمامى لبيته وانطلق عبر الطرقة ثم اختبأ فى سريره، فقد كان يعلم أنه فى أية دقيقة الآن ستكون هناك طرقات على الباب الأمامي. فسيرى الأستاذ ما حدث وسيعرف من الذى فعل هذا بزجاجه لأنه ذكى جدا، فهل سيأتى بنفسه؟ أم أنه سيتصل بالشرطة؟ هل سيغضب أبويه.. ولم يستطع جونى أن يكف عن التفكير.

وانتظر جونى وانتظر وانتظر، وأخيرا أدرك فى داخله أنه لن تكون هناك أية طرقات على الباب، فربما لم يعرف الأستاذ من هو الذى فعل ذلك.

وفى اليوم التالى عندما خرج جونى ليلعب لاحظ أن الزجاج لم يعد مكسورا، فقد استبدله الأستاذ كما لو أن شيئا لم يحدث، واستغرب جونى من حظه الجميل فقد أصبح حرا وأعطى نفسه بالكامل لمباراة الكرة فى هذا المساء بكل جوارحه، وذلك قبل أن يدرك جونى أنه قد حانت الآن الساعة الثالثة والنصف وأن الأستاذ فى طريقه إلى العودة.

فقد امتلأ جونى بالخوف الذى كان يشعر به فى اليوم السابق للمرة الثانية، فاندفع يجرى إلى منزله من الباب الأمامى حتى وصل إلى الطرقة ثم السرير.

وفكر جونى فى نفسه قائلا لقد نجحت فى الاختباء هذه المرة أيضا، يالى من غبى فسوف يتأكد الأستاذ من أنى أنا الذى قمت بكسر الزجاج وانتظر الصبى أن يطرق الأستاذ الباب ليخبر أبوا جونى بما حدث، ولكن لم تكن هناك أية طرقات. الساعة الرابعة، الرابعة والربع، لم تكن هناك أية طرقات.

ففتح جونى الباب بحذر واختلس النظر ولكن لم يكن هناك لا الأستاذ ولا الشرطة.

ولكن لم يستطع جونى التغلب على إحساسه بالخوف والذنب، فهل تعرف شكل وجه الأطفال الصغار عندما يعرفون أنهم قد ارتكبوا خطأ فادحا وينتظرون أحداً لينادى على أسمائهم بغضب فقد كان هذا هو منظر وجه جونى على العشاء وطوال الأيام التالية، وأصبحت حياته كابوسا، ففى كل مساء عندما يرى الأستاذ يختبئ ويطلق ساقيه للريح.

وفى أحد الأيام عندما رأى جونى الأستاذ وجري، أوقع الأستاذ حافظة أوراقه وجرى وراء جوني، واستمر جونى فى الجرى ولكن بلا

فائدة فقد أمسك به الأستاذ من ذراعيه وأمسكه بإحكام حتى لا يستطيع أن يفلت منه، ثم جثا الأستاذ على ركبتيه ونظر فى عينى جونى وقال : " أنا أعلم أنك أنت الذى كسرت الزجاج يا جونى ".؟

وشعر جونى بأنه يكاد يغمى عليه.

ثم أضاف الأستاذ قائلا : " ولكنى سامحتك يا جوني، فقد دفعت ثمن الزجاج وأعلم كيف أن مثل هذه الأشياء تحدث بدون قصد، فقد واجهت مثل هذه المواقف من قبل، ولا أريدك أن تخاف منى يا جونى ولا أريدك أن تهرب عندما ترانى بل أريدك أن تكون صديقي، هل ترغب فى أن تكون صديقى يا جوني؟"

فتطلع جونى إلى وجه الأستاذ. هل تعرف ماذا قال له جوني، لقد قال له : أنا أكرهك " ثم جرى بأقصى سرعة.

وفى اليوم التالى فعل الأستاذ نفس الأمر إلا أنه عاد مبكرا عشر دقائق عن موعده، وأمسك بجونى ونزل على ركبتيه ونظر فى عينى جونى وقال له : " جونى ! اسمعني، لقد دفعت ثمن الزجاج، هل تفهم؟ لقد دفعت ثمنه، وأنا سامحتك لا تخف".

فوقف جونى فى مكانه وهو يرتعش من الخوف ثم أضاف الأستاذ قائلا : " جونى أريد أن نصبح أصدقاء، فلا يمكننى أن أتحمل ألاَّ نكون أصدقاء " ثم بكى الأستاذ وأخيراً لم يستطع جونى أن يتحمل هذا الموقف فبكى هو الآخر وقال للأستاذ : " أشكرك، أشكرك لأنك تقبل أن تكون صديقى ".

تتكرر نفس هذه القصة بيننا وبين الله، فنحن نعلم فى أعماقنا أننا قد أذينا الله وخذلناه، وأننا نختبئ منه لشعورنا

بالخزى والذنب، وحتى عندما نسمع عن رحمته وغفرانه فلا نعرف كيف نتجاوب معه، ففى بعض الأحيان نرفضه مرة أخرى بسبب خوفنا منه، ولكن الله يلاحقنا، وفى النهاية سيضمنا الآب فى ذراعه ويخبرنا أنه يغفر لنا خطايانا ويسامحنا إذا سمحنا له أن يفعل هذا.

يريد الله أن يكون صديقاً لنا مهما كلفه الأمر.

الفصل التاسع

أنتم أصدقائي إن أطعتموني

ما هي بعض الصفات التي تكوِّن الصداقة الناجحة؟

عندما أفكر في الصديق المناسب أجدني أفكر في شخص أشترك معه في الإهتمامات وهو شخص أود أن أقضي معه وقتا في عمل أشياء كثيرة، وشخص يقبلني كما أنا ويشجعني، شخص أخبره بأسراري بلا خوف من الخيانة، شخص يخبرني بالحق عندما أحتاج إلى سماعه، شخص يمكنني الاعتماد عليه، وشخص يجب أن أطيعه.

انتظر لحظة لقد قلت عن الصديق إنه " شخص يجب أن أطيعه؟" فهذا يبدو مثل الأب أو الرئيس في العمل أو الشرطي ولكنه ليس الصديق، فما هي علاقة الطاعة بالصداقة؟

يقول الرب يسوع أن هناك علاقة وثيقة بينهما، فاستمع إلى ما يقوله عن هذا الموضوع.

"كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. أثبتوا في محبتي . إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته. كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم.

هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به (يو ١٥ :٩ -١٤) .

فببساطة يتلخص الأمر فيما يلى : تعد الطاعة شرطا للدخول فى علاقة حميمة مع الله، ولكن الطاعة ليست شرطا للخلاص ولكنها شرطٌ للنمو فى علاقة الصداقة الحميمة مع الرب يسوع، فنحن أصدقاؤه إن فعلنا ما يوصينا به، ويمكن أن نتوسع فى هذا الأمر لنقول إننا سنكون أصدقاء ليسوع لدرجة أن نفعل ما يوصينا به، فكلما أطعنا الله تعمقت علاقتنا به، حيث أن العصيان عائقٌ للنمو فى علاقة الصداقة مع الله.

رجل عجوز ووضيع يحمل عصا كبيرة؟

لماذا يذكر يسوع هذا الأمر؟ لقد أوضح يسوع الدافع وراء ما قاله فى نفس هذه الآيات، فهو يقول : " كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم " لذلك علينا أن نذِّكر أنفسنا بهذا مرة أخرى أن هذا ليس تعليما عن الخلاص بالأعمال، فقد رأينا ما فعله يسوع لأجلنا فى الفصل السابق لنتغلب على أى عائق من عوائق الدخول فى علاقة صداقة مع الله، وتعلمنا هذه الآيات كيف ننمو فى هذه العلاقة؟

فعادة ما نعتقد أنه لا توجد صلة بين الطاعة والفرح، فعادة ما ترتبط الطاعة بأفكار عن الواجب الجاف الذى يجب علينا القيام به، ولكن يسوع يتحدث عن وجود علاقة مباشرة بين الطاعة والفرح، فكلما أطعنا أكثر فرحنا أكثر وإذا أطعنا أقل سنفرح بدرجة أقل والآن يمكننا أن نأخذ هذا التحذير ونجرى فى عدة اتجاهات، فقد يذهب بعضنا لينظر فى كتاب القواعد الكنسية ولكن الله لا يبحث عن طاعة ميكانيكية لقواعد استبدادية فأبونا السماوى ليس رجلا عجوزاً يحمل عصا فى يده، ويرتدى ملابس سوداء، ويتسم بروحه الوضيعة ووجهه المتجهم ويجلس فى السماء ليضع القواعد التى

تجعلنا نشعر بأننا بائسون، وهو مختلف تماما عن رجال البوليس الموجودين فى أعماق أمريكا الجنوبية والذين يحددون أن المرء فى هذه البلاد يجب أن يقود السيارة بسرعة قليلة ثم يختبئون ليقبضون على من يتجاوز هذه السرعة.

الله يحبنا، ويهدف من كل ما فعله لنا أن ندخل فى علاقة أعمق معه وليسهل علينا أن ندخل معه فى علاقة حميمة، ومن إحدى الوسائل التى يستخدمها الله فى تعميق علاقتنا معه أن يظهر لنا صفاته، ويمنحنا ناموسه الأخلاقى كإحدى الوسائل التى يظهر لنا بها صفاته، فتعكس وصايا الله شخصيته.

فعندما يمنحنا الله ناموسه فإنه يقول لنا : " هذه هى طبيعتي، وإذا عشتم وفقا لما يتماشى مع طبيعتى ستختبرون الفرح والسلام والاكتفاء فى الحياة، فأنا إله محب جدا لهذا عليكم أن تحبوا بعضكم بعضا، فقد خلقت الحياة لهذا. لا تقتلوا بعضكم البعض ، أنا منبع العطاء لهذا لا تسرقوا، لقد خلقتكم على صورتى لتشتركوا معى فى هذه الصورة، وإن عشتم بالأسلوب الذى أردتكم أن تحيوا به ستسعدون وإن لم تفعلوا هذا ستحزنون".

ألهذا الكلام معني؟ فكر للحظة فى شركة سيارات فورد، فقد قضى أفرادها وقتاً، وبذلوا مجهودا كبيرا، وأنفقوا أموالا طائلة ليصمموا سياراتهم، ولديهم فكرة واضحة عن السبب الذى صممت من أجله هذه السيارات والأمور التى يجب ألا تقوم بها هذه السيارات، ولديهم مقدار كافٍ من المعرفة عن أفضل الوسائل للاعتناء بمثل هذه السيارات، فإذا استخدم العملاء هذه السيارات بما يتماشى مع الأهداف التى صممت من أجلها هذه السيارات واعتنوا بهذه السيارة وفقا للتعليمات، فلن تسبب السيارة متاعب

لسائقيها، وإذا لم يفعل السائقون هذه التعليمات فستسبب لهم هذه السيارات متاعب إن آجلا أو عاجلا.

فعلى سبيل المثال لقد صممت هذه السيارات لتسير على الطرق المرصوفة وصممت لتسير بالبنزين. والآن افترض أنك قلت لنفسك :

" أنا لا أحب البنزين، فهو غالى الثمن ورائحته لا تروقني، فأنا لست من الأشخاص الذين يميلون إلى استخدام البنزين لكنى أميل إلى استخدام الدايت كوكا كولا أكثر وتشعرني القيادة لمسافات طويلة بالملل، فلماذا لا أقوم بجولة لمشاهدة المناظر الطبيعية أو جولة نهرية فى النهر بهذه السيارة الفورد كنوع من التغيير وبالطبع لن تستطيع السير بالدايت كوكا كولا فى النهر بالسيارة لمدة طويلة.

أتذكر أنه فى أحد الأيام عندما كنت خارجا للتمشية فى أمستردام، ثم قابلت رجلا كان يفكر بنفس هذا الأسلوب تقريبا (فكنت أعتقد أنه ثمل أكثر من أنه يفكر) ، فأخذ يتلوى حتى وصل إلى سيارته وهى سيارة ماركة فولكس فاجن قديمة، ثم دخل وأدار المحرك ووضع يده على ناقل الحركة (الفتيس) وسار فى أحد هذه القنوات المائية التى تتجه إلى المدينة.

ومن بين مميزات السيارات الفولكس فاجن أنها محكمة ويمكنها الطفو على المياه لفترة، لهذا فقد سار هذا الشخص فى هذه القناة المائية وهو يضع قدميه على بدال البنزين ويمسك بعجلة القيادة كما لو أنه يقود السيارة على المياه.

وعلى الرغم من ذلك اكتشف هذا الرجل غلطته. فلا يهم مدى رغبتنا فى قيادة السيارة فى المياه. فلم تصمم السيارات لتسير فى

المياه، وكان هذا المرء سيتعلم درسا مشابها إذا ملأ سيارته بالكوكا كولا الدايت بدلا من أن يملأها بالبنزين.

وتتشابه الحياة الإنسانية مع هذا المثل إلى حد كبير، فإذا كنا نريد لهذه الحياة أن تسير بسلاسة فعلينا أن نعمل ما يتوافق مع تعليمات المصنع، وفى هذه الحالة فإن الكتاب المقدس المكتوب فيه هذه التعليمات، والذى أوحى به من الروح القدس على الرغم من أن الأيدى البشرية هى التى كتبته. يخبرنا الله فيه بأن هذه هى صفاته، وهذه هى طبيعتنا، وبأن قوانينه تعكس طبيعته وأننا إذا اتبعنا هذه القوانين فسنختبر الفرح فى العلاقة الحميمة معه، وإذا لم نتبعها فاننا نتبع أسلوبا لا يتوافق مع طبيعة الله ولا يتوافق مع طبيعتنا أيضا، والأكثر من هذا أننى (أى الله) قد وضعت نظاما مبنيا على أن النتائج تأتى بسبب، فإذا تجاهلتم وصاياى أولم تطيعوها فسوف تحصلون على هذه النتائج".

من هنا نجد أننا عادة ما نحصل على الأفكار والانطباعات الخاطئة، فعادة ما نتخيل أن الله إله وضيع يعاقبنا على خرقنا للقواعد ولكننا فى الواقع أمام إله رحيم يسمح لنا باختبار نتائج أخطائنا حتى نتعلم ألا نرتكب هذه الأخطاء مرة أخري.

فعندما ننظر إلى وجهة نظر الله بهذه الطريقة سنرى أنه لا معنى لأن نلوم الله على النتائج السلبية لتصرفاتنا كما لو أن كل هدفه فى الحياة هو أن يقبض علينا ليعاقبنا مثل رجل الشرطة، فليس علينا ألا أن نلوم أنفسنا. وتعد التوبة طريقا لنستعيد به فرحنا، فكلما أسرعنا فى الاعتراف بأخطائنا وكلما أسرعنا فى تغيير طرقنا وكلما استعدنا فرحنا بالعلاقة الحميمة مع الله فى وقت أقل.

دين بلا علاقة

أتذكر أحد أصدقائى الذى كان معلما للكتاب المقدس ودعى للتحدث عن الأخلاق الجنسية فى جامعة عريقة، وكان المتحدثون الآخرون المدعون معه يؤيدون فلسفة الحب الحر والجنس الحر وشك صديقى فى أنه دعى حتى يستطيع الآخرون أن يناظروه.

وعندما أتى دوره ليتحدث قال ببساطة :" أنا أحب الجنس وأعتقد أنه شئ رائع وعادة ما أستمتع به "؟ واستمر صديقى يتحدث عن كيف أن التزامه بالزواج خلق حواجز الأمان والثقة التى جعلت الشبع الجنسى ممكنا كما أراده الله أن يكون بين الرجل والمرأة.

ويعد التعليم المسيحى عن الجنس أمرا غير مألوف فى معظم الجامعات، فمعظم الطلبة يعتقدون أن التعليم المسيحى عن الجنس عبارة عن نوع من القواعد الصارمة التى تهدف إلى أن تحرمنى من السعادة التى يجب أن أشعر بها، ولكن عندما أنهى صديقى حديثه وقف الحاضرون احتفاء به، واستطاع الطلبة أن يفهموا من هذا اليوم فصاعدا أنه من الأفضل أن يتبعوا تعليمات الله فى هذا الأمر وفى الأمور الأخرى أيضا.

هل اتضح الآن لماذا تحدث يسوع عن الصداقة والطاعة فى نفس الوقت؟ فقد كان مدفوعا برغبته فى ازدهار صداقتنا معه ونموها عندما أعطانا ناموسه، وفى نفس الوقت يجب أن تكون الصداقة هى الدافع وراء طاعتنا لله، يقول يسوع : "أود أن تعنى صداقتنا الكثير لك حتى ترغب فى طاعتي، ولا تشعر بأنه يجب،

عليك أن تطيعنـى " وتعكس هذه الاستجابة الفـرق بيـن العلاقـة النابعة من داخل الإنسان والعلاقة المفروضة عليه.

من أسوأ الأمور المحزنة فى المسيحية اليوم أن هناك عددا كبيرا من الناس عندهم دين وليس لهم علاقة مع الله، فتعد المسيحية بالنسبة لهم أمرا مفروضا عليهم وليست أمراً مرغوبا فيه، فيشعر معظم الناس بأن الخدمة التزام يجب أن يؤدونه نحو الله وأنها ليست مصدراً للابتهاج والفرح. فيقولون فى أعماقهم : " ماذا سيقول الناس عنى إذا لم أذهب إلى اجتماع الصلاة الذى يقام فى وسط الأسبوع؟ ماذا سيحدث لى إذا لم أذهب إلى اجتماع العبادة يوم الأحد؟ '

وماذا سيقولون عنى إذا لم أرنم مع فريق الترانيم؟ وماذا سيقولون عنى إذا لم أضع نقودا فى طبق العطاء؟"

يفتقد هؤلاء الأشخاص المغزى من وراء فعل مثل هذه الأمور وبالتالى يفتقدون الفرح ! دعونى أضرب لكم مثلا آخر، ففى هولندا حيث عشت عدة سنوات يميل الناس إلى التسامح، فالقوانين الهولندية ليست رادعة بالدرجة الكافية، ولكن لديهم قانون يمنع ضرب الزوجات، ولم أتعد هذا القانون عندما كنت أعيش فى هولندا، فلم أضرب زوجتى أبدا. لماذا؟ هل لأن هناك قانوناً يمنع ضرب الزوجات؟ أم لأنى خائف من الدخول فى مشكلات مع شرطة مكافحة ضرب الزوجات؟

لا ! فلا أعامل زوجتى بأسلوب رقيق لأن هناك قانوناً يمنعنى من ضربها، لكنى أعاملها برقة لأنى أحبها! ولأن هناك علاقة بينى وبينها، وهناك رغبة فى داخلى لأن أعتنى بها، لهذا

السبب أقدم لها أكثر مما يتطلبه القانون، فلا أضربها فحسب بل أيضا أعاملها برقة واحترام.

هكذا يفترض أن تكون العلاقة بيننا وبين الله، فإذ وجدنا أنفسنا نمضى فى الحياة متحيرين بشأن : " هل يمكننى الإفلات من هذا الأمر؟ هل القانون يبيح هذا؟ إذن فإننا نفتقد الهدف من وراء هذه الأمور، فلا يتساءل الذين يحبون عن أقل ما يمكنهم أن يفعلوه مع بعضهم البعض، لكنهم يسعون بالطبع إلى فعل كل ما يمكنهم فعله.

يضع الدافع من وراء القيام بأى شئ كل الفرق فى العالم فهو يفرق بين الخوف والحب، وبين الالتزام والعلاقة، وبين الذنب والنعمة، وبين الصداقة والإدعاء.

قد تتوقع أن هذا الفصل المخصص عن أهمية الطاعة سيركز على القواعد. وقد تبحث فيه عن قائمة طويلة للقواعد والنظم، وما يجب أن تفعله وما يجب ألا تفعله، هذا إلى جانب تفسير كيف أن أتباع هذه القواعد والنظم سيجعلك تربح علاقة حميمة مع الله.

حسنا إن كان هذا ما تتوقعه فأخشى من أننى سأخيب ظنك، فإنى أطمع فى أن أظهر لك كيف أن وضع " القواعد الصارمة والصعبة من أجل الدخول فى علاقة الصداقة مع الله " ليس أمرا كتابياً، فتساهم هذه الفكرة فى عملية " التدين " وفى محاولة الحصول على رضا الله عن طريق ما نفعله.

فى نفس الوقت أنا لا أقول أنه لا توجد وصايا ومعايير فى الكتاب المقدس، فهناك مذهب فى المسيحية يؤيد هذا الاتجاه، فلا يتعامل الله معنا بمبدأ "كله ماشي"، فكما رأينا يظهر الله لنا

طبيعته ويدعونا أن نتصرف وفقا لطبيعته، وإذا فعلنا هذا سنختبر ما يطلق عليه يسوع "ملء الفرح"، وإذا لم نفعل سنختبر العواقب الوخيمة.

ولا يهم أن نلخص مجموعة من الوصايا ولكن المهم هو أن نأخذ بقدر الإمكان فكرة عن طبيعة الله حتى نستطيع أن نتصرف وفقا لطبيعته، وكما ذكرنا من قبل قد نقضى باقى حياتنا نبحث عن أعماق طبيعة الله وشخصيته، فكل ما يمكننا أن نفعله فى فصل قصير كهذا هو أن نمدك ببداية بسيطة.

الطاعة من القلب

بعدما ذكرت كل هذا أود أن أتأمل فى بعض جوانب شخصية الله من المنظور التالى وهو كيف ستؤثر على حياتنا هذه الجوانب إذا أطعنا الله من القلب، لدرجة أن نأتى إلى الله لنعرفه، ولدرجة الرغبة فى الدخول فى علاقة حميمة معه، فسنرغب فى أن تتوافق كلماتنا وأفكارنا وتصرفاتنا مع طبيعته.

أمانة الله تحثنا على أن نكون أمناء : - قد تكون الأمانة مفهوماً غامضاً ، فلمن نكون أمناء؟ هل لله؟ هل لأصدقائنا؟ أم لوعودنا؟ أم لأزواجنا؟ أم لعائلاتنا وبالقطع ستكون الإجابة نعم لكل هؤلاء، ولكن يمكن أن تكون هذه الأمانة الواسعة النطاق صعبة علينا فى غمرة الحياة اليومية.

يعرف يسوع ضعف الطبيعة البشرية لهذا أوضح لنا مفهوم الأمانة حتى نستطيع التمسك به : " الأمين فى القليل أمين أيضا فى الكثير. والظالم فى القليل ظالم أيضا فى الكثير. فإن لم تكونوا

أمناء في مال الظلم فمن يأتمنكم على الحق. وإن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم" (لو١٦ : ١٠ - ١٢) .

والمبدأ بسيط : - تسبق الأمانة في الأمور الصغيرة الأمانة في الأمور الكبيرة حيث تسبق الأمانة في الأمور العادية الأمانة في الأمور الروحية، ويمكننا أن نعكس هذا المبدأ البسيط ونقول : تعد ممارسة الأمانة في الأمور الأرضية البسيطة بمثابة الوسيلة للنمو في الأمانة في الأمور الروحية الكبيرة.

تحثنا المحبة على الأمانة فعندما نحب الله ونحب الآخرين بشدة، ستتدفق الأمانة من قلوبنا، فلعلنا لا ننمو في الحياة الروحية ولا ننمو في العلاقة الحميمة مع الله لأن الله أعطانا شيئا صغيرا وهذا الشيء يبدو وكأنه شيئ تافه بالنسبة لنا لهذا احتقرنا هذا الأمر الصغير ولكن يبدو أن هذه الأمور التي تبدو تافهة في نظرنا هي أهم الأمور في نظر الله.

أتذكر أنني منذ أكثر من ٢٥ عاما ساعدت في إرسال أحد الإرساليات واصطحبنا خلال هذه الإرسالية ما يقرب من ٢٥٠ شابا إلى جاميكا في فترة الصيف وكنت متحمسا بشدة لكي أكون أحد المشاركين في هذه الإرسالية فذهبت إلى الشخص المسئول وقلت له : "ما الذي يمكنني أن أفعله حتى أساعد في هذه الإرسالية؟ "

فقال لي هذا المسئول : " أيمكنك النزول إلى الدور السفلي حيث يوجد مجموعة من الكتب التي تم شحنها لنا، ونحتاج إلى ترتيب هذه الكتب فهل تستطيع أن تقوم بهذا ؟ "

فقلت له : " بالطبع " لأني كنت سعيداً بأن أساعد في هذه الإرسالية .

وعندما نزلت إلى الطابق السفلى وجدت صناديق كثيرة من الكتب التى غمرتها المياه ولا أعرف كيف حدث ذلك، فقد تكون هذه الصناديق قد تركت فى العراء فتعرضت لمياه الأمطار، وقد تكون قد سقطت من السفينة أثناء التفريغ، ولكن على أية حال فقد كانت هذه الكتب فى حالة سيئة.

وقلت فى داخلى : " قد يستغرق ترتيب هذه الكتب عشرين عاماً" ولكن بالطبع لم يستغرق الأمر كل هذا الوقت الطويل ولكنه استغرق عدة أيام فقد كان علىَّ أن أقوم بتفريغ الكتب من الصناديق وأعرضها للهواء حتى تجف ثم أصنف الكتب وأحزمها وأضعها فى الصناديق مرة أخرى وأحكم إغلاق الصناديق.

ولا أخجل من أن أخبرك عزيزى القارئ بأن ذهنى تمتع باختبار روحى مميز، فقد كنت أعتقد أن القيام بهذا العمل شيئاً سخيفاً، فلم آت إلى الإرسالية لأقوم بهذه المهمة، فقد أتيت لأقوم بتوزيع النبذ ولم آت لأحزمها وأرتبها، فقد أتيت لأخدم الرب ".

وبعد قليل أدركت أن هذه المهمة التى كلفنى القائد للقيام بها لم تكن إلا درساً رائعاً فى مدرسة الله، فهل كان حبى لله كبيراً بدرجة أن أكون أميناً فى القيام بمثل هذه المهمة التى تبدو تافهة؟

فيعرف الذين يديرون عملاً أو يرأسون قسماً أو لجنة مدى الصعوبة التى يواجهونها فى البحث عن أناس أمناء فى الأمور الصغيرة، ويبحث الله عن مثل هؤلاء الناس، حيث يبحث عن رجالٍ ونساء أمناء من قلوبهم لأنهم لا يريدون شيئاً سوى إرضاء الله.

الله دعانا لنشر غفرانه للآخرين : - نعلم أن الله غفر لنا خطايانا، ويخبرنا الكتاب المقدس أنه يجب علينا أن نغفر

للآخرين، إلا أن يسوع يقول ما هو أكثر من هذا وهو أنه يجب علينا أن نغفر لأعدائنا ونصلى لأجل الذين " يسيئون إلينا (أنظر لو ٦) .

هل تعرضت لأذى من الآخرين؟ هل استغلك أحد من قبل؟ هل تعرضت للخيانة من شخص ما؟ هل فعل بك أحد شيئا يمكن أن نطلق عليه ابتزاز؟ ماذا تفعل إزاء هذه المشاعر الجريحة؟

ماذا يقول لك يسوع؟ يسوع يقول لك : " اغفر".

فلا يفيد أن تقتلع السن الذى يوجد تحته الخراج بدون أن تعالج مصدر الألم. لذلك علينا أن نصل إلى مصدر الألم قبل أن "تغفر". فعلينا أن نعرف مدى الأذى الذى لحق بنا بسبب تصرفات الآخرين قبل أن نغفر لهم، وعلينا أن نقضى وقتا فى تحليل السبب وراء شعورنا بالأذى "هذا الأمر يؤلمنى لأن ذلك الشخص قال شيئا وفعل شيئا آخر "لقد شعرت بالألم لأنى لن أستطيع الوثوق به مرة أخرى".

مهما كانت المشكلة التى نعانى منها علينا أن ندعوها ونطلق عليها اسمها الحقيقي، يغرق كثير من المؤمنين فى ما يطلق عليه علماء النفس اسم "الرفض" أو "الإنكار" فلا يواجهون أنفسهم بما يضايقهم، ويحاولون أن ينسجوا قصة على كل شئ ضايقهم محاولين أن يتظاهروا بأن ما يضايقهم لم يحدث.

يؤدى اتباع هذا المنهاج إلى ما أطلق عليه أعراض " سيارة جمع القمامة " هل تعلم ما هى تلك السيارة؟ إنها نقالة تأخذ كل النفايات وتخلطها معا، يفعل كثير من الناس نفس الشيء بمشاعرهم : فيكتمون مشاعرهم فى داخلهم ويحاولون أن يتظاهروا بأن مشاعر الغضب هذه غير موجودة، ولكن بالطبع

تمتلئ قلوبهم بهذه المشاعر، وأن آجلا أو عاجلا سيحتاجون إلى التخلص من هذه المشاعر.

عندما كنت شابا كنت نادرا ما أتحدث عن مشاعري، فإذا انتابتني مشاعر الغضب لا أسمح لنفسي بالتعبير عنها، وكنت أتظاهر بأن كل شئ على ما يرام، أما إذا اجتاحتني مشاعر القلق أو الإحباط أو الخوف كنت أكتمها بداخلي وأستمر في ما كنت أفعل وكأن شيئا لم يحدث.

وأتذكر أن هناك شخصاً قال لي : " فلويد أنت لم تفصح عن مشاعرك أبداً " ولم أدرك وقتها عما كان هذا الرجل يتحدث. ثم استكمل هذا الرجل كلامه قائلا " أنت لا تتعامل مع مشاعرك ولا تعرف ما هي هذه المشاعر التي بداخلك، فإنك لا تعرف الأسماء التي يمكنك أن تطلقها على مثل هذه المشاعر".

فتوصلت منذ ذلك الوقت إلى حقيقة هامة ألا وهي أن الله خلقنا كائنات عاطفية، فلم تكن مشاعرنا حتى تلك المشاعر السلبية والحزينة نتيجة لسقوطنا لكن الله وضع هذه المشاعر في داخلنا منذ البداية فتشبه هذه المشاعر اللمبات المحذرة الموجودة أمام سائق السيارة حتى تشد انتباهه في حالة وجود عطل ما في محرك السيارة.

وهناك أيضا علاقة بين مشاعرنا وبين ما يحدث في داخلنا، لذلك يعد تعلمنا لكيفية التعبير عن مشاعرنا ووصفها ونقلها والتعامل معها بجدية أمراً هاماً وحيوياً لسلامتنا ولعلاقاتنا بالآخرين.

وعلينا أيضا أن ندرك أن الغفران مسألة تستغرق وقتا، فكم تمنينا لو أن الغفران كان أمرا يحدث بسرعة ولكن تخيل أنك تعرضت لحادث ما والتوى ذراعك وكسرت عظامك فإنك ستذهب إلى الطبيب الذى سيقول لك : " دعنا اليوم ننظف الجرح وغدا.."

فتقاطعه قائلا :" لا أريد أن أعاودك غداً لكنى أريدك أن تعالجنى الآن ". هل يمكنك أن تدرك أن علاج ذراعك لن يسير بهذا الأسلوب؟ فنستنتج من ذلك أن الشفاء يستغرق وقتا، وكلما كان الجرح غائرا تطلب ذلك مدة علاج أطول.

ينطبق نفس الأمر على مسألة الغفران، فنود لو أن الغفران يكون رد فعل سريع ويحدث فى الحال حتى نستطيع أن نسامح من يضايقنا ببساطة شديدة ولكن هذا لا يحدث فى الحياة الواقعية حيث يستغرق الغفران وقتا، فعندما نتضايق من شخص ما نغفر له، ولكن عندما نفكر فى هذا الشخص بعد أسبوع أو شهر نجد أن مشاعر الألم والغضب مازالت فى داخلنا، فنغفر له مرة أخرى وأخرى وأخرى فهذا هو الغفران.

فلا يعد الغفران تغطية لما حدث أو محاولة للتظاهر بأن ما حدث لم يجرحنا أو لم يحدث. ولكن الغفران هو إدراك أن ما صدر عن هذا الشخص كان تصرفا خاطئا وبسببه شعرنا بأننا مجروحون ومازلنا نشعر بهذا الجرح حتى الآن، فنستمر فى الغفران لهذا الشخص حتى يمكننا أن ننظر إلى هذا الشخص الذى جرحنا بدون أن نشعر بأنه جرحنا ولكن نشعر بأن الله يحب هذا الشخص.

وعندما نقرر أن نغفر مرات ومرات إذا لزم الأمر سيملأ الله قلوبنا بمحبته نحو هذا الشخص الذى أساء إلينا، فيعد الغفران

تدفقاً لحب الله العميق الموجود بقلوبنا نحو هؤلاء الذين أساءوا إلينا، وهو أن نسامح هذا الشخص الذى أخطأ فى حقنا.

لطف الله جانب آخر من شخصيته سيؤثر على طاعتنا له : - يعرف اللطف بأنه تحملنا لبعضنا البعض بالرغم من ضعفنا وأخطائنا، فيدخل اللطف تحت نطاق الوصايا الكتابية التى توصينا بألا ندين، حيث نعمل جميعا أنه لا يوجد أى شئ يجعلنا نشعر بعدم محبة الآخرين لنا سوى أنهم يحكمون أنه لا يوجد أى شيء يجعلنا نشعر بعدم محبة الآخرين لنا سوى أنهم يحكمون علينا ويدينوننا وجميعنا نعلم أن يسوع أوضح هذا الأمر فى إنجيل مت ٧ : ١ " لا تدينوا لكى لا تدانوا ".

يعد الجهل بالفرق بين الإدانة وحسن التميز أحد المشكلات التى يقع فيها معظمنا فقد اشتقت الكلمتان من أصل يونانى واحد، ومعنى حسن التمييز أن ترى الأمور وأن تعترف بما هو جيد أو ما هو سئ أو ما هو صواب وما هو خطأ مهما كان ما تواجهه، أما الإدانة تمضى إلى ما هو أبعد من ذلك : فهى أن تصدر حكما، وتحكم به على شخص ما وتبعد هذا الشخص الخاطئ عنك أو أن تظن على الأقل من وجهة نظرك أن هذا الشخص قد خسر حب الله له، فتتخطى الإدانة عملية عدم الاتفاق مع الشخص الخاطئ لأنك تظن أن هناك دوافع أنانية وخاطئة وراء أفعاله.

عندما يخبرنا يسوع ألا ندين الآخرين فهذا لا يعنى أن نرتدى غمامة على أعيننا ونتجاهل ما نراه خطأ أو ندعى عدم وجود هذا الخطأ، ولا يقصد يسوع أن يجعلنا نتصرف كما لو أن هذه الأشياء

الخاطئة صواب فهنا يأتى دور التميز ولكن إن أخذنا الخطوة التالية بالإدانة كما لو أننا نجلس على كرسى القضاء ونصدر أحكاما على الآخرين وعلى دوافعهم.

نرى فى كثير من الأحيان أن هناك أشياء كثيرة فى حياة الآخرين لا تعجبنا ولا توافقنا، وأحيانا تؤرقنا مثل هذه الأشياء بينما نعتقد أو نعلم علم اليقين أن هناك أشياء أخرى خاطئة فكلما تمتعنا بفترات عبادة وشركة مع شخص ما، أصبحنا قادرين أكثر على رؤية ضعفه وفشله، ويمكن أن يكون هذا اختباراً لعلاقتنا مع الآخرين فإذا كنا لا نعرف ضعفات بعضنا البعض فإننا بالتالى لا نعرف بعضنا البعض جيدا.

وهنا يأتى دور الصبر، فالصبر هو الاقتراب من الآخرين بالقدر الكافى حتى نرى ضعفهم ولكننا فى نفس الوقت نحبهم جدا لدرجة ألا ندينهم، ولكن على العكس نختار أن نسير معهم جنبا إلى جنب حتى يجتازون مرحلة معالجة مشكلاتهم.

تشتمل طاعة يسوع على الترحيب بالصغار والضعفاء والمجروحين. يتضح الجانب الرابع من شخصية الله وطاعتنا له فى هذه المحادثة التى دارت بين يسوع وتلاميذه. " وداخلهم فكر من عسى أن يكون أعظم فيهم. فعلم يسوع فكر قلبهم وأخذ ولدا وأقامه عنده وقال لهم. من قبل هذا الولد باسمى بقبلني. ومن قبلنى يقبل الذى أرسلني. لأن الأصغر فيكم جميعا هو يكون عظيماً : (لو ٩: ٤٦ - ٤٨) .

يمكننا أن نعرف ما إذا كنا نسير فى الطريق السليم أم لا إذا كنا نكرس وقتا لنقضيه مع "الصغار"، فإذا كنا نعتقد أننا مهمون

للآخرين ولكننا نبعد أنفسنا عن احتياجاتهم وآلامهم فمازال أمامنا الكثير لنتعلمه عن محبة الله.

ويوضح يسوع هذه النقطة فى مثل السامرى الصالح، ونعلم جميعاً قصته فقد كان هناك لصوصٌ ضربوا هذا الرجل وتركوه على حافة الطريق شبه ميت ومر عليه ثلاثة رجال "متدينون" ولم يتوقف منهم إلا رجل واحد ليعينه وأعتقد أن أحد الأشياء التى كان يسوع يقولها فى هذا المثل هو أننا إن كنا أصدقاء فسنكون أناسا يلمسون خزى الآخرين دون تردد.

لمس خزى الآخرين : فكر فى السامري، فلم يلق بعض العملات المعدنية الفائضة منه فى طبق العطاء ولم يرسل شيكا بالبريد استجابة لدعوة جمع تبرعات للعناية بالغرباء والمجروحين لكنه انحنى ولمس الرجل الجريح الذى كان غارقا فى جروحه وخزيه، وحمله إلى الفندق على حماره وضمد جراح الرجل، لقد تصرف السامرى كما كان يسوع سيتصرف فى مثل هذا الموقف، لقد أطاع هذا الرجل الله من قلبه متجاوبا مع احتياجات الرجل المجروح.

الصفة الخامسة لطبيعة الله وعلاقتها بطاعتنا له هى المسئولية : يطالبنا يسوع بأن نحذر بعضنا البعض عندما نشعر بدخول الأنانية بيننا وندعو بعضنا البعض إلى حياة القداسة. لم يكن هناك شخصٌ يشعر بالمسئولية فى كل أفعاله ومواقفه مثل الرب يسوع : " لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم.. حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك.." (يو ١٧ :٨ ، ١٢) كان يسوع خاضعا لسلطة الآب وكان منفتحا عليه ومسئولا عن تلاميذه .

كان يسوع يشارك تلاميذه بأثقاله عندما كان معهم في بستان جثسيماني قص عليهم التجارب التي واجهها في البرية، وحكى لهم عن أحماله.

ويعلمنا الكتاب المقدس أن نعترف بخطايانا وأثقالنا لبعضنا البعض (غلا ٦ : ١، يع ٥ :١٦) ويعلمنا أيضا الكتاب المقدس أن نواجه بعضنا البعض : " وأن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه " (متى ١٨ : ١٥)، إلا أني أعتقد أن هذه الوصية هي أكثر وصية نتجاهلها في الكتاب المقدس.

حيث نجد أن المواجهة صعبة جداً! فعندما يخطئ إلينا شخص ، قد نفعل أي شئ إلا أن نواجه هذا الشخص مباشرة، فقد نغضب أو نشعر بالجرح العميق أوقد نتخذ موقف الدفاع أو نمتلئ بالشفقة على الذات، وقد نذهب لنتحدث مع الآخرين عن هذا الخطأ الذي صدر عن ذلك الشخص في حقنا، ولكن الذهاب إلى هذا الشخص لنقول له أولها " نحتاج أن نتحدث معاً " هو آخر ما نفعله.

ولعل مواجهة الآخرين لنا أصعب من مواجهتنا للآخرين، ولكننا نحتاج إلى النوع الأول من المواجهة فيعد قبول تحذيرات الآخرين لنا شرطا لا غنى عنه لطاعتنا لله.

يعمل أحد أصدقائي مستشارا للأمور الإدارية، ويبدأ أية علاقة عمل بأن يسأل الشخص المسئول : "من الذي يمكنه أن يقول لك لا في هذه المؤسسة دون أن يضايقك؟" فإذا كانت إجابة هذا

المسئول : "لا أحد" تكون هذه هى نقطة البداية. فالمسئولية مسألة حساسة. ماذا عنك؟ هل يوجد شخص يمكنه أن يقول لك لا دون أن تتضايق؟"

أسس كونت زينزند روف"المورفينز" وهى حركة نهضة مسيحية مثمرة فى ألمانيا عام ١٧٢٧، وقد تلقى هذا الكونت كما كبيرا من الانتقادات، فقد كان كل من حوله من اللوثرين أو الكاثوليك وكان كل من أفراد الطائفتين يكتبون له خطابات نقد أو إدانه.

يلقى معظمنا مثل هذه الخطابات قبل أن يراها الآخرين إلا أن زينزندروف اعتاد أن يقرأ هذه الخطابات بصوت عالى على جموع الحاضرين ! ثم يقول : من فضلكم أوضحوا لى ما هو صواب فى هذه الخطابات حتى أستطيع أن أصلح من نفسى ". ياله من مثال للشجاعة والاتضاع.

عندما كنت طالبا فى مدرسة الكتاب المقدس كان هناك أستاذ يعتقد أنه من الأفضل لك إذا كنت ستصبح خادما ألا تسمح للناس بالاقتراب منك جدا وتعلمت أن أجعل هؤلاء الذين أقودهم ينادون علىّ قائلين : قس ماكلينج" لأنى تعلمت أنهم إذا اعتادوا على سيفقدون احترامهم لي.

إلا أننى وجدت أن العكس صحيح، فعندما يقترب منك الناس وعندما يمكنهم أن يروا أخطاءنا سيشعرون بالأمان الكافى الذى يجعلهم يواجهوننا بأخطائنا وسيحترموننا إذا استجبنا لما قالوه بكل اتضاع.

أحتاج أن أجعل نفسى مسئولا عن الآخرين وأنت أيضا تحتاج إلى هذا، فيجب أن ندعو الآخرين إلى الاقتراب من حياتنا وأن نلزم أنفسنا بمواجهتهم عندما تستدعى الضرورة هذه المواجهة، ونحتاج أن ننفتح مع أصدقائنا وزملائنا وشركاء حياتنا، فبهذا تتدفق المحبة فى حياتنا.

قال يسوع :" أنتم أصدقائى إذا أطعتم وصاياى " فالطاعة هى تدفق المحبة، لقد شرحت بعض الجوانب القليلة من هذا الحق الكتابي، ولا أحتاج أن أقول انه يمكننى أن أذكر طرقاً أخرى كثيرة يجب أن تتدفق منها محبتنا لطاعة الرب، ولكن هذه هى البداية فكلما أطعنا وصايا الله اختبرنا بركاته وكنا مستعدين للتجاوب مع حرارة الصداقة " مع الله.

الفصل العاشر

طلقات نيران من مدافع الأصدقاء

أدخلت حرب فيتنام عدداً من الكلمات والتعبيرات إلي اللغة الإنجليزية، وكان تعبير "طلقات نيران من مدافع الأصدقاء" من أروع هذه الكلمات التي أدخلت إلي الإنجليزية. وهو تعبير ملتو ولطيف عن أمر بغيض ابتدعه الجيش ليصف به حدثاً مأساوياً ألا وهو قتل الخطأ للجنود بطلقات نيران مدافع زملائهم لا الأعداء .

نشعر في بعض الأحيان كمسيحيين أننا نواجه " طلقات من الأصدقاء"، حيث يبدو أن معظم التجارب والصعاب المؤلمة التي نجتاز فيها تأتي من المصادر التي نعتقد أنها تؤيدنا، مثل رفقائنا المؤمنين على سبيل المثال أو حتى الله نفسه .

- **هل شعرت كما لو أن الله يطلق عليك النيران؟ قد تكون صائبا في هذا.**

"جميع هذه الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها لكي تحيوا وتذكروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا ". (تث ٨ : ١-٢) .

تخبرنا هذه الآيات إلي جانب آيات أخري كثيرة بما يعارض الكثيرون منا الاعتراف به وهو أن الله يجربنا، فلا تنتج الكثير من التحديات التي نواجهها في الحياة من الأعداء القدامى أو العالم أو الجسد أو الشيطان، ولكن تأتي علينا معظم هذه التجارب والصعاب

مصحوبة بموافقة الله عليها لينقينا وحتى نري بأنفسنا الضعفات التي تظهر تحت النيران.

محبة الله الجامدة

الله ليس وضيعا ولا يسعد عندما يرانا متضايقين، وعندما يجربنا الله فهذا حتما وبدون شك لخيرنا، فيهدف حب الله الجامد لنا أن يساعدنا على الاقتراب منه وقد فهم كاتب رسالة العبرانيين هذا المبدأ.

"وقد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخز إذا وبخك. لان الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين.. وأما هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته. ولكن كل تأديب في الحاضر لا يُري أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيرا فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام " (عب ١٢ : ٥ - ٧، ١٠ - ١١) .

يجب التأكيد على عدة نقاط في هذه الآيات. أولاً : لاحظ أن هذه الآيات تتحدث عن الأبناء والبنات بالطبع، وتتحدث عن أولاد الله المحبوبين، فيعد التهذيب جزءاً لا يتجرأ من الأمور الأخرى التي نقبلها عندما ننضم إلي عائلة الله فلا يتجاهل الآب السماوي خطايانا ويتغاضى عن عيوبنا مثلما يفعل الكثير من آبائنا الأرضيين ولكن يأخذ الآب السماوي على عاتقه أن يعيننا على تصحيح مسارنا.

وتوضح هذه الآيات التي ذكرناها من رسالة العبرانيين أن المحبة هي الدافع وراء تهذيب وتأديب الله لنا، وعندما نختبر يد الله التي تختبر أو تصحح مسارنا سيكون رد فعلنا الأول هو أن نسأل : " لماذا يضايقني الله؟ " ولكن الله يؤدبنا لأنه يحبنا.

ثالثا : تخبرنا هذه الآيات أن هدف الله هو أن يعيننا على أن نشترك معه في قداسته، فلا يحمل تأديب الله واختباره لنا جانباً سلبياً

فقط بل أيضا جانباً إيجابياً، فعندما نخطئ سيسعي الله إلي أن يضعنا في الطريق الصحيح، وعندما نضعف سيبذل الله كل جهده ليقوينا.

ولكن هناك ما هو أكثر من هذا أنه حتى عندما نكون أقوياء سيسعي الله ليزيد قوتنا وعندما نكون مقدسين سيسعي الله إلي أن يزيد قداستنا، لقد ذكر يسوع هدفه من هذا " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل " متي ٥ : ٤٨.

رابعاً : تظهر لنا هذه الآيات أنه على الرغم من أن التأديب ليس بالأمر الذي يدخل السرور إلي النفس إلا أنه يثبت أنه يستحق المعاناة مع الوقت. ألم نر جميعا هذا المبدأ في حياتنا. أتذكر أنه عندما كنت طفلا صغيرا كنت أتعلم السباحة في جمعية الشبان المسيحية، كان طلبة الجامعة الذين كانوا يدربونني ملتزمين جدا بالنظام، فقد عودوني على أن أبقي على رأسي منخفضة عندما أحركها لأخذ نفسي، وعودوني على أن أبقي على أرجلي مستقيمة عندما أضربها في الماء، ولم يسمحوا لي ولا مرة بأن أقلل من عدد الأمتار التى يجب على أن أقطعها فى السباحة في الحمام.

وقد كانت مشاعري نحو هؤلاء المدربين مملوءة بالمرارة إلا أنني اليوم أقدر ما فعلوه من أجلي، فقد أصبحت سباحا متميزا حتى هذا اليوم بسبب التدريب الذي كنت أتلقاه من هؤلاء المدربين.

دعني أسألك سؤالا : هل حضرت اجتماعا طرح فيه المتحدث التحدي الخاص بأن تتمثل أكثر بالمسيح، وبأن تستسلم أكثر للروح القدس وأن تستسلم أكثر لإرادة الله؟ هل أخبرت الرب أنك تريد أن تتمثل به مهما كلفك الأمر؟

والآن اسمح لي عزيزي القارئ أن أطرح عليك سؤالا آخر : لماذا تتذمر عندما يمتحنك الله أو عندما يؤدبك؟ فعندما يرتب الله

المواقف والظروف ليفضح ضعفك حتى تراه وتنمو، فهو بهذا يجيبك على صلاتك! ويجب عليك أن تكون ممتننا له.

عادة ما يختبرنا الله من خلال الآخرين فيقول الكتاب المقدس : " الحديد بالحديد يحدد والإنسان يحدد وجه صاحبه؟" (أم ٢٧ : ١٧) عندما نختبر هذا " التحديد" من قبل أخ أو أخت لنا في الرب فهذا هو الرب الذي يعمل فيهم.

ولكن الله قادر أيضا على أن يعمل في حياتنا مباشرة، وأسوق هنا مثالاً من حياة داود، فعندما أصبح داود ملكا وحد أسباط إسرائيل الإثنى عشر لأول مرة منذ عدة أجيال، وهزم كل أعداء إسرائيل، والآن يسعي داود ليعيد العبادة إلي هيكل الرب.

"فأركبوا التابوت على عجلة جديدة... وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات.. ولما انتهوا إلي بيدر ناحون مد غزة يده إلي تابوت الله وأمسكه لأن الثيران انشمصت. فحمي غضب الرب على عزة وضربه الله هناك لأجل غفله فمات هناك لدى تابوت الله. فاغتاظ داود لأن الرب اقتحم عزة اقتحاما". (٢صم٦ : ٣ - ٨).

لقد استرعى انتباهي موت عزة المفاجئ لأنه حالة من حالات إطلاق النار من قبل الأصدقاء " لقد أظهر داود في مواضع أخري أنه استوعب أهمية عمل من أعمال الله بالأسلوب الذي يحدده الله، وذلك بالانتظار أمام الرب لتلقي تعليماته. ولكن في هذه الحالة يبدو أن داود نسي هذا الدرس، فقد كان لدي داود برنامجاً لأنه كان يعلم ما الذي يريد أن يفعله وكيف يفعله ومتي يفعله.

تقول الآيات أن داود أركب التابوت على عجلة جديدة، لكنه اكتشف أن العجلة الجديدة ليست هي كل ما يدخل السرور إلي

قلب الله. فلا يسر الله بأهدافنا وخططنا وبرامجنا، لكن الله يريدنا أن نعمل عمله بالأسلوب الذي يحدده لنا.

فلا تعني صداقتنا لله أن نتعدى عليه وأن نفعل ما نريد ونتوقع منه أن "يباركنا بغض النظر عن أي شئ آخر" فكم اتخذنا خطوات وصلينا إلي الله أن يبارك ما نفعله؟ ولكن المفروض أن يحدث العكس أي أن تبارك أفعالنا الله، فعلينا أن نقوم بما قرر الله أن يباركه. كان داود يحاول أن يفعل الصواب لكنه فعله بالأسلوب الخاطئ، وقد أدبه الرب بشدة على هذا بأن ضرب عزه بنار الصليب.

الله عنده خطة لكل واحد منا، فإن لم نميز الاختبارات التي يجيزنا الله فيها ونجتازها لن نحصل على هذه الخطة، وأعتقد أن الغالبية العظمي من المسيحيين لا يعرفون خطة الله لهم، فلا يأخذون اختبارات الله في حياتهم مأخذ الجد، فيستسلمون عندما تشتد الأمور عليهم، فهم لا يريدون تحمل الضغوط لهذا يستسلمون إنهم لا يتراجعون لكنهم ينتظرون اللحظة المناسبة في نظرهم. ماذا عنك؟ هل تنتمي إلي جماعة المستسلمين أم أنك كرست حياتك لترث كل ما يريدك الله أن ترثه مهما كلفك الأمر؟

ويروقني أن أذكر أنه في المرة التالية التي نقل فيها داود تابوت الله لم يأت بعجلة جديدة فقد تعلم داود درسا هاما.

تشتمل كل تجربة تأتي من الله على ثلاثة أجزاء :

١ - الظروف العصيبة التي تجعلها تجربة .

٢ - رد الفعل الذي يرغبه الله منا نحو هذا التحدي الذي يواجهنا .

٣ - النمو الذي ينتج عن هذه التجربة في حياتنا عندما نتجاوب مع هذه التجربة بالطريقة الصحيحة.

لقد تعلم داود الكثير من التجارب التي أجازه فيها الرب، ويوضح لنا مثال داود الأهمية العظمي للتجاوب مع اختبارات الله وتأديبه، وعادة ما يشتمل التجاوب السليم مع اختيارات الله على هذين العنصرين.

أولا : يجب أن يسمح اتجاه قلبنا لتأديب الله بالتأصل فينا، وهذا معناه أن نحافظ على أنفسنا متضعين وراغبين في التعلم حتى نستطيع قبول ما يعلمنا إياه الله ونطبقه.

ثانيا : يجب أن نثق في طبيعة الله، فعلينا أن نحبا متوقعين أن الرب سيتدخل من وقت إلي آخر في ظروفنا ليمتحننا، وستظهر هذه الثقة نفسها في الاتجاه الذي سنقبل به ظروف حياتنا الصعبة.

وأسوق هنا مثالا آخر عن تعاملات الله مع أحد أبنائه وهو يوسف

من سيئ إلى أسوأ

كان يوسف أصغر إخوته الإثنى عشر، ولم تساهم حقيقة أنه الطفل المميز لدى أبيه في أن يحظي يوسف بحب إخوته الكبار : "فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام " (تك ٣٧ : ٤) ياله من موقف عصيب، وازداد الأمر سوءا بمرور الوقت.

وعندما كان يوسف شابا في السابعة عشر من عمره كان يحلم أحلاماً غريبة، وكان أحد هذه الأحلام أنه وإخوته كانوا يحزمون حزما في الحقل وقال داود لإخوته : "وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي".

وفهم إخوته معني أحلامه بسرعة، فقالوا له :" ألعلك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينا تسلطا؟" ويذكر الكتاب المقدس أن إخوة يوسف "ازدادوا أيضا بغضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه " (تك ٣٧ : ٧ – ٨) .

ولكن الأمر ازداد سوءا فقد حلم يوسف حلماً آخر وقصّه على إخوته، فقال لهم " أني قد حلمت حلما أيضا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي " (تك ٣٧ :٩) حتى أبوه لم يسر بهذا الحلم لأنه يشير أنه سيتذلل لابنه في يوم من الأيام، ربما كان على يوسف أن يكتم هذه الأحلام!

وكانت هذه هي القشة الأخيرة بالنسبة لإخوته فقد قرروا أن يقتلوه إلا رأوبين الأخ رقيق القلب الذي قرر أن يحاول أن يخدع إخوته. فقال رأوبين "لا نقتله مباشرة بل لنوثقه ونلقي به في هذه البئر وسيموت من الجوع أو الحيوانات المفترسة حتى يبدو الأمر وكأنه حادثة وليس مقصودا" (أنظر تك ٣٧ : ١٩ - ٢٤).

وكانت خطة رأوبين أن يعود إلي يوسف مرة أخري ويطلقه حتى يستطيع الهرب ولكن الأمر لم يفلح فبعدما ألقاه إخوته في البئر، رأوا جماعة من الإسماعيليين مقتربة منهم، وطرأت فكرة على عقل يهوذا الأخ الأكبر.

فقال : "لماذا نتركه ليموت؟، لنبيعه إلي هؤلاء التجار حتى نربح بعض المال ولا يكون دمه علينا " ياله من أخ ذي قلب كبير يهوذا هذا. وكان هذا ما فعله الإخوة بيوسف وعندما رجع رأوبين ليعين أخيه يوسف وجده قد بيع عبدا (أنظر تك ٣٧ : ٢٥ - ٣٠) .

ربما لم يكن يوسف سعيدا بما يحدث في حياته على أنه خطة الله، ولا يوجد ما هو أسوأ من هذا ليحدث في حياة شاب لم يتجاوز عمره السابعة عشر، وقد حدث كل هذا ليوسف بسبب تصرفات إخوته! هل يمكنك أن تتقبل نفسك في هذه الظروف الصعبة؟

لقد كان يوسف متماسكا في خضم أحداث خطة الله في حياته، وأخيرا أصبح يوسف حاكما عظيما في أرض مصر بعد سلسلة من الظروف

الصعبة والمشكلات العويصة التي واجهها، واستخدم يوسف سلطته في إنقاذ الشعب اليهودي بأسره من الجوع ولم ينقذ أباه وإخوته فقط، وفي النهايه انحنى أبوه وإخوته أمامه كما حلم يوسف.

ولاحظ أن هؤلاء الذين كانوا يعترضون على أحلامه وكانوا يبذلون قصارى جهدهم ليمنعوا تحقيق هذه الأحلام، أصبحوا القنوات التي تحقق من خلالها الحلم. وأتساءل عن عدد المرات التي فقدت فيها أنا وأنت هدف الله من الظروف التي تحدث في حياتنا لأننا تضايقنا من هؤلاء الذين يعارضوننا ولم ندرك أن مثل هؤلاء الأشخاص يستخدمهم الله من أجل خطته في حياتنا! يمكن أن تكون العوائق البشرية فرصاً لله ليعدنا لما يريدنا أن نفعله في حياتنا.

فمنذ عدة سنوات وقف أبو يوسف وإخوته أمامه وأدركوا أنه أخوهم الذي أساءوا إليه، وعندما رأي يوسف شعورهم بالذنب على ما ارتكبوه في حقه قال يوسف عبارة لخصت الأمر كله فقد قال : " أنتم قصدتم لي شراً. أما الله فقصد به خيرا" (تك ٥٠ : ٢٠)، لقد استطاع يوسف أن يرى يد الله في كل ما حدث له.

من المهم أن ترى أنه يمكن الوثوق في يد الله التي تعمل في وسط الصعاب التي مازلت تواجهها قبل أن تري النتيجة، وأعتقد أن الله يبني في حياتنا الأساسات لخطته التي اختارنا لننفذها، وقبل أن نناقش موضوع الخطة علينا أن نجتاز اختبارات الله التي وضعها لينقينا ويستخدمها في نضجنا.

السارق سارق

لقد تعلمت الكثير عن التجاوب مع تجارب الله بسبب شئ حدث لي منذ عدة سنوات، لقد كانت القصة بسيطة ولكن الدرس الذي تعلمته منها كان درسا هاما ومفيدا.

في ذلك الوقت كنا نعيش في قاربين قد أعدا للسكني يرسوان على ميناء أمستردام، وكنا حوالي ٦٠ شخصاً من بينهم عائلتنا، و ٨ أو ٩ من هيئة العاملين في "شباب له رسالة" ومجموعة كبيرة من الشباب المسيحي الاسم، والذي لا يعرف شيئا عن المسيح مثل الهيبز والمدمنين والعاهرات ومجموعة من المؤمنين الجدد.

وكان هناك مطبخ وحجرة للطعام على القارب، وفي المطبخ كانت هناك ثلاجتان واحدة منهما يمكن أن يفتحها أي شخص في أي وقت، والأخرى كنا نحفظ فيها الأطعمة الخاصة بالمقيمين على هذين القاربين، فلم يكن مسموحا سوى للطباخين بفتح هذه الثلاجة بدون استئذان.

وفي إحدى الليالي لم أستطع النوم وشعرت بالجوع فذهبت إلي المطبخ وكان الوقت متأخرا والجميع نياما، فتوجهت إلي الثلاجة الأولي ووجدتها خالية، فنظرت إلي الثلاجة الثانية بعدما فتحتها فوجدت كوبا كبيرا من اللبن المثلج.

كنت أحب اللبن المثلج وفي هذه اللحظة كنت أحتاج إلي هذا الكوب أكثر من أي شئ أخر، ولكن كانت هناك مشكلة ألا وهي أنه ممنوع أن يأخذ أي شخص أي شئ من الثلاجة بدون استئذان.

ومن ناحية أخري اعتقدت أن هذه لم تكن بالمشكلة الكبيرة ، فقلت لنفسي أني قائد المجموعة على أية حال، ويمكنني أن أعطى نفسي إذنا بشرب اللبن! هكذا قلت لنفسي، ثم شربت اللبن وغسلت الكوب وعدت إلى سريري، وكأن شيئا لم يحدث.

وفي الصباح التالي صلينا معا كما نفعل كل صباح، وفي البداية قلت : " لنحني رؤوسنا وننتظر أمام الرب لنري إذا ما كان هناك شيئ في قلوبنا يعوق علاقتنا بالرب"، وفي اللحظة التي

أحنيت فيها رأسي رأيت كوب اللبن أمام عيني وسمعت صوتا داخلي يقول "لقد سرقت الكوب. اطلب الغفران".

ثم حدثت مناقشة طويلة وصامتة بيني وبين الله، فقد كانت لدى أسباب كثيرة لأجادل بها الله حتى لا أعترف بخطيتي. لقد كان هذا أمراً سخيفا وبسيطا ويدا كما لو كان بسيطا جدا وليس من المفيد أن يراني هؤلاء المؤمنون حديثا أوليه كل هذا الاهتمام وإلا سيفقدون احترامهم لى، وهكذا..

لم يرض الله بكل هذه الأسباب التي ذكرتها، لكنه استمر يقول لي " لقد سرقت الكوب. اطلب الغفران. لا تبرر الأمر لنفسك ولا تختلق الأعذار لكن اعترف به فحسب ".

وبعد مضي ١٥ دقيقة من هذه المناقشة الداخلية استسلمت في النهاية ولا أستطيع أن أخبرك بمدي صعوبة هذا الأمر على نفسي، فيصعب على الكبرياء البشري أن يتلاشى أمام مثل هذه المواقف.

وأخيرا قلت للجميع : "لدي ما أخبركم به، فقد سرقتكم، ولم أقدم أية تبريرات معقدة ولم أحاول أن أبرر نفسي، لكني وصفت ما حدث واعترفت بأني أخطأت وطلبت من المجموعة الحاضرة أن تغفر لي.

لقد لمسهم هذا الأمر بشدة فقد اعترفت وأنا القائد بأني أخطأت. هل هذه مسألة كبيرة؟ من ناحية لا، ولكن من ناحية أخري كان لاعترافي بسرقة كوب اللبن أثراً كبيراً على هؤلاء الشباب.

وكان لهذا الحدث البسيط تأثيره عليّ أنا أيضا، فقد أدركت أن السارق سارق سواء سرق ٥٠٠ دولار أو ٥ مليمات، فالمشكلة ليست في مقدار ما سرقه ولكن في السرقة نفسها، وأدركت مدى أهمية أن أكون منفتحا على صوت الله بتصحيح أخطائي وأن أتجاوب معه بسرعة عندما أسمعه.

اختبارات فرعية تسبق الاختبار النهائي

لاحظت أن هناك اختبارات متشابهة يجيز فيها الله الناس وذلك نتيجة لدراستي للكتاب المقدس وملاحظتي لما يفعله الله في حياة الناس، فجدول الأعمال الذي يضعه الله لكل واحد فينا لا يختلف في مضمونه من شخص إلي آخر، ففي النهاية يريدنا الله أن نتمثل به، وعلى الرغم من أن كل واحد فينا شخص مميزٌ إلا أننا جميعا نتشابه في الضعف البشري، ويريد الله أن يضع في داخلنا صفات معينة ويميل إلي استخدام نوعية معينة من الاختبارات ليرسخ فينا هذه الصفات.

اختبار الرفض : - هل لاحظت من قبل أن خدام الله عادة ما يكونوا مرفوضين من الناس الذين يخدمونهم؟ لقد رفض يوسف من أخوته، ورفض شعب إسرائيل كل الأنبياء حتى يسوع؟ "إلي خاصته جاء وخاصته لم تقبله " (يوحنا ١ : ١١) .

ويبدو أن القدرة على تحمل الرفض مطلبا لا غني عنه لخدمة الله، فلا يكفي أن يتحمل الشخص الرفض ولكن عليه أن يتغلب عليه ويختار أن يحب هؤلاء الذين يرفضونه وعندما نجتاز اختبار هؤلاء الذين يرفضوننا تنمو ثقتنا في الله وفي تصميمنا على أن نكون له إلي النهاية، فتعتمد نسبة ٩٠٪ من الصمود في هذا الاختبار على مسألة التحمل إلى أقصى حد.

اختبار العزلة : من أو ما الشيء الذي تحتاجه حتى تتغلب على المشكلات التي تصادفك أثناء اليوم؟ أهي الأشياء التي اعتدت أن تراها كل يوم؟ أم الأصدقاء؟ أم الاستماع إلي موسيقاك المفضلة؟ أم يكفيك أن يكون الله معك والله فقط؟ لقد سمعت أن واحداً من المسئولين عن إحدى الكنائس المرموقة لا يستطيع أن يسافر في أجازة نهاية الأسبوع أو أن يذهب إلي أي مؤتمر إلا إذا تأكد من أنه سيحصل على نسخته من صحيفة (نيويورك تايمز) في هذا المكان.

فإذا كان لا يمكننا الوثوق في الله عندما نكون مسجونين في زنزانة منعزلين تماما عن الناس وبعيدا عن ممتلكاتنا فهذا معناه أننا لا نعتمد على الله لكننا نعتمد على أشياء أخري، لهذا السبب يوفر الله لنا ظروفا نشعر فيها بالعزلة والوحدة ليبعدنا عن تلك الأشياء التي تشعرنا بالأمان الزائف.

<u>**اختبار فقدان الصيت الحسن**</u> :- هناك حقيقة تقول إنه إذا كنا نولي اهتماما كبيرا لسمعتنا الحسنة واحترامنا في عيون العالم، فهذا معناه أن الله لا يمكنه أن يثق فينا، ونحن لن نثق فيه بالكامل وسنميل إلي أن نضع مجدنا قبل مجد الله لهذا يجيزنا الله في اختبارات نتحول فيها إلي "جهال" من أجل المسيح "، حتى نتعلم أن نولي اهتمامنا الأول إلي فكر الله عنا بدلا من أن نوليه إلي فكر الآخرين عنا.

<u>**اختبار فقدان الحقوق**</u> : وهذا هو الاختبار الذي يبدو أن الله يجيزنا فيه بأسلوب خاص، فنعرف كل شئ، وفقا لمسألة الحقوق هذه، فندعي حقنا في الخصوصية وفي حق تقرير مصيرنا، وفي السعادة، فلا نطلب ما نشعر بأننا نحتاجه بنفس القدر الذي نطالب فيه بما يحق لنا، وليعين الله هذا الشخص الذي يحول بيننا وبين الحصول على حقوقنا.

وعلي أية حالة عادة ما يكون الله هو الشخص الذي ينتهك حقوقنا فهو يريد أن يوجهنا نحو الحقيقة الأساسية وهي أن ملكوت الله ليس دستوراً ديمقراطيا لكنه نظام ملكي صرف، فالله هو الملك، وكل هذه الأشياء التي ندعي أنها من حقنا مثل الوقت والمال والخصوصية ليست ملكنا على الإطلاق لكنها ملك الله ومن حقه أن يفعل ما يراه مناسبا بهذه الأشياء.

فيعتبر ذهابنا إلي الله لمطالبته بما ندعي أنه حقنا أمرا يدل على عدم حكمتنا فيجب عليك ألا تطالب بما تستحق لأن الله

سيعطيك إياه فعلينا أن نتضع أمام الله ولا "نطالب بحقوقنا" ولكن ننحني أمامه لنقبل بكل الشكر عطية الحياة الأبدية التي يقدمها لنا وعطية الصداقة الحميمة التي يمنحنا إياها بلا مقابل.

حتى يسوع "لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله. لكنه أخلي نفسه آخذاً صورة عبد صائرا في شبه الناس " (في ٢ :٦ -٧) على نفس هذا المنوال يريد الله أن يجعلنا راغبين في التخلي عن " حقوقنا " لنخدمه.

وهناك اختبارات أخرى كثيرة مثل الطاعة والاتضاع وسماع صوت الله وطاعته وتفضيل الآخرين على أنفسنا، ولكن هذه الاختبارات التي ذكرتها بالتفصيل هي الاختبارات التي لاحظت أن الله يجيز فيها الجميع بأساليب مختلفة.

من الذي أطفأ النور

يجب أن ندرس نوعاً آخراً مألوفاً من الاختبارات وهو ذلك الاختبار الذي يمر به كل مؤمن إن آجلا أم عاجلا (أو آجلا وعاجلا) وأعني بهذا الاختبار الذي نجتازه عندما ندخل مع الله في علاقة صداقة ثم نشعر فجأة أننا نسير بمفردنا كما لو أن الله قد تركنا في مكان ما.

أطلق على هذا الشعور المفاجئ بالوحدة عدة أسماء، كتب وينكي برتني مقالاً رائعاً عن هذا الموضوع تحت عنوان " السير في الظلمة : ثق عندما لا يمكنك أن تري" وكتب القديس يوحنا كتابا بأكمله عن هذا الموضوع تحت عنوان " ليلة النفس المظلمة "، ويطلق عليها أيه. بي. توزر اسم " خدمة الليل " ووعظ سبيرجون عنها تحت عنوان " ابن النور يسير في الظلمة " .

يتحدث الكتاب المقدس عن الظلمة بمعاني مختلفة فهناك الظلمة السوداء للخطية عندما يختار البشر أن يخبئوا أعمالهم الشريرة بدلا من أن

يفضحوها في نور الله (أنظر يو ٣ : ١٩) وهناك ظلمة الاغتراب عن الله الذي هو نور العالم (انظر يو ١ : ٥) فأحيانا يشار إلي الشياطين " كقوات الظلمة " (أنظر لو ٢٢ : ٥٣، أع ٢٦ : ١٨، أف ٦ : ١٢).

وهناك الظلمة التي نحن بصدد الحديث عنها الآن ألا وهي فقدان للثقة لا يمكن وصفه أو التعبير عنه إذ أنها عدم القدرة على إدراك حضور الله بغض النظر عما فعلنا أو ما لم نفعل إذ أننا نشعر فجأة بأننا قد انزلقنا إلي هوة عميقة لا يمكن أن يدخلنا أي ضوء منها، ويبدو أن هذا النوع من الظلمة يسقط على كل رجل وامرأة مسيحية من وقت إلي آخر بغض النظر عن قداستهم.

ربما تكون قد اختبرت هذه الظلمة بنفسك، فقد تكون قد استيقظت من نومك في الصباح وقد تلاشت كل أحاسيسك الروحية، فتصلي ولا يحدث شئ، وتوبخ الشيطان ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئا، وتمارس كل ما تعلمته وتطلب من أصدقائك أن يصلوا من أجلك وتعترف بكل خطية تتخيلها ثم تذهب لطلب المغفرة من كل من تعرفهم وتصوم محاولا أن تسترجع علاقتك بالله ولكن لا يحدث شئ.

فتسأل إلي متي ستظل هذه الظلمة الروحية. ألأيام؟ أو أسابيع؟ أو شهور؟ هل ستنتهي في يوم ما؟ وفي الوقت المناسب تشعر بأنك تنفذ كل الاقتراحات فتذهب إلي الكنيسة، وتدون ملاحظاتك في أثناء العظة، وتذهب إلي مدارس الأحد وتحاول أن تشترك في المناقشة، وتسمع شرائط العظات، وتقرأ كتبا روحية وتعتقد أنه يمكنك أن تستحوذ على انتباه الله عندما تتظاهر بالاتضاع ولكن عندما تركع وتصلي " تشعر كأن صلاتك لا تصل إلي الله ".

فتصرخ في يأس تام وتقول : " ما مشكلتي؟ " وتكون الإجابة : " لا شئ " إذا أن ما تمر به مر به كل رجال ونساء الله في مرحلة

معينة من حياتهم، لقد مر كل أبطال الكتاب المقدس بهذا. فاختبره إبراهيم حين كان ينتظر أمام الله ليقبل ذبيحته (تك ١٥ :١٢)، واختبره موسى على قمة الجبل عندما انتظر الله ليحصل على الوصايا في " وسط الظلام" (تث ٥ :٢٣)، واختبره أيوب عندما كان الله يختبره (أي ٣٠ : ٢٦)، وأختبره داود في عدة مناسبات عندما بدا وكأنه لا يوجد لديه شئ ليستند عليه.

ماذا نفعل عندما نجد أنفسنا نمر بمثل هذا الاختبار؟ أولا : من المهم إدراك ما يجب علينا ألا نفعله. لقد رسم إشعياء صورة حية لهذا الأمر فقال : " من منكم خائف الرب / سامع لصوت عبده / من الذي يسلك في الظلمات ولا نور له / فليتكل على اسم الرب، ويستند إلى إلهه / يا هؤلاء جميعا القادحين نارا، المتنطقين بشرار / اسلكوا بنور ناركم / وبالشرار الذي أوقد تموه / من يدي صار لكم هذا / في الوجع تضطجعون " (أش ٥٠ : ١٠ -١١) .

تتحدث هذه الآيات عن الذين يسيرون مع الله . والذين يخافون الرب ويطيعونه لكنهم على الرغم من ذلك يسيرون في الظلمة بدلا من النور، فما الذي يجب أن يفعلوه؟ أن يضيئوا نورهم - وأن يتولوا الأمر بأنفسهم، ولكن ما جدوى هذا؟ وجع عظيم، يحذرنا إشعياء من أن نضئ نورنا، ولكن يجب علينا أن ننتظر حتى يعيد الله النور إلينا.

يبدو أن كثيراً من المسيحيين يسيرون مع الرب بسبب تلك المشاعر الجملية التي يشعرون بها، لهذا عندما تأتى عليهم الظلمة يحاولون أن يزيد من هذه المشاعر الخداعة التي يشعرون بها فيحضرون المؤتمرات الروحية، ويستمعون إلي العظات الروحية ويصلون ويقرأون أكثر فى الكتاب المقدس.

ولكن كل هذا لا يفيد. يقدم لنا القديس يوحنا هذه النصائح .

علي هؤلاء الذين يمرون بهذا النوع من الظلمة ألا يعطوا لأنفهسم فرصة للتحليل والتفكير فيما يحدث لهم، لأن هذا ليس بالوقت المناسب للقيام بمثل هذه الأمور، ولكن عليهم أن يسمحوا لأنفسهم بأن تظل في سلام وهدوء، على الرغم مما قد يبدو لهم من أنهم لا يفعلون شيئا، وبالتالي يضيعون وقتهم، فعلي الرغم مما قد يبدو لهم أن هذا بسبب ضعفهم إذ ليست لديهم الرغبة في التفكير في أي شئ ألا أن الحقيقة عكس هذا تماماً لأن كل ما عليهم أن يفعلوه هو أن يصبروا ويداوموا على الصلاة دون بذل أية مجهودات.

لقد رأيت مؤمنين يمرون بفترة " ظلمة النفس الحالكة " هذه وقال لي بعضهم : " إن لم يتحدث لي الله فيجب على أن أمضي في طريقي وأتخذ قرارا فلم يعد أمامي إلا أن أمضي قدما وأبذل قصارى جهدي على أن أسمح لله أن يستوقفني إذا ارتكبت أية أخطاء".

ما الذي يقصده مثل هؤلاء؟ " إذا لم تقدني يا الله فسأقود نفسي وإن لم تتحدث إليَّ فسأتحدث أنا إلي نفسي، وإن لم تشعلني بنارك، سأبذل جهدي لأملأ نفسي بمشاعر الحرارة الروحية ".

وتزيد مثل هذه المجهودات الضائعة من الظلمة التي يمر بها الإنسان، فكما يقول برتني : " لا ترتكب ذلك الخطأ الجسيم بأن تحاول أن تبذل جهدك لتملأ نفسك بالمشاعر الروحية، فإذا وضعك الله في الظلمة، دع هذه الظلمة تؤدي الدور الذي أرسلت من أجله في نفسك. لقد أجازك الله في هذا الاختبار لهذا يمكنك أن تثق في أنه سيخرجك منه".

ما هو الهدف من وراء مثل هذا النوع من الظلمة؟ ليجعل منا رجالاً ونساء لله وتلاميذ لا يعتمدون على الظروف أو المشاعر أو الوصفات الروحية أو أي شئ آخر لا. بل ينتظرون الرب مهما كلفهم الأمر.

لسوء الحظ لا يقدِّر معظمنا النور الذي نحصل عليه عندما يقودنا الله ويتحدث معنا ويطعمنا من كلمته ويعلن لنا حضوره.

فيحتاج كل واحد منا أن يمر بمثل هذه الفترات المظلمة حتى يميز ما هو من الله، وما ليس منه، وليزداد شكره وامتنانه على هذا النور الواضح الذي تمنحه السماء لمن يطلبون صداقة الله.

هذا وقت ثمين لا تضيعه

أذكرلك هنا بعض الأشياء التي يجب علينا أن نفعلها عندما نمر بمثل هذه الأوقات المظلمة.

أولا : يجب علينا أن نستمر في فعل آخر شئ أظهر لنا الله أن نفعله، فمازالت أوامر الله القديمة هي أوامره لنا.

ثانيا : علينا أن نتذكر أن نساء ورجال الله الآخرين قد مروا بما نمر به لم ينجوا فقط بل ازدادت قوتهم بسبب مثل هذه الأوقات.

وأخيرا : علينا أن نتذكر أن الله هو الإله الذي يسكن في وسط الظلمة (تث ٥ :٢٣) . **فالله معنا في وسط الظلمة وفي وسط التجربة .**

تذكر: إن هذه الظلمة مثلها مثل تجارب الله الأخرى وتأديبه فهي لخيرنا، ولن تنقشع هذه الظلمة إلا إذا أتمت الغرض الذي أرسلت من أجله، يحكي لنا الكتاب المقدس عن يعقوب الذي : " بقي وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر" (تك ٣٢ : ٢٤) فهذا ما يجب علينا نحن أيضا أن نفعله : أن نتمسك بالله حتى يقودنا في وسط الظلمة .

أتذكر أنه كان هناك شاب عرف المسيح بسبب خدمتنا في أفغانستان منذ عدة سنوات، وعندما أتي إلينا أخبرنا أنه أخذ عهدا على نفسه أن يسعى إلي معرفة الحق بغض النظر عما ستقوده إليه رغبته هذه، فوصل إلي المرحلة التي عرف فيها أن المسيحية هي الحق، ولكن عندما نظر إلي نفسه أدرك أنه لا يريد أن يسلم حياته لله، وامتلأ بالإحباط والحزن من نفسه لدرجة أنه فكر في الانتحار.

ثم قرر هذا الشاب أن يثق في الله ببساطة على الرغم مما يشعر به، فقال : " هذا هو الحق، وسأختار أن أؤمن به سواء كنت أشعر بهذا أم لا، وسأتبع الله سواء شعرت بحضوره أو لم أشعر " مضت عدة شهور دون أن يشعر بحضور الله.

وكانت قصته هذه قصة غريبة فهي قصة مؤمن جديد ولد في وسط التجربة والظلمة وأعتقد أني لم أر مثل هذا مرة أخري، ولكن الله أمين، ففي الوقت المناسب أعلن الله نفسه لهذا الشاب فقد كان قرار هذا الشاب بالتمسك بما توصل إليه بمثابة الأساس الذي استطاع أن يؤسس فوقه حياته المسيحية.

أعتقد أن الله لديه خمسة أهداف أساسية عندما يختبرنا

١ - ليقوي شخصيتنا

٢ - لينمينا في صداقته

٣ - ليصالحنا مع الآخرين الذين تضايقنا منهم

٤ - ليحررنا من أية خطية تقيدنا

٥ - ليعلمنا طرقه.

علينا أن نزيل من أذهاننا فكرة أن تجارب الله واختباراته لنا عقاب، فعندما يؤدبنا الله ويختبرنا هذا ليس معناه أنه ضدنا، فلا يختبرنا الله ليؤذينا ولكن ليساعدنا، ولا يمتحنا ليدمرنا ولكن ليبنينا، ولا يختبرنا ليجرحنا ولكن ليضمدنا، فتمتلئ تجارب الله بنيران الحب وبفرصة أكبر لتوطيد أواصر صداقتنا معه.

الفصل الحادى عشر

الصديق الذى يسمع

عندما ولدت سالى كانت والدتها تبلغ ٤٧ عاما، وكان لديها أربعة أطفال من زوجها السابق وعندما مات زوجها الأول تزوجت من آخر كان عنده أربعة أطفال وسيعتقد بعض الناس أنه كان عليها الاكتفاء بتربية عائلتها، ولكنها كانت تريد طفلا ليكون مرسلاً وكان من الواضح أن جميع أطفالها الثمانية لم تكن لديهم الرغبة فى هذا، فصلت إلى الرب ليرسل لها طفلا آخر.

وبعد مرور يومين من ميلاد سالى هذه الطفلة الأخيرة اصطحبتها أمها إلى الكنيسة الصغيرة التى كانت تذهب إليها فى جلفستون بتكساس ووضعتها على المذبح وسلمتها لله وأخذت على نفسها عهدا أن تصلى من أجل هذه الطفلة كل يوم حتى ترى الله يدعوها إلى حقل الإرسالية، فقد كانت متأكدة جدا أن الله أعطاها سالى من أجل أن تكون مرسلة.

وفى إحدى الليالى عندما كانت سالى فى الخامسة من عمرها استيقظت فى منتصف الليل تبكى وكل ما كانت تفكر فيه هو ذهاب عائلة من كنيستهم للعمل كمرسلين فى أفريقيا، وكلما فكرت فى هذه العائلة كلما ازداد بكاؤها، فأيقظت سالى أمها وأخبرتها بما يحدث، فطلبت منها أمها التى أدركت أن الروح القدس يعمل فى هذه الفتاة الصغيرة أن تذهب إلى حجرتها وتصلى من أجل هذه

العائلة. ثم تذكرت سالى فيما بعد أنها استسلمت للنوم بعدما فكرت أنها : "ستكون مثل أفراد هذه العائلة فى يوما ما ".

وعندما كانت سالى فى السادسة عشر من عمرها أتيحت لها فرصة الذهاب إلى رحلة إلى جزيرة ساموا لأنه كانت هناك عوائق كثيرة لذهابها، فمن ناحية لم يرغب المشرفون على هذه الرحلة فى اصطحاب أشخاص أقل من ١٨ عاما، ومن ناحية أخرى لم يحبذ أبوها الذى لم يكن مسيحيا أن تذهب سالى فى هذه المرحلة وأخيرا كانت تكلفة هذه الرحلة كبيرة جداً ولم يكن فى متناول هذه المراهقة الصغيرة كل هذا المال.

وقبل أسبوعين من الموعد المقرر للرحلة أخبرها أبوها أنه غير رأيه، فاندهشت سالى جدا لأنها ظلت ترجوه لوقت طويل جدا أن يسمح لها بالذهاب لكنه كان مصمما على رفضه والآن قال لها فجأة أنه يمكنها الذهاب.

لماذا هذا التغير؟ كان أبوها يعتقد أنه لم يكن لدى سالى الأمور الكافية وبالتالى لن تستطيع الذهاب بالرغم من أنها حصلت على موافقته وكذلك ليتجنب أن يبدو وكأنه شخص شريرٌ ولم يكن يعلم أنه على الرغم من أن سالى لم يكن لديها الأموال اللازمة للذهاب فى هذه الرحلة إلا أنها كانت قد ادخرت بعد جهد جهيد الأموال التى تلزمها للذهاب إلى لوس أنجلوس حيث ستعقد ندوات التدريب على هذه الرحلة طوال الأسبوع.

وفى لوس أنجلوس هرعت سالى إلى المشرفين على هذه الرحلة والذين أخبروها بأنه لا يمكنها الذهاب لأنها أقل من السن الأدنى الذى حددوه ولأنها لا تمتلك الأموال اللازمة لتسدد بها احتياجاتها من الطعام والمأوى والمواصلات.

وكـان هناك شـاب فى المجموعة الدراسية التى التحقت بهـا سالي، هذا الشاب كان يشعر برغبة قوية فى أن يصبح مرسلاً عندمـا كان طفلا، وظل هذا الشاب يعمل لعدة شـهور ويدخر الأموال حتى يستطيع الذهـاب إلى ساماوا، وتعـرف هـذا الشـاب على سـالى فـى فترة التدريب التى استغرقت أسبوعا، وأخبرتـه سـالى باقتناعهـا أن الرب يريدها أن تذهـب إلـى هـذه الرحلـة التبشيرية وثقتهـا فـى أن الرب سيفعل هذا بطريقة ما.

وفى إحدى الليالى عندما كـان هذا الشاب يصلى شعر بأن الرب يتحدث إليه، وبدا كما لو أن الرب يقول له : " أعطها أموالك، فيجب عليك ألا تذهب حتى تستطيع سالى الذهاب "، وجادل هذا الشاب الله طويلا قبل أن يعطيها أمواله لأن هذا لم يكن ما يرغب فيه.

وبدت مجادلته للرب مقبولة، فقد كان فى أجازة الصف الثانى من الجامعة ليعود مرة أخرى للالتحـاق بـالصف الثـالث وقد لا تتـاح له حرية الذهاب إلى مثل هذه الرحلة مرة أخري، وكـان هذا الشـاب يعمـل بجـد حتـى يسـتطيع توفـير الأمـوال اللازمـة لهـذه الرحلـة التبشيرية، وكان يؤمن أن الله دعاه منذ سنوات طويلة ليكون مرسلا وأن هذه ستكون أول رحلة تبشيرية يقوم بها.

ولكن الله لا يمل ولا يكل أبداً، ففـى الليلـة التـى تسبق رحيـل المجموعـة التـى سـتذهب إلـى هـذه الرحلـة التبشـيرية ذهـب هـذا الشاب إلى المشرفين على الرحلة وأخبرهم بقراره .

ووجـد المشـرفون علـى الرحلـة أنفسـهم يواجهـون مشـكلة، فقـد كـان مـن السـهل عليهـم أن يتمسكوا برأيهـم بشـأن سـن سـالى لأنهـم يعلمـون أنهـا لا تملك الأمـوال اللازمـة لهـذه الرحلـة بـأى حـال مـن

الأحوال، ولكن الآن تم التغلب على هذا العائق ولا زالت سالى مصرة على الذهاب فى هذه الرحلة على الرغم من أنها لا تعرف شيئاً عن قرار الشاب الذى تعرفت عليه فى الندوة التدريبية.

واتصل المشرفون على الرحلة التبشيرية بسالى فى اليوم الذى كان مقررا فيه سفر أعضاء الرحلة التبشيرية وسألوها :" ماذا تفعلين الآن يا سالي؟".

فأجابت : " أحزم حقائبى للذهاب ساماوا".

فقالوا : " لكننا قلنا لك أنه لا يمكنك الذهاب".

فقالت :" أعلم ما أخبرتمونى به ولكن الرب أعطانى إيماناً لأثق به، وأؤمن بأنه يجب علىّ الذهاب إلى المطار والاتجاه إلى باب الطائرة أيضا لو لزم الأمر وأن الله سيوفر لى الطريقة المناسبة للذهاب إلى الرحلة التبشيرية لو فعلت هذا. فإنى أؤمن بأنكم ستغيرون رأيكم وأن الرب سيهتم بأمورى المالية".

واندهش المشرفون على الرحلة من إجابة سالى وتشجعوا بهذه الإجابة، فما الذى يمكن أن يقولوه أمام إيمان مثل هذا؟ قالوا لها : "يا سالى أتى إلينا شخص ما أمس وأعطانا الأموال اللازمة لذهابك إلى الرحلة التبشيرية، فصلينا من أجل هذا الأمر وشعرنا أنها علامة من الله وأنه يجب علينا أن نستثنيك للذهاب إلى هذه الرحلة التبشيرية".

وذهبت سالى إلى هذه الرحلة التبشيرية، وقضت المجموعة التى كانت سالى عضوا فيها فترة الصيف فى قرية لم تذهب إليها أية رحلات تبشيرية من قبل، وعندما وصلوا إلى هذه القرية أخبرهم واحد من القادة الذين يقيمون فيها أنه يمكنهم الذهاب إلى أية

قرية من قرى الجزيرة ماعدا هذه القرية، وشجعهم أن يصلّوا إلى الله ويطلبوا منه أن يرشدهم إلى أية قرية أخري، فصلوا وأجابهم الرب أنه عليهم أن يذهبوا إلى تلك القرية التى قال لهم هذا القائد أنهم لا يستطيعو الدخول إليها لأن الرب سيجعلهم يدخلون.

فذهبوا وفعل الرب ما أخبرهم به ومع نهاية الصيف قَبلَ ١٥٠ شخصاً من سكان هذه القرية البالغ عددهم ٣٠٠ شخص بمَا فيهم عمدة هذه القرية الرب واليوم تعد هذه الكنيسة التى أسسًها هؤلاء الشباب أكبر كنيسة فى الجزيرة كلها.

ولا أحتاج أن أقول أن هذا الأمر برمته كان له تأثير عميق على سالى وكذلك أثر على الشاب الذى أعطاها المال اللازم لذهابها، فقد اقتنع تماماً أن ما سمعه كان هو صوت الرب وذلك بعدما رأى الظروف العجيبة التى أدت إلى تغيير رأى المشرفين على هذه الرحلة التبشيرية. وكافأ الله سالى على طاعتها وكافأ أيضا الشاب، فقد أقنعه هذا الاختبار بأن الرب يتحدث اليوم ويريد من شعبه أن يستمعوا إليه، وفتح هذا له أمورا جديدة فى المجال الروحي.

وقد كنت أنا هو ذلك الشاب الذى منح سالى أمواله لهذا فانى أحكى هذه القصة بكل تفاصيلها الدقيقة بعدما أصبحت سالى زوجتي.

حديث من طرف واحد أم من طرفين

أعتقد أن القدرة على الإصغاء واحدة من أهم الصفات التى أقدرها بشدة فى أصدقائي، وسالى مستمعة جيدة، وهى أفضل أصدقائى وأحب دائماً أن أشاركها بأحلامى وأفكاري، فقد أقمت علاقات مع بعض الناس الذين لا يدعون أية فرصة لأحد أن يتكلم

طوال فترة وجودهم، وبعدما تمضى ساعة أو أكثر من حديثهم المتواصل والذى هو حديث من طرف واحد ينفذ صبرى منهم ولكنى أتخذ من سالى مثالا لشخص يستمع لله وللأشخاص.

هل رأيت أشخاصاً يتصنعون الإصغاء بينما هم لا يصغون؟ فكل ما يفعلونه هو أن ينتظروك حتى تنهى حديثك ليقولوا ما كانوا سيقولونه بغض النظر عما كنت تتحدث فيه، فلا يبذل مثل هؤلاء أى جهد ليستمعوا لك وليفهموا ما يدور فى ذهنك وفى قلبك.

لم أكن أجيد فن الإصغاء ولكن فى السنوات الأخيرة حثنى الرب على ضرورة قضاء وقت فى الإصغاء للناس والتأكد من أنى فهمت وجهة نظرهم، فقد كنت من هؤلاء الذين يعرفون ما يريدون أن يقولوه قبلما يسمحون للمتحدث أن ينهى حديثه، وأعتقد أنى اكتسبت هذه الصفة لأنى خدمت لسنوات طويلة كقائد وبالتالى كانت الناس تلجأ إلىَّ لأحل لها مشاكلها فكنت أقول للناس لندخل فى لب الموضوع لأن لدينا الكثير لنقوم به فلا تضيعوا وقتى فى المقدمات.

وتعلمت درساً أساسياً فى فن الإصغاء من زوجتى فى حوار لنا معاً، فقد كانت سالى تشاركنى ببعض الصراعات التى تمر بها وبعدما انتهت من حديثها وأخبرتها بأنه يجب عليها أن تقوم بثلاثة أشياء لتصحح أمورها، فنظرت إلىَ سالى وقالت : " أعلم ما يجب على أن أفعله لكنى لم أخبرك بكل هذا لتقول لى هذه الإجابة ذات الثلاث خطوات، لكنى شاركتك بكل هذا لأنى أحتاج إلى أن أفهم لماذا يحدث هذا وأحتاج أيضا إلى تعزية، فإذا لم يكن بإمكانى أن أتحدث معك فمن الذى سأتحدث معه؟"

وظلت كلمات سالى تتردد فى ذهنى لعدة أيام :" إذا لم يكن بإمكانى أن أتحدث معك فمن الذى سأتحدث معه؟" وقررت من ذلك اليوم أن أكون الزوج الذى تستطيع سالى أن تتحدث معه وأن أكون الصديق الذى تستطيع الناس أن تتحدث معه أيضا.

وفهمت فى وسط هذا الدرس أنه إذا كان لدينا نحن البشر احتياج قوى إلى أن يستمع لنا الآخرون ويفهموننا فكم بالحرى يجب أن نطبق هذا الدرس على علاقتنا بالله؟

فإذا كنا ننوى أن نكون أصدقاء لله فسيكون الإصغاء جزءا أساسيا من علاقتنا معه. وكان أبى مؤمنا بشدة بضرورة قضاء وقت فى التحدث مع الله والإصغاء له، ففى بعض الأحيان كنت أمر فى الردهة القريبة من باب حجرة نومه وأسمعه يذكر لله أسماء الرجال والنساء الذين يخدمهم فى الكنيسة ويسأل الرب أن يريه ما الذى يجب عليه أن يفعله لأجل هؤلاء الرجال والناس بصفته راعياً لهم.

وفى أحيان أخرى كان أبى يذهب إلى الكنيسة مساء يوم الجمعة ويقضى فترة نهاية الأسبوع هناك فى الصلاة، فيعظ عظته يوم الأحد من نتاج هذا الوقت الذى قضاه مع الله. وأتذكر أننا كنا نخرج معا كعائلة وعندما تهدأ الأمور كنت أسمع أبى يناجى الله بصوت خفيض جدا.

فلم تكن الصلاة بالنسبة لأبى مجرد مسألة قضاء وقت محدد مسبقا فى ترديد مجموعة من الكلمات المكررة لكنها كانت أمرا هاما وحيويا، فيمكنك أن تصلى فى أى مكان وفى أى وقت وفى أى وضع ليس عليك أن تركع، والصلاة ليست مجرد أن تكلم الله ولكن عليك أن تستمع له أيضا. فعليك أن تفترض أن الله يريد أن يتحدث إليك لذلك عليك أن تخصص وقتا من الصلاة فى الاستماع له.

لا أستطيع أن أتذكر وقتا لم يكن فيه الحوار مع الله جزءا لا يتجزأ من حياتى فقد كنت أعلم أنه يمكننى أن أتحدث إلى الله عن أية مشكلة أو احتياج أواجهه لأنى كنت أرى أبواى يفعلان هذا.

وعندما كنت طالبا فى المدرسة الثانوية، لم يكن مسموحا لى أن أشترك فى العديد من الأندية أو النشاطات الاجتماعية الأخرى (فقد كانت كنيستنا كنيسة محافظة للغاية ومثل هذه الأمور ممنوعة)، وكنت أشعر كما لو أننى أسترق النظر لما يحدث فى داخل هذه الأندية، ولا زلت أتذكر أننى كنت أسكب مشاعر عدم الراحة والإحباط التى كنت أشعر بها أمام الرب فى طريقى للعودة من المدرسة إلى البيت وكنت أنظر إلى الله بشكر عميق لأنه يمكننى أن أتحدث معه عن شعورى بالألم وخيبة الأمل فهذا هو الإله الذى يسمع مشاكلى ويريد أن يحدثنى عن حلها.

إله يتحدث

لكن هل الله يتحدث فعلا إلينا؟ أم أنه يصغى فقط؟ وكيف يتحدث إلينا هل يجب علينا أن ننتظر لساعات أو أيام أو أسابيع أو سنوات لنسمع الله يحدثنا؟ أم أن هناك احتمالاً أن يستجيب لنا فوراً ويسمعنا استجابته بسرعة؟

هل يمكن لله أن يملأ أذهاننا بفكرة جديدة؟ هل يمكنه أن يمنحنا مفهوما جديدا كاستجابة لصلاتنا؟ هل يمكنه أن يغير الأفكار القديمة والخاطئة بأفكار جديدة ونقية؟ هل يمكنه أن يهدأ مشاعرنا الثائرة؟ هل يمكنه أن يذكرنا بذكريات معينة عندما نحتاج إلى تذكرها؟ هل يمكنه أن يتحدث إلينا عن طريق الأحلام؟ هل يمكن لله أن يهمس فى الآذان التى تصغي؟

أعتقد أن الإجابة على كل هذه الأسئلة هى نعم، فأنا مقتنع أن الله يضع فى أذهاننا أفكاره عندما نصغى لصوته وهذا الاقتناع مبنى على سنوات طويلة من الاختبارات التى يعلمها لنا الكتاب المقدس. فأعتقد أن الله يشاركنا باتجاهاته الجديدة ويوسع رؤيتنا ويساعدنا على رؤية الأمور الهامة بالنسبة له ويساعدنا على فصل الأهم عن المهم فأعتقد أن الله يأتى إلينا فى اللحظات التى نصغى له فيها ليحدثنا.

هناك العديد من المؤمنين الذين لا يؤمنون أن الله يتحدث إلينا بهذا الأسلوب وقد تكون أنت واحداً من هؤلاء المؤمنين. فقد يقولون إن الله تحدث إلينا بابنه يسوع وبكلمته المعلنة أى الكتاب المقدس وأن هذه المصادر تمدنا بما نحتاج إليه. فالكتاب المقدس هو :" للتعليم، والتوبيخ، وللتقويم، والتأديب الذى فى البر" (٢تيمو ٣ :١٦) ويقول هؤلاء المؤمنون أن الله يتحدث إلينا من خلال الكتاب المقدس فقط.

وإنى أحترم هؤلاء الناس لكنى أختلف معهم أو أعتقد أنه على الرغم من أن ما يقولونه صحيح إلا أنه جزءٌ من الحقيقة وليس الحقيقة كلها.

وقد استرشدت بالمبادئ الكتابية فى ٨٠ أو ٩٠٪ تقريبا من القرارات التى اتخذتها فعلى سبيل المثال لو كنت أصلى للاختيار بين وظيفتين وإحدى هذه الوظائف تتسم بعدم الأمانة فعلى الفور أعلم أنه يجب علىَّ أن أرفضها، فلا أحتاج إلى كلمة خاصة من الرب ليخبرنى أنه يجب على أن أكون أمينا لأن هذا مبدأ أساسى فى الكتاب المقدس. ولكنى على الرغم من أن الكتاب المقدس يخبرنى بأنه يجب على أن أرفض هذه الوظيفة الثانية إلا أنه لا

يخبرني بأنه يجب على أن أقبل الوظيفة الأولي، فقد يكون الرب يرتب لى وظيفة أخرى وهى وظيفة لا أعرفها بعد.

ولكن ينطوى الكثير من الاختبارات والقرارات التى نواجهها على اختيارين أو ثلاثة أو أكثر وقد يبدو أن معظم هذه الاختيارات تتماشى مع المبادئ المذكورة فى الكتاب المقدس. فماذا نفعل فى مثل هذه الأحوال؟ فهل نفترض ببساطة أن الله ليس له رأى فى هذا الموضوع؟ أم نفترض أنه سيوجهنا بحكمته؟ ولو كان الأمر كذلك فكيف سيعلن لنا حكمته ونصيحته؟

أعتقد أن الكتاب المقدس يخبرنا أن الله يريد أن يتحدث إلينا مباشرة ويضرب لنا الكتاب أمثلة عديدة عن الطرق التى يستخدمها الله ليتحدث إلينا، فالله صديقنا ويريد أن يتحدث معنا. قال يسوع : فإنى الراعى الصالح وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفني.. ولى خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن أتى بتلك أيضا فتسمع صوتى " يو ١٠ : ١١ - ١٦ .

يقتبس بطرس الوعد الذى أعطاه الله لشعبه بالنبى يوئيل حين يتحدث عن الأيام الأخيرة : " إنى أسكب من روحى عى كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم / ويرى شبابكم رؤى / ويحلم شيوخكم أحلاما" (أع ٢ : ١٧) ويكرر بولس نفس المبدأ عندما يعدد مواهب الروح القدس والتى يطلق على بعض منها مواهب اتصال وهى : النبوة والألسنة والتمييز والحكمة والعلم (أنظر ١ كو ١٢) .

نرى أن الله يتحدث إلى البشر بطرق عديدة فى كل الكتاب المقدس، فقد سار آدم وحواء مع الله عند هبوب ريح النهار وتحدثا معه (انظر تك ٣ : ٨)، وسمع إبراهيم الرب يتحدث إليه عدة مرات

(على سبيل المثال أنظر تك ١٧ :١) ونقرأ " ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه " (خر ٣٣ :١١)، وتحدث الله إلى صموئيل (أنظر ١صم ٣ :٨ -١٠)، وإلى الأنبياء (أنظر اش ٤٤ :١، واش ٥٥ : ٢) وتحدث الله إلى العديد والعديد من الشخصيات الكتابية الأخرى.

لقد وصف الكتاب المقدس الله وهو يتحدث إلى شعبه مستخدما طرقا وأساليب مختلفة، فهو يتحدث بالأحلام والرؤى والملائكة، ويتحدث بالطبيعة ومشورة الأصدقاء الصالحين، وفى أحد المرات تحدث الله بحمار (أنظر عدد ٢٢ : ٢١ - ٤١).

من الواضح أن الله يريد أن يتحدث إلينا وهو قادر على أن يتحدث إلينا ويريدنا أن نكون منتبهين لصوته. فهو يعطينا نفس الوصية التى أعطاها لبطرس ويعقوب ويوحنا عل جبل التجلى :" هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. له اسمعوا " (متى ١٧ : ٥).

تنمو علاقة صداقتنا مع الله عن طريق الكلام أى بنفس الأسلوب الذى تنمو به أى علاقة صداقة بشرية، وستتعثر علاقتنا مع الله إذا لم تتذكر أن الله صديق يسمع وإذا لم نصبح أصدقاء يستمعون له.

ذكر شخص هذه الملاحظة وهى أن الجراح المتمرن سيؤدى عمليته للمريض بأسلوب أفضل من ذلك الذى سيفعله أى طالب فى كل الطب ممن اعتادوا أن يرجعوا إلى المراجع الطبية، وبنفس هذا الأسلوب سيستمع أى

شخص اعتاد أن يصلى إلى الله إلى صوته وسيميزه أسرع من الشخص الذى يقضى وقتا فى الاستماع إلى الله بالطرق التقليدية.

يالها من مأساة ألا يختبر العديد من المؤمنين هذا الجانب الرائع فى علاقتهم مع الله ألا وهو الراحة التى سيختبرونها عندما يتحدثون مع الله ومتعة الاستماع إلى أبايهم السماوى وهو يجيبهم، فربما لا يعلمون أن الاستماع إلى الله ممكن وربما حاولوا أن يستمعوا له لكنهم يئسوا عندما لم يجنوا ثمار الجهد الذى بذلوه.

وتوصلت نتيجة لخبرتى الطويلة إلى أنه عندما لا أستمع إلى صوت الله فهذا علامة على أن هناك خطأ ما وأن هناك شيئاً فى داخلى يحول بينى وبين الله وأن الله يريد أن يزيل هذا الشيء إلا إذا كنت بإحدى تلك الليالى المظلمة، فقد كان الاستماع إلى الرب واحداً من أهم التجارب المثيرة التى اختبرتها فى حياتي.

ولكن كيف أعرف وكيف تعرف أنت - أنه الله هو الذى يتحدث؟ بالطبع هذا سؤال مهم. وإذا أخطأنا فى هذا الأمر قد نتعرض لمشاكل كثيرة.

وهناك ثلاثة أصوات نسمعها تتحدث إلينا عندما نصلي، ويعد صوت الرب هو أول هذه الأصوات التى نسمعها، والثانى صوتنا نحن أى صوت أفكارنا وتخيلات أذهاننا وقلوبنا، أما الصوت الثالث فهو صوت الشرير.

ولنتأمل في هذه الأصوات الثلاثة بترتيب عكسي، فعندما نطلب صوت الرب فأسوأ ما يمكن أن يحدث لنا هو سماع صوت الشيطان بدلا من سماع صوت الرب، ودعوني أخبركم أن هذا ليس بالشيء الذي يجب أن نقلق منه بالدرجة التي تصورها لنا أنفسنا لأنه لو استمررنا مفتوحين على تصحيح مسارنا وكانت لنا قلوب متضعة وإذا ألزمنا أنفسنا باختبار أي إرشادات نتلقاها من كلمة الله المكتوبة لأن يسوع وعد.

"اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد. ومن يقرع يفتح له. فمن منكم وهو آب يسأله ابنه خبزا أفيعطيه حجرا أو سمكة أفيعطيه حية .. فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي في السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه" (لو ١١ : ٩ -١٣) .

ذكر يسوع هذه الآيات وهو يعلم تلاميذه عن الصلاة، وتؤكد لنا هذه الآيات أنه لو ذهبنا إلى الرب وسألناه أن يتحدث إلينا فلن يسمح للشيطان أن يقودنا إلى الطريق الخاطئ.

ويخبرنا الكتاب المقدس أنه لنا سلطان على عمل الشيطان وأنه لو قاومناه وخضعنا لله سيهرب منا (أنظر يع ٤ :٧) لهذا يمكننا أن نقول له : " أقاومك يا إبليس في اسم الرب يسوع " ونثق في أنه لن يتدخل في قدرتنا على سماع صوت الله بوضوح.

وماذا عن إمكانية أن تعترض أفكارنا ورغباتنا طريقنا؟ علينا أن نحمي أنفسنا من هذا باتخاذ قرار جاد ولا رجعة فيه أن نموت عن آمالنا وأحلامنا ورغباتنا ونقول للرب أننا لا نريد إلا إرادته في حياتنا.

فيمكننا أن نقول ببساطة : "يارب لا أريد لتخيلاتي أو مشاعري أن تعطل سماعي لصوتك" وثق في أن الله يسمع هذه الصلاة، فيمكننا أن نصلي بثقة "يارب يسوع. أؤمن أنك تريد أن تتحدث إليَّ وأن أفكارك أعلى من أفكاري وأن طرقك أعظم من طرقي وأنك تريد أن توجهني. لهذا فإني آتي إليك بإيمان الطفل واثقا أن الأفكار والمقترحات التي سترد إلى ذهني هي منك".

هل يبدو هذا مخاطرة؟ نعم ولكن ينطوي العيش بإيمان على مخاطرة، ولقد مارست هذا المنهج في حياتي لأكثر من ٢٥ عاما، فقد أصبح التحدث إلى الله وتوقع أن يحدثني جزءا لا يتجزأ من حياتي، وبالطبع ارتكبت أخطاء كثيرة ولكن بمرور السنوات تعلمت أن أستمع إلى الرب وكلما مارست شيئا أتقنته. ترتكز حمايتنا على طاعة كلمة الله المعلنة أي الكتاب المقدس وعلى أن نستشير المؤمنين الآخرين في قراراتنا.

يمكننا اتخاذ خطوات ملموسة لنجعل هذه العملية الخطيرة أكثر أمانا، وإحدى هذه الخطوات هي اتخاذ عدد لا

بأس به من الأصدقاء الذين يمكن أن يكونوا بمثابة المرشدين وهم أصدقاء قريبون منك يمكنك أن تشاركهم بما تعتقد أن الرب يقوله لك والذين يمكنهم مساعدتك في التأكد من ما إذا كان الله هو الذي يتحدث إليك. وإنه أمر يستحق الوقت والجهد الذي تبذله لتسعى لتكوين علاقات مع مثل هؤلاء الأشخاص.

ثانياً : من المهم أن تخصص وقتا ثابتاً لتقضيه مع الله فقط. جرب هذا أن تخصص يوما أو يومين لتقضيهما بمفردك مع الرب في أي مكان وخذ معك بعض الكتب الروحية لتقرأها أو بعض الشرائط لتسمعها ولكن ليكن هدفك هو أن تقضي معظم وقتك في الاستماع إلى الرب بالأسلوب الذي شرحناه من قبل، وقد تجد أنه من المفيد أن تقرأ الكتاب المقدس وتصلي بما قرأته بصوت عالٍ ، وتوقع أن الله سيملأ قلبك بكلمته وسيطبقها على الموقف الذي تمر به.

ثالثا : ادرس الكتاب المقدس وخاصة تلك الآيات التي تشرح الأساليب التي يستخدمها الله في التحدث إلينا، وستمنحك الآيات التي ذكرتها في هذا الفصل نقطة البداية التي ستنطلق منها، ويمكنك أن تبحث عن شرائط وكتب روحية عن هذا الموضوع ويقدم كتابي Basic Discipleship (التلمذة الأساسية) معالجة أكثر تفصيلا لهذا الموضوع، وقد يساعدك الفهرس على البحث عن شواهد عن الله وهو يكلم شعبه، وصوت الله والنبوة والملائكة والرؤى والأحلام وهكذا.

وأخيرا : تذكر ما قلته عن أهمية الممارسة. واسمح لي أن أقترح عليك أنك في كل مرة تواجه فيها اتخاذ قرار في الأيام أو الأسابيع المقبلة عليك أن تفعل ما يلي :

- أخبر الرب أنك تموت عن أفكارك ورغباتك وتستسلم بالكامل لإرادته في حياتك.

- قاوم إبليس بالأمر أن يهرب منك

- أخبر الرب بإيمان أنك تؤمن بأنه يريد أن يتحدث إليك وأنه سيتحدث إليك

- اطرح على الرب الأسئلة التي تدور بداخلك وانتظره بهدوء وثق أنه سيعطيك فكرة أو انطباعا سواء في نفس الوقت أو في الأيام والأسابيع القادمة.

- اطلب من الله أن يؤكد ما قاله لك من خلال الكتاب المقدس ومن خلال نصيحة أناس الله في الأيام والأسابيع القادمة.

وأعتقد أنه كلما مارست الاستماع إلى الرب سوف تسمعه يتحدث إليك، وستحصل على المعونة اللازمة بشأن الاختيارات والقرارات التي تواجهها، وستختبر ثقة أعظم في الله في أمور حياتك اليومية.

والأكثر من كل ذلك أنك ستنمو في علاقتك الحميمة مع الله، فسيعزيك الله في أوقات الضيق وسيقودك إلى اتخاذ

القرارات الهامة وسيمنحك الحكمة لمواجهة المواقف الصعبة، وستقترب أكثر إلى أبيك السماوى كلما فتحت قلبك له طالبا منه النصح فى الصعاب التى تواجهك وستختبر اهتمامه بك كلما شاركته بأسرارك الدفينة وأشواقك العظيمة.

الله صديق يسمع ويدعوك أن تقترب إليه لأنه يريد أن يشاركك برغباته القلبية.

لا يوجد إنسان يستطيع أن يفهم أساليب الله وطرقه التى يتعامل بها مع الناس ..

فلا يوجد أى تليسكوب يستطيع أن يجرى عملية مسح لحدود الله ولا ميكروسكوب يستطيع أن يتخلل أعماقه .

إن عظمة الله تجعل عقولنا تتضع ، وفى نفس الوقت توسع مخيلتنا تجاه هذا الإله الذى يقدم نفسه كصديق لنا !

هذه الصداقة التى يحتاجها الإنسان الذى يعيش فى عالم مادى محاط بالتجارب والجراح ولا تتوقف من حوله رياح الألم والحزن الإنسانى .

إننا نسعى لقبول هذه الصداقة فنختبر التعزية الحقيقية ونشعر بالسلام فى أرواحنا والفرح فى نفوسنا والراحة لأذهاننا وننتصر على إحساس التغرب فى داخلنا .



